mngool. com

أشراف مكة المكرمة

وأمرائها في العهد العثماني

تأليف
إسماعيل حقي جارشلي

ترجمه عن اللغة التركية
د. خليل علي مراد

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

2003 م ـ 1424 هـ

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

الحازمية ـ هاتف: 952594/ 009615 ـ فاكس: 459982/ 009614

ص.ب: 511 ـ هاتف نقال: 386363/ 009613 ـ 525066/ 009613

بيروت ـ لبنان البريد الإلكتروني: E mail:Arab-enc-house@lynx.net.lb

المقدمة

بقي أشراف مكة المكرمة تابعين للإدارة العثمانية مدة 401 سنة ابتداءاً من احتلال السلطان سليم الأول سوريا ومصر وقضائه على دولة المماليك الشراكسة ودخول الحجاز ضمن الإدارة العثمانية في سنة 1517 م وانتهاءً بسنة 1918 م. وكانت علامة تعيين الشريف أميراً على مكة المكرمة في العهد العثماني هي منشور الإمارة الذي يحمل «طغراء» السلطان العثماني ويعطى للشريف. ويرد في هذا المنشور ذكر الأعمال التي سيقوم بها كما يتضمن توصية له بأن يعمل على أساس العدل وأن يحافظ على تبعية [للدولة العثمانية]. وكان المنشور المرسل إلى الأمير يكتب بالتركية. وكان الأمير الجديد يستقبل بمراسيم عند مجيئه إلى مكة المكرمة. أما إذا كان الأمير الجديد موجوداً في مكة المكرمة فإنه يخرج لاستقبال منشور وخلعة الإمارة المرسلة إليه، ويلبس الخلعة ثم يقرأ منشور الإمارة في مكان معين وبصوت عال أمام الناس معلناً بدء إمارة الأمير الجديد.

وبسبب عدم معرفة أمراء مكة المكرمة، مع استثناء البعض، باللغة التركية فقد كان [السلطان] يرسل لهم كتابين سنوياً في موسم الحج أحدهما بالعربية. والآخر بالتركية. وكانت توجد بمعية أمير مكة المكرمة هيئة من الكتاب الذين يشرفون على المراسلات التركية يطلق

عليها اسم «ديوان تركي ـ Divan-i Turki».

وبعد قراءة منشور الأمير الجديد يقوم الدلالون بإعلانه في مكة المكرمة. وطبقاً للعادة الجارية كانت المدافع تطلق 19 إطلاقه بالمناسبة.

لم يكن بين أمراء مكة المكرمة من حصل على رتبة الباشوية في الأدوار الأولى. ولكن اعتباراً من القرن التاسع عشر أصبح بعض أمراء ذوي عون، وهم من العبادلة، برتبة أمير أمراء «بكلربك» ووزير وشغلوا وظائف مختلفة في اسطنبول. وكان هؤلاء الشرفاء يذكرون بلقب «باشا» عند تعيينهم أمراءً لمكة المكرمة. وكان هؤلاء [بصورة عامة] من الموجودين في اسطنبول والذين ألفوا عادات الأتراك ولغتهم وخدموا [في وظائف] الدولة. واعتباراً من سنة 1858 م أصبح جميع الشرفاء العبادلة، أي أبناء محمد بن عون، أمراء على مكة المكرمة برتبة وزير.



لم تتدخل الدولة العثمانية، حتى في عهد قوتها، في مسألة انتخاب أمراء مكة المكرمة وتركت هذا الأمر للشرفاء أنفسهم لكي ينتخبوا من بينهم الشخص اللائق للإمارة، ثم تصادق الدولة على إمارة ذلك الشخص إذا ما قبلته. وبسبب التنافس بين بعض الشرفاء كانت الدولة تعين [أحياناً] اثنين من الشرفاء لتولي إمارة مكة المكرمة بصورة مشتركة.

إن الدولة العثمانية، وبسبب حروبها الخارجية الطويلة في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، لم تتفرغ للنظر في أمور أطراف الحجاز. ومن هنا اتخذ التنافس والصراع بين الشرفاء من أجل أمارة مكة المكرمة طابعاً حاداً. فقبل ظهور نتيجة مسألة مصادقة الدولة

على الشخص الذي يرشحه الشرفاء [لتولي الإمارة] يرد ترشيح شخص جديد. وفي مثل هذه الحالات تركت مسألة المصادقة على مثل هذا المرشح إلى سلطات الدولة في تلك الأطراف، وقد ارتؤي بهذا الخصوص أن من المفيد أخذ رأي والي الشام وأمير الحج. والحقيقة أنه في الأدوار الأولى كان ولاة مصر يبدون رأيهم، على شكل تأييد الرغبة المحلية [أي تأييد ترشيح الشخص الذي رشحه الشرفاء وأهالي الحرمين ـ **المترجم**]، وكان ولاة جدة، لفترة من الوقت، ينظرون في هذا الأمر أيضاً. إلا أن تسوية هذه المسألة بأساليب الالتماس والرشوة لم يعط نتيجة ثابتة. وعلى أية حال فإن الدولة اضطرت، بسبب بعد الحجاز، إلى ترك هذه المسألة إلى الولاة المجاورين لتلك المنطقة والذين كانوا على معرفة بأحوالها. ومنذ القرن الثامن عشر أصبح النظر في أمور الحجاز يتم بأخذ رأي (مطالعة) والي الشام الذي هو أمير الحج في الوقت نفسه، بل أن مسألة الأمن في الحجاز تركت، جزئياً، إلى ولاة الشام.

لقد تمسكت الدولة العثمانية بالحجاز، أي مكة المكرمة والمدينة المنورة، بسبب أهميتها المعنوية وأبدت غيرة شديدة في المحافظة عليها. ولما كانت الكعبة المشرّفة من أسباب إقامة نفوذ الخلافة [العثمانية] على العالم الإسلامي فإن الدولة العثمانية، وبصورة خاصة في أوقات ضعفها، كانت حذرة إزاء أية حركة، مهما كانت ضئيلة، قد تفسد هذه الرابطة المعنوية. ولذا أبدت [الدولة] حرصاً شديداً على حفظ الأمن في الحرمين الشريفين، أي مكة والمدينة، خصوصاً والحجاز عموماً.

إن ازدياد أهمية البحر الأحمر دفع الدولة العثمانية إلى فصل لواء «سنجق» جدة عن ولاية مصر وإسناد إدارة اللواء إلى أمير أمراء

«**بكلربك**»[1] ولفترة من الوقت دمج هذا اللواء مع ولاية حبش وأسندت إدارتها إلى والي[2] أن الدولة العثمانية التي أرادت أن تكون على صلة واطلاع وثيق بأحوال الحجاز أسندت إدارة جدة إلى والي بدرجة وزير مع إسناد مشيخة الحرم المكي إليه. وعلى أي حال فإن هذا لم يحدد صلاحيات أمراء مكة المكرمة من الناحية الإدارية بل العكس فإن بعض أمراء مكة المكرمة كانوا يتدخلون في شؤون هؤلاء[3].

لقد أبدت الدولة العثمانية رعاية إزاء أحفاد الرسول ﷺ أمراء مكة المكرمة وجميع الشرفاء وخصصت لهم الرواتب. وكان أمراء مكة المكرمة يستلمون راتباً يعادل راتب حاكم (hukumdar). ولم تتدخل الدولة في شؤونهم بل تركتهم أحراراً. وقد تركت إدارة الحجاز وقبائلها إلى أمراء مكة المكرمة ما لم تظهر مناهضة فيما بينهم[4] ولم تكن الدولة تغير الأمير إلا إذا بلغ حالة لا يمكن السكوت عليها وبعد تقديم أهالي المنطقة شكوى ضده.

---

(1) في النظام الإداري العثماني القديم تسند إدارة اللواء إلى أمير لواء «سنجق بك» أما إدارة الولاية التي تضم عدة ألوية، فتسند إلى والي بدرجة «بكلربك» أو وزير «باشا». وإسناد إدارة جدة إلى أمير أمراء وهذا ناشىء عن أهميتها المتزايدة. (المترجم).

(2) إلى.. متصرف سنجق جدة المعمور [الذي هو والي] أيالة حبش ومتولي مشيخة الحرم المكي.. (مهمة دفتري 153، ص 125).

(3) توجد معلومات بهذا الخصوص في العريضة التي رفعها والي وقائد الحجاز عثمان نوري باشا إلى السلطان بخصوص نفوذ وقدرة أمراء مكة المكرمة في الأدوار الأخيرة، انظر مجلة Belleten العدد 39، ص 512.

(4) ورد في «مرآة مكة، ج 1، ص 25» بأن إمارة مكة المكرمة التي تتضمن حق الإشراف العام على الشرفاء والعربان [أي القبائل] وغيرهم تعطى إلى وزير من الأشراف المنسوبين إلى الدولة العثمانية ومن مشيري «مدراء أو رؤساء musir» والأمور المدنية والمالية وسائر تفرعاتها الإدارية.

وهكذا، وبهذه الصورة، كانت تترك لأمراء مكة المكرمة الولاية العامة على المملكة [أي الحجاز] دون شرط وقيد، وأكثر من ذلك فإن الدولة تحملت وسامحت حالات تجاوز الأمراء على الناس وحرمة بيت الله والقتال في مكة المكرمة والقتل في المسجد الحرام وكسر الحجر الأسود بل وكانت ترضي مثل هؤلاء الأمراء غير المستقيمين.

إن الدولة التي أظهرت مثل هذا التسامح، في الوقت الذي كانت تواجه فيه مشاكل خارجية وتعيش حالة عجز وتظهر أمامها المشاكل سنة بعد أخرى، اهتمت أيضاً كثيراً بعدم إغلاق طريق الحج وتأمين قيام الحجاج بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة في سلام وكانت هذه المسألة مهمة جداً من وجهة نظر شرف وحيثية الدولة.



إن اضطراب الأمن في مكة المكرمة كان يبدأ عادة بعد وفاة أمير ذو سلطة قوية وانتخاب شخص آخر ليحل محله. وبسبب ظهور عدة أشخاص من العائلة أو من عوائل الشرفاء المتنافسة فإن الدولة كانت تعين من هؤلاء الشخص الذي كان يرشحه والي مصر غالباً في الأدوار الأولى وفيما بعد والي جدة وفي أغلب الأحيان والي الشام [في الفترات الأخيرة]. إلا أن هذا الأمر لم يكن متروكاً لرغبة الوالي الصرفة. ذلك أن عدم قبول الوالي الشخص الذي يرشحه الشرفاء كان يؤدي إلى مجيء [الشريف] الأقوى أو الأكبر. وفي حالة غلبة الشريف المنافس على هذا المرشح كانت المصادقة تتم على إمارة ذلك الشريف.

اشتركت ثلاث أسر رئيسية في التنافس على الإمارة وهي أسرة ذوي زيد أو الشرفاء الزيدية وأسرة آل بركات وأسرة الشرفاء العبادلة المعروفين باسم ذوي عون. ومن بين هذه الأسر استطاعت أسرة ذوي

زيد بقدرتها وغلبتها تولي الإمارة لفترة طويلة. وفي عهد تنافرهم فقط تولى آل بركات الإمارة لفترة قصيرة.

وبعد قيام والي مصر محمد علي باشا باستيلائه على الحجاز من الوهابيين فإنه عزل الشريف غالب بن مساعد وهو من ذوي زيد ونصب محله الشريف محمد بن عبد المعين بن عون، الساكن في مصر وهو من العبادلة، أميراً على مكة المكرمة.

إن التزام الوالي [محمد علي باشا] لهذا الشريف في مواجهة ذوي زيد وبصورة خاصة في مواجهة عبد المطلب بن غالب وكذلك إدارة محمد بن عون الجيدة والمخلصة كانت سبباً لاستمرار هذه الأسرة في إمارة مكة المكرمة.

وبعد وصول خبر ميل الشريف حسين باشا [الأول]، وهو من ذوي عون، إلى البريطانيين واغتياله قام السلطان عبد الحميد الثاني بتعيين الشريف عبد المطلب، وهو من أسرة ذوي زيد المنافسة، أميراً على مكة المكرمة. إلا أن محاولة الشريف [عبد المطلب] الاستقلال ونهجه مماثلاً [لنهج الشريف حسين باشا الأول] أدى إلى إسناد الأمارة لأسرة ذوي عون مجدداً.

وخلال الحرب العالمية الأولى تفاهم الشريف حسين باشا بن علي باشا، وهو من ذوي عون، مع البريطانيين وأعلن الثورة. وبسبب ذلك أخذت إمارة مكة المكرمة من ذوي عون وأعطيت إلى الشريف على حيدر باشا حفيد الشريف عبد المطلب وهو من ذوي زيد. إلا أن هذا لم يدخل مكة ولم يتولى مقاليد المنصب بل عاد إلى المدينة المنورة. ومع نهاية السيطرة العثمانية على الحجاز حلت نهاية إمارة مكة المكرمة بإلغاء وظيفة الإمارة.

الدار العربية للموسوعات

مقدمة المترجم

تحمل الدراسة التي ترجمها د. خليل علي مراد من اللغة التركية إلى اللغة العربية الموسومة «**أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني**» أهمية خاصة. فهي دراسة اعتمد فيها مؤلفها الأستاذ إسماعيل حقي اوزون جارشلي المتخصص في التاريخ العثماني من الأرشيف التركي. والأرشيف التركي يعد مصدراً هاماً في تاريخ هذه الفترة لم يرجع إليه كثيراً المؤلفين العرب في الدولة العثمانية على الرغم من أن بعض الباحثين الأجانب قد رجعوا إليه واستقوا منه معلومات مختلفة تتعلق بتاريخ العثمانيين أما الأهمية المصدرية الأخرى للكتاب فهي أن الأستاذ جارشلي اعتمد على كتب الحوليات والرحلات التركية التي تزود الباحث في هذا التاريخ بمعلومات غنية.

كما ينبغي أن لا تقلل من أهمية المعلومات التي وردت في الكتاب. صحيح أن الأغلبية العظمى للكتاب تتعلق كما هو واضح من العنوان بأشراف وأمراء مكة المكرمة ولكن المؤلف لم يغفل جوانب هامة في هذا الصدد من أمثال الإشارة إلى أشراف الحجاز ضمن الإدارة العثمانية، وأسلوب تعيين أمراء مكة ومخصصاتهم، وقوافل الحجيج، وأمور تتعلق بالكعبة الشريفة كغطاء وستارة بابها ومفاتيحها، أيضاً هناك معلومات حول قضاة مكة.

إن الدراسة أيضاً تعرضت بالتفصيل إلى أمراء مكة ابتداءً بسنة 461 هـ/ 1065 م حيث كانت الإمارة في أولاد بني هاشم «بني فليطة» إلى سنة 598 هـ/ 1201 م إذ انتقلت إلى أمير ينبع قتادة بن إدريس من نفس الشجرة. وظلت في بني قتادة حوالي سبعة قرون ونصف أي بوجه التحديد إلى سنة 1338 هـ/ 1919 م الفترة التي ألغي فيه هذا المنصب.

لقد صدر كتاب «**أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني** ـ «Emiirleri Mekke-i Mukerrenme» في سنة 1972 وهو من منشورات الجمعية التاريخية التركية «Tarih Kurumu Turk». أما مؤلف الكتاب الأستاذ إسماعيل حقي اوزون جارشلي فهو غني عن التعريف لدى المهتمين بدراسة التاريخ العثماني. والأستاذ إسماعيل حقي حاصل على مرتبة أستاذ كرسي في التاريخ العثماني وله عدد كبير من الكتب والمقالات التي نشرت منذ مطلع الأربعينات حول تاريخ وتنظيمات الأمبراطورية العثمانية. والكتاب الحالي هو آخر كتبه. وقد حصلنا على نسخة منه أثناء زيارتنا لتركيا في صيف 1976. وقد رغبنا انئذٍ في ترجمة هذا الكتاب إلى العربية لما تضمنه وانفرد به من معلومات مهمة عن تاريخ مكة المكرمة خصوصاً والحجاز عموماً في العهد العثماني استقاها مؤلف الكتاب من الأرشيف التركي، الذي لم يحظ بالاهتمام الذي يستحقه من المؤرخين والباحثين العرب وكذلك من كتب الحوليات والرحلات التركية وغيرها من المصادر والمراجع العربية والأجنبية. إلا أن المشاغل والظروف لم تمكننا من ترجمة الكتاب في حينه. ونحمد الله ﷻ الذي مكننا من تحقيق رغبتنا في ترجمة هذا الكتاب الذي جعل من بيت الله الحرام ومكة المكرمة وأمرائها موضوعاً له.

هناك جملة ملاحظات ووددنا أن يكون القارىء الكريم على علم بها قبل البدى بقراءة هذا الكتاب. وهذه الملاحظات هي:

1 ـ ذكر المؤلف في بعض الهوامش نصوص الوثائق التي استخدمها كاملةً. ولما كانت بعض هذه الوثائق تتميز بالأطناب والتعابير البلاغية المنمقة فإننا أكدنا على جوهر هذه الوثائق في بعض الحالات وأهملنا ديباجة أو مقدمة هذه الوثائق في بعض الحالات وأغلبها عبارة عن كتب صادرة عن السلطان العثماني أو موجهة إليه من أمراء مكة المكرمة وولاة الحجاز أو الشام (دمشق) أو مصر.

2 ـ في حالات قليلة ذكر المؤلف مضمون المصدر أو الوثيقة التي استخدمها في المتن بالكامل وكرر ذلك في الهامش، وفي حالة أو حالتين نقل هوامش مفصلة نصاً في أكثر من موضع وقد تداركنا مثل هذا التكرار كي يخرج الكتاب في شكل أفضل.

3 ـ أضفنا بعض الكلمات أو العبارات في متن الكتاب وهوامشه لتوضيح المعنى حيثما كان ذلك ضرورياً ووضعنا هذه الإضافات بين قوسين، كما قمنا بتوضيح معاني المصطلحات والمناصب العثمانية التي وردت في الكتاب، واعتمدنا في ذلك على بعض المصادر والمراجع التي ذكرناها بعد مصادر ومراجع المؤلف في نهاية الكتاب.

د. خليل علي مراد

شبه جزيرة العرب - منطقة الحجاز
مكة المكرمة

ترتبط شبه جزيرة العرب الواقعة في جنوب غربي قارة آسيا بتلك القارة بواسطة بر الشام «بادية الشام» وصحراء الجزيرة. ويحدها من الشرق خليجي البصرة وعُمان ومن الجنوب بحر عُمان وخليج عدن وهما جزء من المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر. وهي منفصلة عن قارة أفريقيا بواسطة السويس في الشمال وباب المندب في الجنوب. وتبلغ مساحتها حوالي 3,156,000 كم أي حوالي ربع مساحة أوروبا ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي 2500 كم وعرضها حوالي 2000 كم. ولا تتوفر معلومات دقيقة بشأن نفوسها ولكن التقديرات تتراوح بين 4 و7 مليون نسمة[1]. ومن بين المؤرخين والجغرافيين القدماء ذكر صاحب «**تقويم البلدان**» وحاكم حلب السلطان عماد الدين أبي الفدا بأن الطواف حول شبه الجزيرة العربية استغرق 221 يوماً أي سبعة أشهر وأحد عشر يوماً.

تقسم **شبه الجزيرة العربية** إلى ست مناطق أهمها هي المنطقة

(1) يبدو أن المؤلف يقصد هنا سكان المملكة العربية السعودية فقط وليس عموم شبه الجزيرة العربية (المترجم).

الغربية الواقعة على امتداد خط العرض 16° تقريباً[1]. والتي تضم الحجاز في الشمال واليمن في الجنوب وتقع حضرموت في القسم الجنوبي من الجزيرة العربية وعمان والأحساء في القسم الجنوبي والشرقي ونجد في الوسط. وتبلغ مساحة الحجاز 100 386 ذراع ويتراوح عدد سكانها ما بين 2 مليون نسمة و2,5 وطبقاً لإحدى الروايات فإنها سميت بالحجاز لأنها تحجز بين نجد وتهامة. ويحد منطقة الحجاز من الشمال شرق الأردن وأطراف العقبة ومن الشرق نجد ومن الجنوب عسير التي تعيش فيها قبيلة يقظان «Yaktan» أو قحطان. ويسمى القسم الأوسط من الحجاز بالحجاز الأصيل ويسمى القسم الساحلي تهامة أو بلاد العرب الصخرية حسب تعبير الجغرافيين القدماء.

إن أهم مدن الحجاز هي مكة المكرمة التي تضم بيت الله وقبلة الإسلام، والمدينة المنورة التي تضم الروضة المطهرة ضريح الرسول ﷺ. وفيما عدا هذه المدن هناك مركز تجاري مهم على ساحل البحر الأحمر وهو في الوقت نفسه ميناء مكة ونعني بذلك جدة - وعلى ساحل البحر نفسه هناك ميناء «ينبع البحر» وهو على مسيرة 45 ساعة من المدينة المنورة. وفي الحجاز أيضاً مدينة الطائف وهي مصيف مكة وتقع على سفوح جبل كرزان «Garzan» وهي على مسيرة 16 ساعة إلى الشرق من مكة. والطائف من أشهر مواقع الحجاز. وتضم الحجاز أيضاً جبال السراة التي تمتد من الشمال إلى الجنوب، وأن أغلب أراضيها وبالأخص تهامة رملية وصخرية وماؤها قليل. آن منطقة المدينة المنورة بركانية، وفي بعض الأراضي الزراعية في وادي

(1) الصواب هو إلى شمال خط العرض 16° تقريباً (المترجم).

فاطمة بالقرب من مكة ينمو الليمون والبرتقال والموز، أما الحبوب فلا تكفي الاحتياجات المحلية ولذا يعوض النقص باستيرادها من الخارج. ويزرع البدو الذرة للأكل. أن بساتين النخيل في المدينة المنورة مشهورة وينتج فيها أفضل وأجود تمر الحجاز ويصدر إلى الخارج أيضاً.

مكة المكرمة

إن مكة المكرمة، الواقعة في وادٍ طويل مقوس من الحجر الأسود، من الأماكن المقدسة لأنها تضم بيت الله الحرام قبلة المسلمين. وتقع مكة عند خط العرض 30 ـ 21 شمالاً وخط الطول 40 ـ 20 شرقاً، وتبعد عن البحر الأحمر بحوالي 100 كم وارتفاعها عن سطح البحر حوالي 360 م. ولقد أصبحت من المدن المشهورة بسبب وقوعها على الطريق التجاري القادم من العراق وسوريا إلى اليمن وبسبب تجارتها مع هذه المناطق، وبصورة خاصة مع سوريا لفترة طويلة. وابتداءً من ظهور الإسلام أصبحت لها شهرة واسعة. أن قصي الذي هو أحد زعماء قبيلة قريش المنسوبة إلى كنانة أخذ مكة من أيدي قبيلة خزاعة وأسكن قريشاً هناك حيث أصبحوا عشرة بطون، وهاشم جد النبي ﷺ من هؤلاء.

إن أول موقع يصادف القادم من جدة إلى مكة عند الدخول إلى أرض الحرم الشريف هو «جامع عائشة» ويرتدي الزوار الإحرام في هذا الموقع. أما الموقع الذي يرتدي فيه القادمين من اليمن ونجد الإحرام فهو قرن المنزل (Karn-el menzil).

لقد كانت مكة منذ القدم مركزاً للتجارة والزيارة وازدادت أهميتها كثيراً بعد الإسلام. وتقع مكة عند طرف جبل أبو قبيس أن

جبل القرى المشهور والمتشعب عن جبل السراة يرتفع عن سطح البحر بحوالي 2000 م وهو على مسيرة ساعتين إلى الشرق من مكة. أما جبل عرفات الواقع إلى الشرق من مكة أيضاً على مسافة خمس ساعات فيبلغ ارتفاعه 55 م وهو مشهور في موسم الحج. وبالقرب من هذا الجبل توجد عين ماء شهيرة تعرف باسم «عين زبيدة». ولقد أوصلت زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد الماء هناك من موقع يبعد مسيرة ثلاثة أيام عنه وقام السلطان العثماني سليمان القانوني بإيصال الماء نفسه إلى مكة.

إن المسجد الحرام الذي تقع الكعبة في وسطه يقع في وسط مكة. وللمسجد الحرام 19 باباً، 4 منها شرقاً و7 جنوباً و3 غرباً و5 شمالاً و7 منائر. وأن آخر منارة بنيت منها هي منارة السلطان سليمان القانوني. ويجاور الحرم الشريف المدرسة السليمانية.

وعلى جانبي المسجد الحرام يوجد موقعي الصفا والمروة. وعند الذهاب من المروة إلى الصفا يكون المسجد الحرام على اليمين وعند المجيء من الصفا إلى المروة يكون على اليسار. ومن أركان الحج اجتياز المسافة البالغة 517 م بينهما بالمشي السريع. وموقع الصفا عند طرف جبل أبو قبيس.

وكما ذكرنا فإن الكعبة الشريفة تقع في وسط المسجد، وهي مغطاة بقماش أسود من الحرير الموشى يسمى الستارة الشريفة ويجدد سنوياً. وفي مكان معين من الستارة يوجد ما يسمى النطاق. والكعبة مربعة الأطراف، وطول كل ضلع منها 24 ذراعاً وشبراً واحداً وارتفاعها 27 ذراعاً. وبابها الواقع في الجهة الشرقية يرتفع عن الأرض بطول قامة رجل واحد. وقرب الباب وبمستوى رأس رجل

واقف على الأرض تقريباً يوجد في جدار الكعبة الحجر الأسود الذي يبلغ حجم رأس إنسان تقريباً. إن هذا الحجر الأسود الواقع في الركن الشرقي من الكعبة على ارتفاع 1,20 م يمثل نقطة بداية الطواف حول الكعبة الشريفة. وفي داخل المسجد الحرام أيضاً بئر زمزم الشهير وهو بجوار مقام إبراهيم الواقع قرب الكعبة.



الأشراف والسادة

ترجع إمارة مكة، أي شبه استقلال أولاد الإمام علي المرتضى في مكة، إلى ما بعد سنة 345 هـ/ 951 م وهي السنة التي أعيد فيها الحجر الأسود إلى موضعه بعد أن كان القرامطة قد أخذوه إلى البحرين عندما احتلوا مكة. **إن أول شريف لمكة من أبناء علي هو موسى بن عبد الله. أما آخر شريف فهو شكر ابن أبو الفتوح والذي توفي سنة 453 هـ/ 1061 م دون خلف**. وقد حصلت بعد وفاته اضطرابات في مكة قمعت من قبل حاكم اليمن. وبناءً على مراجعة آل علي له عين أميراً جديداً لمكة من أسرة أخرى وهو أبو هاشم محمد في سنة 455 هـ/ 1063. وانتقلت الشرافة بعد هذه الأسرة إلى أسرة قتادة في سنة 598 هـ/ 1200 م. وقد استمرت هذه الأسرة حتى سنة 1218 هـ/ 1809 م أي لحين تحرير مكة من قبل آل سعود.

لقد أظهرت جميع الدول الإسلامية، الكبيرة منها والصغيرة، احتراماً وتعظيماً فوق العادة للسادة والأشراف الذين هم من نسل ابنة النبي ﷺ فاطمة الزهراء وزوجها الإمام علي رضي الله عنه. وفي الدولة العثمانية شملت الرعاية أيضاً أهالي مكة والمدينة الذين جاؤوا إلى تركيا والذين لا يمتون بصلة إلى آل علي وذلك لكونهم من أهالي هذه المنطقة.

ونتيجة للاحترام والتكريم الذي خص به السادة والأشراف من

أولاد الرسول ﷺ في الممالك الإسلامية والتركية وضعت تنظيمات وقواعد خاصة بهم وقد كان يعين لهم رئيس كما كانوا معفوين من الضرائب والرسوم. وبعد مضي فترة من الزمن على قيام الدولة العثمانية وضعت هذه الدولة، شأنها شأن الدولة التركية السابقة تنظيمات خاصة بالسادة والأشراف. وبعد إخضاع الحجاز للإدارة والنفوذ العثماني فيما بعد أبدت الدولة العثمانية تعاطفاً إزاء السادة والأشراف، بل أن السلاطين العثمانيين سامحوا بعض المقصرين منهم وذلك لكون نسبهم يرجع إلى الرسول ﷺ، وكانت هذه الحماية [للأشراف] جدية وقد استمرت حتى نهاية[1] [الدولة العثمانية].

قبل الكتابة عن تنظيمات السادة والأشراف في الدولة العثمانية نقدم معلومات موجزة عن السادة الأشراف ثم نوضح التنظيم المعروف باسم «**نقابة الأشراف**».

إن أحفاد الرسول ﷺ الذين يطلق عليهم لقب السيد أو الشريف

---

(1) في عهد السلطان محمود الثاني (1808 ـ 1839 م) قام والي مصر محمد علي باشا بسجن الشريف راجح أحد أقرباء أمير مكة. وقد وجد هذا الشخص وسيلة للاتصال بالصدر الأعظم فكتب إليه يعلمه بسجنه واحتمال إقدامه [أي محمد علي باشا] على إعدامه. وقد قام الصدر الأعظم بتقديم الرسالة إلى السلطان الذي تأثر **بها وأصدر بياناً سامياً «خط همايون» إلى الصدر الأعظم جاء فيه:**

«**وزيري...**

مهما كانت جنحة الشريف المومى إليه أرسله إلى حيث الشريف غالب (كان الشريف غالب في سلانيك) طالما أن إقامته هناك [في مصر] قد أصبحت مخطورة. معاذ الله تعالى من إعدام الأشراف كما أن إنزال الأذى بهم لا يخطىء برضائي السلطاني. وحسب ما ورد في تقريري يجب أن ترسل رسائل تأكيدية [بهذا الخصوص] إلى محمد علي باشا.

أرشيف رئاسة الوزراء ـ محفظة الخطوط الهمايونية الرقم ـ 107 ـ رقم الوثيقة (27076).

هم المنحدرين من فاطمة الزهراء أحب وأصغر بنات الرسول ﷺ وولديها الإمامين الحسن والحسين. أن لقب الشريف يطلق على المنحدرين من الإمام الحسن أما لقب السيد فيطلق على المنحدرين من الإمام الحسين.

إن كلمة الشريف عربية وهي تعني العلو وجمعها شرفاء وأشراف. إن ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة ورؤساء العوائل المرموقة في بلد ما والذين يكونون ذوي نفوذ وكلمة مسموعة يسمون أشراف أيضاً. ويطلق لقب الأشراف على المنسوبين إلى آل بيت الرسول ﷺ بل وحتى على المنحدرين من هاشم جد الرسول ﷺ أيضاً. إلا أن هذا اللقب خصص في القرن الرابع الهجري في زمن العباسيين مع اسم «**نقابة الأنساب**» لآل أبي طالب أي أولاد علي رضي الله عنه وآل العباس أي أولاد العباس بن عبد المطلب[1].

وفي زمن الدولة الفاطمية (910 ـ 1171 م) كان لقب الشريف مخصصاً في مصر لأولاد الحسن والحسين. وفيما بعد شاعت تسمية أولاد الإمام الحسن بالشريف وأولاد الإمام الحسين بالسيد. إن لقب السيد أطلق على العلويين والطالبين استناداً إلى أحاديث نبوية كثيرة ذكرت الإمام الحسن والحسين باسم سيد. وقد أصبح لقب السيد أكثر شمولاً فيما بعد وأصبح اللقب علماً على الحسنيين والحسينين. إن لقب الشريف أصبح يطلق بعد ذلك على أولاد الإمام الحسن الذين أصبحوا أمراء في الحجاز أي الحسنيين وأصبح لقب السيد مقتصراً على الحسينيين. أن أهل مكة يسمون الشريف الكبير أي أمير مكة «**سيدنا**».

---

(1) كان نقباء الأنساب يسجلون العوائل الطالبية والعباسية في دفاتر خاصة كلاً على حدة. وكان النقيب المشرف على الطالبيين ومسك دفترهم يسمى نقيب الطالبيين والمشرف على العباسيين ومسك دفترهم نقيب العباسيين.

وإذا تزوج السيد امرأة من الأشراف فإن ابنهما يلقب بالسيد الشريف.

وطبقاً للرواية فإن السادة والأشراف كانوا يرتدون جبة وعمامة خضراء في العصر العباسي في عهد هارون الرشيد وابنه المأمون. وبسبب ترك هذا التقليد فيما بعد لم يعد ممكناً تمييز أبناء الرسول ﷺ عن الناس، ولذا، ولأجل تمييزهم وإظهار الحرمة لهم، أمر السلطان المملوكي في مصر الملك الأشرف شعبان في سنة 773 هـ/ 1371 م بأن يضع الأشراف علامة خضراء على رؤوسهم[1] وقد قبلت هذه العادة أيضاً في ولايات الدولة العثمانية فيما بعد[2]. وأخذت الدولة العثمانية «**نقابة الأشراف**» والتنظيمات المرتبطة بها عن سلاطين المماليك والإيلخانيين[3].



(1) هناك قطعة شعرية بهذه المناسبة لأحد أدباء الشام وهو شمس الدين بن إبراهيم بن بركات الدمشقي:

أطراف تيجانٍ أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصهم بها ... شرفاً ليفرقهم من الأطراف

انظر: مرآة مكة، ص 846.

(2) لم يكن لبس العمامة الخضراء علامة للشرفاء عموماً. والحقيقة أنهم في شبه الجزيرة العربية كانوا يلبسون عمائم بيضاء وذلك بسبب حرارة الشمس حيث أن البياض لا يمتص حرارة الشمس. ونلاحظ أن العثمانيين كانوا يرسلون رسائلهم إلى الشريف أمير مكة في أكياس خضراء كما يرسلون لهم خلعاً خضراء. ونلاحظ أيضاً كون اللون الأخضر علامة الأشراف [في عهد العثمانيين]. وحتى عندما بحث موضوع لون الهرواني «harvanu» كذا الذي يلبس لأمير مكة بدلاً من الخلعة في زمن السلطان محمود الثاني، فإن السلطان أرسل خطاً همايونياً يقول فيه «..لما وجد من اللائق بالنسبة للشرافة أن تكون من الجوخ الأخضر فإنها يجب أن تعمل من الجوخ الزمردي على الأخضر..» انظر: أرشيف رئاسة الوزراء المحفظة رقم ـ 108 ـ الرقم العمومي (27416).

(3) أنشأ الإيلخانيون (مغول الغرب) بعد دخولهم الإسلام وظيفة ذات امتياز وهي «نقيب نقباء السادات» في زمن غازان محمود خان (1295 ـ 1304 م) للأشراف ـ

إن العثمانيين الذين أسسوا دولة إسلامية كبيرة قد أظهروا في كل مناسبة علاقتهم الصميمة مع أمراء مكة الذين ينحدرون من نسل الرسول ﷺ. وقد استمروا على علاقتهم هذه مع الأمراء والأشراف في الحجاز مهد الإسلام. فبعد فتح اسطنبول من قبل السلطان محمد الثاني الفاتح (1451 ـ 1481) أرسل السلطان رسولاً هو العالم الحاج محمد الزيتوني ليحمل هذه البشرى العظيمة مع رسالة وهدية إلى أمير مكة[1]. وقد أعلم السلطان (أمير مكة)، بعد أن عرف ووصف فتح اسطنبول، بتحويل كنائسها إلى جوامع. وقد أرسل السلطان مع رسوله هذا هدية إلى أمير مكة قدرها 2000 قطعة ذهبية

- على السادة والأشراف. كما أسسوا في كل مدينة دائرة خاصة بالسادة والأشراف سميت «دار السيادة». وكان النقباء في الدوائر يتبعون نقيب النقباء أما وظيفتهم فهي مسك دفاتر الأشراف والسادة والأشراف عليهم.

(1) إن اسم أمير مكة في رسالة الفاتح هو علاء الدين السيد الحسني العجلاني الذي توفي بتاريخ 829 هـ/ 1426 م[*] وبسبب الاختلافات بين عائلة الأشراف نلاحظ أن علي وأبي القاسم وبركات من بين أبناء الشريف حسن بن عجلان تعاقبوا في الإمارة الواحد بعد الآخر. وفي زمن كتابة رسالة [السلطان محمد الثاني] كان بركات بن حسن بن عجلان قد أصبح أميراً للمرة الثالثة في 851 هـ/ 1447 م، بمنشور من السلطان المملوكي، محل أخيه أبي القاسم. وقد توفي وهو في منصبه هذا سنة 859 هـ/ 1455 م. إن أمير مكة إغتبط ببشرى فتح اسطنبول قرأ رسالة الفاتح على الناس إمام الكعبة كما وزع الأموال المرسلة [عليهم] وأرسل إلى السلطان هدية مع نجم الدين السيوطي عبارة عن 9 قطع قطع من قماش الهند و20 قطعة من الشاش (وهي عمائم معمولة من القماش الخفيف المسمى بالموسلين) وماء من زمزم وحمامات (مفردها حمامة) الحرم الشريف ـ انظر:

منشآت فريدون، ج 1، ص ص 232، 266.

(*) واضح أن اسم علاء الدين العجلاني ورد خطأً في رسالة الفاتح. وكان المفروض توجيه الرسالة باسم بركات بن حسن بن عجلان الذي كان أميراً على مكة المكرمة عندما فتح محمد الثاني القسطنطينية في 1453 م [المترجم].

خالصة (آلتون)، وفيما عدا ذلك أرسل من مال الغنائم 7000 قطعة ذهبية لتوزيعها على السادة والنقباء والفقراء والخدم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما طلب [من أمير مكة] أن يدعو له [بالتوفيق] لقد أخذ السلطان محمد الثاني بنظر الاعتبار كون أمراء مكة تحت إدارة الدولة المملوكية في مصر أثناء إرسال الرسول. ولذا فإنه أرسل رسالة ثانية إلى السلطان المملوكي يعلمه بالأمر. أن تاريخ الرسالة المرسلة إلى السلطان المملوكي هو ذو العقدة 857 هـ/تشرين الثاني 1453م[1].

(1) منشآت فريدون ج 1 ص ص 232 ـ 233.

نقابة الأشراف

كان هذا المصطلح موجوداً في الدولة المملوكية أيضاً وقد أخذه العثمانيون عنهم. وإذا كانت هذه الوظيفة في الدولة العثمانية مستقلة في الأدوار الأولى فإنها أصبحت مرتبطة فيما بعد بالتنظيمات القضائية والدينية.

إن نقيب الأشراف هو أمير ورئيس السادة والأشراف المنحدرين من سلالة الرسول الكريم ﷺ. وهو في الدولة العثمانية الموظف المشرف على السادة والأشراف والمسؤول عن تسجيل وضبط شجرة أنسابهم. وكان مقر نقيب الأشراف في مركز الدولة [العاصمة العثمانية]. وينوب عنه في بقية المدن أشخاص من السلالة ذاتها يلقب كل منهم بلقب قائمقام نقيب الأشراف. وينظر هؤلاء أيضا في شؤون السادة والأشراف ويسجلون مواليدهم وملاحظة عدم قيامهم بما يتنافى مع الآداب والأخلاق، ومعاقبة من يفعل العكس. وباختصار فإنه مسؤول عن جميع أمور السادة والأشراف. وكان عزل وتبديل قائمقام نقيب الأشراف يتم بإشارة من نقيب الأشراف نفسه.

لقد استحدثت وظيفة نقيب الأشراف في الدولة العثمانية في زمن بايزيد بلدرم (1389 ـ 1402 م). وقد عين ناظراً على السادة والأشراف في الدولة العثمانية شخص من السادة بغدادي الأصل ومن

طلاب أمير بخاري «Emir Buhari» وهو السيد علي نطاع بن محمد[1]. وقد منح السيد علي نطاع عند تعيينه في هذه الوظيفة الأشراف على الزاوية الإسحاقية المشيدة في مدينة بورصة[2]. واشترط أن يستمر هذا الإشراف في أولاده[3].

وبعد معركة أنقرة وواقعة تيمورلنك[4] وبسبب تمزق الدولة العثمانية سجن السيد علي نطاح لفترة من الزمن ثم أطلق سراحه حيث ذهب إلى الحجاز ثم عاد أخيراً إلى بورصة في عهد السلطان مراد الثاني (1421 ـ 1451 م) حيث أصبح مشرفاً على الزاوية الإسحاقية واستمر في وظيفته القديمة [ناظراً للسادة]. وبعد وفاة سيد نطاع أصبح ابنة سيد زين العابدين نقيباً للأشراف[5].

وبعد وفاة زين العابدين بقي هذا المنصب شاغراً لفترة من

---

(1) شقائق ذيلي عطائي ص 176، مجموعة قوانين تشريفات (مكتبة الجامعة ـ رقم 220)، دوحة النقباء ص 7. يذكر هؤلاء وجود سيد علي نطاع مع جد عاشق جلبي وتعيينه بعد مجيئه إلى بورصة مع أمير سلطان [أمير بخاري] ناظراً للسادة.

(2) لقد بنيت زاوية الشيخ أبو إسحاق الكازروني أولاً من قبل بايزيد يلدرم. ونفهم من الكتابة الموجودة على جامع أبو إسحاق في بورصة بأن هذا المكان قد خرب ثم عمر مرة أخرى سنة 884 هـ/ 1479 م.

(3) يذكر هامر استحداث وظيفة «نظارة السدة» في زمن السلطان محمد جلبي وإلغاؤها في عهد محمد الثاني الفاتح وبعثها مرة أخرى في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481 ـ 1512) انظر. هامر [دولت عثمانية تاريخي] ترجمة عطابك ـ ج4، ص 91.

(4) الإشارة هنا إلى هزيمة بايزيد الأول الأول إمام تيمورلنك في معركة أنقرة (27 تموز 1402) وأسره وما أعقب ذلك من تمزق في الدولة العثمانية بسبب الصراع على السلطة بين أبناء بايزيد الأول الأربعة سليمان الأكبر ومحمد الأصغر وموسى وعيسى وقد انتهى الصراع بانتصار محمد الذي أصبح يعرف بالسلطان محمد الأول (1413 ـ 1421) [المترجم].

(5) شقائق ذيلي عطائي ص 161، دوحة النقباء ص 7.

الزمن، ثم عين السيد محمود، وهو تلميذ ملا عبد الله القرملي معلم (خوجاً) السلطان بايزيد، الذي كان قد جاب بلاد العرب والعجم وعاد إلى اسطنبول سنة 900 هـ/ 1494 م، ناظراً للسادة والأشراف باسم «نقيب الأشراف» باجر يومي قدره 20 أقجة[1] تصرف له كراتب من خزينة الدولة[2]. إن شغور هذا المنصب لفترة طويلة وادعاء كثير من الأشخاص غير اللائق بكونهم من السادة والأشراف سبباً لعودة هذا المنصب إلى الوجود مرة أخرى[3].

لقد كان السيد نطاع وابنه زين العابدين يلقبون بلقب ناظر وليس نقيب الأشراف. ثم أصبح صاحب هذه الوظيفة يعرف باسم نقيب الأشراف بناءً على طب من السيد محمود الذي كان قد لاحظ تسمية أصحاب هذا المنصب باسم نقيب الأشراف في مصر وسوريا وشبه الجزيرة العربية[4].

❀ ❀ ❀

كان على نقيب الأشراف الجديد، بموجب المراسيم، المجيء إلى مقر الوزير الأعظم «Pasakapisi» لتقدير الشكر. وبعد الجلوس هناك لبرهة من الوقت يقدم إلى الوزير الأعظم بواسطة مسؤول

(1) الأقجة Akce عملة فضية عثمانية ضربت سنة 729 هـ/ 1328 ـ 1339 م في عهد الغازي أورخان (1326 ـ 1360 م) واستخدمت لدى العثمانيين بمثابة الدرهم الذي كان يستخدم في البلدان الإسلامية المجاورة كالعراق وسوريا وغيرها. وقد ضربت في البداية بعيار 0,90 ووزن ربع مثقال (6 قراريط) وقد تعرض وزنها وعيارها إلى انخفاض مستمر مع مر الزمن (المترجم).

(2) قوانين تشريفات، الورقة 30، عطائي ص 176.

(3) قوانين تشريفات، الورقة 30.

(4) شقائق ذيلي عطائي، ص 176.

المراسيم «التشريفاتجي» وعند دخول نقيب الأشراف إلى مجلس الوزير الأعظم يقف الأخير مقابل نقيب الأشراف الذي يقوم بتقبيل طرف [ثوبه] ثم يجلس حيث يكرم ويلبس فرو السمور بمناسبة تولية المنصب ثم ينصرف بعد ذلك[1].

كان السادة والأشراف يعرفون بين الناس باسم «أمير» كما كانت العمامة الخضراء التي يلبسوها تسمى «عمامة الأمير emir sariki». ولما كان الذين يصبحون نقباء أشراف يلبسون عمامة خضراء على القلنسوة مثل العلماء[2] المعروفين باسم «عرف orf» فإن السادة والأشراف كانوا يلبسون أيضاً، وكما ذكرنا، عمامة خضراء بالشكل نفسه[3].

وإذا كان هامر يذكر بأنه حتى سنة 1005 هـ/ 1596 م كانت شارة السادة والأشراف علامة خاصة على غطاء الرأس، دون ذكر ماهية هذه الشارة، وإذا كان يشير إلى تكرر لبسهم القلنسوة ذات العمامة الخضراء منذ ذلك التاريخ[4] فإن تخصيص العمامة الخضراء

---

(1) عزي تاريخي، الورقة 20 وكذلك دفتر يومية غرفة التشريفات (أودي تشريفات) في، أرشيف رئاسة الوزراء ـ دفاتر التشريفات ـ الرقم 676، ص 45.

(2) المقصود هنا القضاة والمفتين ورجال الدين (المترجم).

(3) **أمر إلى والي وقاضي قيصرية:**

«إن الشخص المسمى علي الساكن في مدينة قيصرية والذي يضع علامة خضراء على رأسه يعتدي على المسلمين وهذا مر غير صحيح. وقد أمرت بإبلاغ نقيب الأشراف بنزع العمامة الخضراء من رأسه. وعندما يصل أمري الشريف أنزع العمامة الخضراء من الشخص المذكور وامنعه عن لبس العمامة الخضراء في رأسه بعد ذلك. فإذا لم يمتنع قم بتأديبه...».

مهمة دفتري، رقم 5 ص 79ـ صفر 973 هـ.

(4) هامر، ج 7، ص 224.

لهؤلاء يلاحظ من وثيقة تاريخها 973 هـ/ 1565 م. ويبدو أن منشأ ملاحظة هامر هذه هو أنه حتى ذلك التاريخ كان بعض الشرفاء يلبسون العمائم البيضاء والبعض الآخر العمائم الخضراء بعدما كانوا قد أمروا بلبس عمائم خضراء، والمصادر التي نذكرها تؤيد ذلك[1].

لما كان نقباء الأشراف يعيّنون من بين صنف العلماء فإنهم جميعاً كانوا قد عملوا سابقاً كقضاة أو قضاة عسكر[2] بل وحتى شيخ الإسلام[3]. وكان يجوز أن يعهد لشخص واحد بالوظيفتين في آن واحد إلا أن هذا كان نادر الحدوث[4].

❀ ❀ ❀

كان نقيب الأشراف يعاقب المقصرين ومرتكبي الذنوب من السادة والأشراف وكان بمعية نقيب الأشراف آغا وجاوشية[5]. وفي الأدوار الأولى من العهد العثماني لم يكن يسجل عدد زائد من السادة والأشراف في دفاتر نقباء الأشراف المسماة «الشجرة المطيبة». ولكن فيما بعد سجل فيها عدد كبير من الذين هيأوا شجرات نسب مزورة

---

(1) انظر ذيل خالقونديل Halkondil قسم التشكيلات. ويذكر ريكو «Ricaut» بأن السادة والأشراف كانوا يلبسون عمائم خضراء في القرن السابع عشر (الترجمة الفرنسية ص 273).

(2) كانت الدولة العثمانية قد قسمت إلى منطقتين قضائيتين هما الرومللي وتكون تحت إشراف قاضي عسكر الرومللي الذي يشرف على الأوربية والقرم وشمال أفريقيا والثانية هي الأناضول وتكون تحت إشراف قاضي عسكر الأناضول الذي يشرف على المناطق الآسيوية ومصر أيضاً (المترجم).

(3) شيخ الإسلام هو المفتي الأكبر في الدولة العثمانية [المترجم].

(4) دوحة النقباء، ص 12 ـ 14.

(5) الجاوشية وهنا تعني المراسلين والمحضرين. وكان هناك جاوشية ورئيس (جاوشية باشي) في سراي السلطان العثماني ودائرة الصدر الأعظم (الوزير الأول) ودواوين ولاة الولايات وفي المحاكم أيضاً (المترجم).

وشهوداً مزورين وذلك لأجل الاستفادة من امتيازاتهم وإعفائهم من الضرائب.

كان يوجد في دوائر نقباء الأشراف مكان لسجن المذنبين من السادة والأشراف. وكانت هذه السجون تضم [السادة الأشراف] ممن رفعت دعاوى ضدهم بسبب عدم إيفائهم بديونهم أو ارتكابهم جرماً. وكانت هذه السجون تحت أشراف ومسؤولية الباش جاووش[1]. وإذا تقرر معاقبة السيد أو الشريف فإن علامة الإمارة التي هي العمامة الخضراء كانت تنزع عن رأسه وتقبل ثم يمدد [صاحبها] أرضاً حيث يضرب بالعصا [الفلقة]. أما من يستحق الإعدام فإنه يعدم بأمر من نقيب الأشراف فقط.

لقد أعطي لقب علمدار «حامل العلم» إلى أكبر أمراء السادة والأشراف بعد نقيب الأشراف. وهذا يكلف بحمل اللواء «السنجق» الشريف Sancag-i Sarifi الذي يخرج من السراي [قصر السلطان] مع الجيش في زمن الحرب[2]. وعند ذهاب وإياب السنجق الشريف كان نقيب الأشراف والسادة والأشراف يشاركون في مراسيم السنجق بالتكبير ورفع الصلوات. وطبقاً للقانون كان نقيب الأشراف يسير قرب

---

(1) حينما تبرع السلطان محمود الثاني بمقدار من المال لتسوية ديون المسجونين في الزنزانات فإنه أرسل أيضاً مبلغ 11000 قرش لتسديد ديون السادة والأشراف الموقوفين في سجن نقيب الأشراف وإرضاء الدائنين وبالتالي إطلاق سراح الموقوفين. انظر وثائق الدولاب (دولاب وثيقلري) المحفظة 226 ـ خط همايون رقم 91 بتاريخ صفر 1229 هـ/ كانون الثاني 1814 م.

(2) ريكو، تاريخ الأمبراطورية العثمانية في الوقت الحاضر ص 273، ص 275. وإذا ورد في قانوننامة نعمت أفندي في القرن الثامن عشر بأن إمام الوزير الأعظم كان يحمل السنجق الشريف فإن هذا كان أثناء المراسيم فقط حيث أن [السنجق] يسلم بعد ذلك إلى العلمدار.

السنجق الشريف في حين يسير السادة والأشراف حول الطوغ[1] الهمايوني[2].

وطبقاً للقانون أيضاً كان نقيب الأشراف أول من يبدأ البيعة للسلطان العثماني عند جلوسه على العرش. وكان السلطان يقف، سواء في مراسيم الجلوس على العرش أو مجيء نقيب الأشراف للتبريك في الأعياد، أثناء تلقيه تبريكات نقيب الأشراف احتراماً له في الوقت الذي يهلل فيه جاوشية الديوان [السلطاني]. وكان لنقيب الأشراف ألقاب معينة يذكر بها في الكتب الرسمية الموجهة إليه[3].

---

(1) الطوغ عبارة عن خصلة من ذيل حصان تعلق على سارية في أعلاها كرة معدنية. وفي التقليد الإداري العثماني كان يحق لولاة الولايات ممن هم برتبة أمير أمراء (بكربك) رفع طوغين. أما الولاة الذين بدرجة وزير (باشا) فكان لهم حق رفع ثلاثة أطواغ في مواكبهم الرسمية (المترجم).

(2) قانوننامة عبد الرحمن باشا (مجلة الدراسات القومية ـ مللي تتبعلر مجموعة سي ـ العدد 3 ـ ص 533) وقانوننامة نعمت أفندي. ص 40.

(3) في القرن السادس عشر كان ألقاب الذين يصبحون نقباء إشراف بالشكل التالي: نقابت بناء نجابت دستكاه قدورة الأشراف والسادة منبع السيادة والسعادات شرف الدنيا والعقبا مظهر فحواي «إلا المودة في القربى» مظهر آل طه ويسن ثمرة شجرة «وما أرسلناك ألا رحمة للعالمين» المختص بمزيد عناية الملك الناصر سدة سعاد تمدة نقيب الأشراف أولان مولانا عبد القادر زيد سيادته...
منشآت فريدون، ج 1، ص 11.

بدء إرسال السلاطين العثمانيين الأوائل الصرة إلى مكة والمدينة

أبدى سلاطين الدولة العثمانية الرعاية للسادة والأشراف الذين جاؤوا إلى دولتهم كما اهتموا بتأمين راحتهم ومعاشهم وأعطوهم براءات[1] بهذا الشأن[2]. بل أن السلطان مراد الثاني اتبع عادة توزيع مبلغ 1000 فلوري filori[3] سنوياً بيده على أولاد الرسول ﷺ في المدن والقصبات[4].

---

(1) البراءة في المصطلح الإداري العثماني تعني المذكرة أو المنشور. (المترجم)

(2) عثمانلي تاريخي أبخمني مجموعة سي ـ السنة الخامسة ـ ص 244 صورة منشور «براءة» من السلطان مراد الأول تاريخها 787 هـ/ 1385 م.

(3) عملة مدينة جنوة الإيطالية وكانت قيد التداول في الدولة العثمانية أيضاً إلى جانب عدد آخر من العملات المحلية غير الرسمية. وتسمى أيضاً الفلوري الفرنجي «Frengı Flori»وهي عملة ذهبية. وكان كل فلوري يساوي 38 أقجة في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس عشر وفي ستينات وسبعينات القرن ذاته أصبح يساوي 40 و45 أقجة على التوالي وفي أواخر ذلك القرن أصبح يعادل حوال 50 أقجة. واستمر هذا الرقم في ارتفاع مع انخفاض قيمة الأقجة الفضية (المترجم).

(4) عاشق باشا زادة، ص 196.

إن أول من أرسل الإعانات المسماة «صرة Surre»[1] إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة من السلاطين العثمانيين هما بايزيد يلدرم وابنه السلطان محمد جلبي. وبعد هذا أخذ ابنه مراد الثاني يرسل إلى مكة والمدينة والقدس وخليل الرحمن[2] «صرة» مقدارها 3500 فلوري. إن الصرة التي أرسلت في سنة 855 هـ/ 1451 م كان مقدارها 801 كيس[3]. وقد خصص نفس السلطان إيرادات قرى منطقة بالق حصار Balik Hisari وقفاً لمكة[4]. وفي وصيته التي كتبها في رجب سنة 850 هـ/ نهاية أيلول 1446 خصص مبلغ 3500 فلوري لفقراء مكة ومثلها لفقراء المدينة[5].

وفيما عدا الصرة التي أرسلها السلطان محمد الفاتح عقب فتح اسطنبول لا نعرف كم صرة أرسلت في السنوات التالية. أما صرة ابنه بايزيد الثاني التي كانت مخصصة لأهل مكة والمدينة مناصفة فقد كان

(1) الصرة تعني كيس المال.
(2) ربما المقصود بها مدينة الخليل في فلسطين المحتلة (المترجم).
(3) مرآتي مكة ص 658. ص 707 [كان كيس الأقجة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر 30,000 أقجة وهبط إلى 20,000 أقجة في منتصف القرن السادس عشر ثم ارتفع إلى 40,000 أقجة في منتصف القرن السابع عشر و50,000 أقجة في بداية القرن الثامن عشر. أما كيس الذهب فيحوي على 10,000 قرش ذهبي (المترجم).
(4) عاشق باشا زادة ص 196.
(5) جاء في وصية السلطان مراد الثاني «000 لقد أوصيت بنية خالصة وطوية صافية في يوم الثلاثاء 9 جمادى الأولى سنة 850 هـ أن يخصص ثلث مالي في صاروخان (مانيسا Manisa) ثواباً لروحي. وعينت من هذا المال مبلغ 10000 فلوري تصرف على الوجه التالي: 3500 فلوري لفقراء مكة الشريفة و3500 فلوري لفقراء المدينة الشريفة شرفها الله تعالى و3500 فلوري لذكر «لا إله إلا الله» سبعين ألف مرة في وسط مسجد النبي عليه الصلاة والسلام مقابل تربته المطهرة. . . .».

مقدارها 14000 دوكا duka ذهبية[1]، وكانت هذه الصرة ترسل سنوياً إلى مكة في عيد الأضحى[2].

أما السلطان ياوز سليم (1512 ـ 1520 م) فقد أرسل صرة تبلغ ضعف صرة والده. وفيما عدا هذا فإن ياوز سليم قد أرسل، بعد احتلاله مصر، مبلغ 500 دوكا لكل من الشرفاء و6 سكة[3] لكل من بقية المشايخ و3 دوكا لكل من أعيان المدينة ودكا واحدة لكل من الفقراء خارج مكة والذين أحصوا فرداً فرداً. وإضافة إلى هذه المبالغ التي بلغ مجموعها 200,000 دوكا ذهبية أرسل كمية من الحبوب قام بتوزيعها على سكان مكة والمدينة أول أمين صرة «Surre emini» عين سنة 923 هـ/ 1517 م وهو الأمير مصلح الدين الذي أرسل من مصر بمعية اثنين من القضاة[4]. وبعد ذلك أصبح إرسال الصرة سنوياً من

(1) عملة مدينة البندقية الإيطالية وكانت قيد التداول في الدولة العثمانية أيضاً، وهي عملة ذهبية أيضاً كما أن قيمتها بالنسبة للأقجة الفضية لم تكن ثابتة شأنها شأن الفلوري. وكانت قيمة الدوكا الذهبية حوالي 200 أقجة في أواخر القرن السادس عشر. وهناك دوكا عادية تعادل حوالي 50 أقجة (المترجم).

(2) إن إرسال السلطان بايزيد الثاني صرة كبيرة سنوياً إلى مكة لأجل توزيعها كان باعثاً للشاعر العربي الكبير الشيخ شهاب الدين أحمد بن عليف المسمى شاعر Betha (توفي 922 هـ/ 1516 م) لنظم قصيدة في مدح السلطان بايزيد. أن هذا الشاعر الذي جاء إلى اسطنبول قدم قصيدته البليغة هذه إلى السلطان باسم «الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الروم». وقد أنعم السلطان، الذي تأثر بهذه القصيدة، على الشاعر بألف قطعة ذهبية وكان يرسل له مائة قطعة ذهبية سنوياً أيضاً. (مرآتي مكة ـ ج 2 ـ ص 670 ـ ص 671).

(3) سكة أو سكة حسنة تعني قرش ذهبي خالص (المترجم).

(4) تاريخ التواريخ، ج 2، ص 371 وهامر، ج 4، ص 236 و Duhson, Vol.2.p.257، وقد خصص السلطان ياوز سليم صدقة من الحبوب تسمى جراية قدرها 5000 أردب لمكة و2000 أردب للمدينة. وقد زيد هذا المقدار فيما بعد مع ازدياد سكان هاتين المدينتين. وفي أوائل هذا القرن كانت الحبوب المرسلة إلى مكة 12000 أردب والمدينة 8000 أردب. وكانت ترسل من محصول حقول =

قبل العثمانيين تقليداً. وقد أطلق أهل الحرمين، أي مكة والمدينة، على هذه الصرة اسم «الصدقات الرومية ـ Sadakati Rummiyy».

❀ ❀ ❀

بعد احتلال سوريا ومصر والقضاء على الدولة المملوكية استمر العثمانيون على إرسال أوقاف الصرة التي كانت ترسلها تلك الدولة إلى الحجاز سنوياً. كما أنهم قبلوا وطبقوا مراسيمها وأضافوا إلى مقدار الصرة أيضاً. وقد زاد السلطان سليمان القانوني (1520 ـ 1566 م) مقدار الصرة المرسلة من مصر.

إن الصرة أي الصدقات المرسلة سنوياً من مصر إلى المحتاجين في الحرمين والحبوب المسماة غلال وكذلك الدشيشة «desise» (الحنطة المنظفة) كانت تؤمن من خاصكية عتيق «gasekiye-tik» ودشيشة الكبرى ودشيشة الصغرى أو المحمدية[1] ومن أوقاف الحرمين الشريفين في مصر. وكانت القرى العائدة لأوقاف الحرمين الشريفين في مصر تسمى قرى الدشيشة[2]. وفي العهد العثماني كانت تولية

= الوقف بمعرفة ناظر الأوقاف المصرية.
الأردب يساوي 108 أوقية بحساب الأوقية القديمة 400 درهم وبحساب كيلة اسطنبول يساوي الأردب 4,5 كيلة اسطنبولية.

(1) يتضح من سياق هذه الفقرة أن هذه تسميات لإيرادات أوقاف معينة من قرى أو مناطق محددة. ويبدو من تسمية «خاصكية عتيق» أيضاً أن هذه التسميات ترجع إلى عصر المماليك في مصر. لأن الخاصكية أفراد فئة من المماليك السلطانية عرفت بهذا الاسم في عصر المماليك. وكانت هذه الفئة تسمى بالجوانية أيضاً مقابل اسم البرانية أو الخرجية الذي كان يطلق على المماليك والأمراء غير الخاصكية (المترجم).

(2) بلغت كمية الحنطة في الجراية المرسلة سنوياً من مصر إلى أهالي مكة والمدينة 6000 أردب في أواسط القرن السادس عشر 974 هـ/ 1566 م (مهمة دفتري رقم 9، ص 8 ورقم 14، ص 766). وطبقاً لدفتر ديوان مصر في سنة 1101 هـ =

[أوقاف] الخاصكية عتيق في أوجاق عزاب مصر[1] والبقية في أوجاق انكشارية مصر. ولكن بسبب الفساد أخذت هذه التولية من هذه الأوجاقات وأعطيت إلى المتولين اعتباراً من سنة 1101 هـ/ 1690م[2].

إن الجزء الأعظم من الجزية المأخوذة من غير المسلمين تحت اسم صدقات جوالي Sadakat Cevali قد خصص منذ عهد السلطان سليمان القانوني لأهالي الحرمين (مكة والمدينة)[3].

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن أولى الصرات العثمانية وسنتطرق في الصفحات القادمة إلى مراسيم إرسال الصرة في العهد العثماني من اسطنبول مع أمين الصرة.

- بلغت كميتها 19161 أردب أي حوالي 1,5 مليون كيلو (مهمة دفتري الرقم 108، ص 426) وكانت هذه تنقل بواسطة السفن. ومن الجدير بالذكر أن حساء الحنطة المطبوخة يسمى ودشيشة أيضاً في مكة والمدينة.

(1) إحدى الوحدات العسكرية العثمانية في مصر. وهي قوة مشاة مهمتها الرئيسية حماية القلاع في القاهرة وخارجها. وقد أخذت التسمية من كلمة عازب لأن أفراد القوة كانوا من غير المتزوجين (المترجم).

(2) راشد تاريخي، ج 2، ص 115.

(3) أولياء جلبي سيا حتنامه سي، ج 1، ص 161.

دخول الحجاز ضمن الإدارة العثمانية

منذ أواخر القرن السادس الهجري، أي 597 هـ أو 599هـ/ 1200 ـ 1202 م، انتقلت إمارة مكة من عائلة بني هاشم المسماة بني فليطة التي تنحدر من الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] إلى أمير ينبع أبو عزيز قتادة بن إدريس المنحدر من الإمام الحسن أيضاً[2]. وقد استمر أبناء قتادة وأحفاده في إمارة (أو شرافة) مكة حتى استرداد آل سعود الحجاز سنة 1343هـ/ 1924 م.

---

(1) أخذت هذه الأسرة (إمارة) مكة بعد أسرة بني موسى سنة 460 هـ/ 1067 م. وأول أمراء هذه الأسرة هو أبو هاشم محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن حسين بن محمد الساير. . . بن الإمام حسن بن علي بن أبي طالب. وبإضافة اسم أبو فليطة (518 ـ 528 هـ) عرفت هذه الأسرة فيما بعد باسم بني فليطة. إن فليطة بن قاسم هذا أديب وشاعر. وقد قام ابنه هاشم بن فليطة بنهب قافلة الحج القادمة من العراق إلى مكة سنة 539 هـ/ 1144 م. وأن إمارته هذه قد استمرت من سنة 527 هـ إلى 549 هـ (1133 ـ 1154 م) وبعد وفاته أصبح ابنه قاسم أميراً محله، إلا أنه دخل في صراع مع عمه عيسى بن فليطة وأجبر في سنة 556 هـ/ 1161 م على ترك الإمارة لعيسى ثم قتل. وقد بقي عيسى في الإمارة حتى سنة 570 هـ/ 1174 م وبعد وفاته حل محله ابنه داود.

(2) أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطين بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الساير بن موسى بن عبد الله. . . . . بن الإمام حسن بن علي بن أبي طالب.

لم يكن أمراء أو شرفاء مكة مستقلين تماماً بل كانوا تحت نفوذ الدول الحاكمة في مصر، وكانوا يذكرون أسماء حكام تلك الدول في الخطبة.

خلال فترة إمارة قتادة بن إدريس أصبح الأيوبيون حكام مصر وسوريا واليمن وقد اعترفوا بالإدارة الشريفية في مكة والمدينة، وقد اعترفت دولة المماليك التي أعقبت الدولة الأيوبية بذلك، كما اعترف العثمانيون أخيراً بإمارة الأسرة ذاتها في الحجاز التي أصبحت خاضعة لحكمهم (أي العثمانيين) وأرسلوا (أي إلى أمراء الحجاز) براءات بخصوص قبول إمارتهم والمصادقة عليها.

إن كون مهد الإسلام أي مكة والمدينة تحت حكم هذه الدولة كان ذو أهمية كبيرة من الناحيتين السياسية والدينية لأنها تكسبهم نفوذا وحرمة معنوية كبيرة في العالم الإسلامي. وأن السلاطين العثمانيين الذين اعتبروا أنفسهم، بدءاً من السلطان ياوز سليم، خلفاء[1] أي وكلاء الرسول ﷺ وحكام العالم الإسلامي من الناحية المعنوية قد أخذوا بنظر الاعتبار دوماً الفائدة المعنوية المتأتية من كونهم حكاماً لهذه المناطق (أي مكة والمدينة).

---

(1) أشارت بعض الروايات إلى أن المتوكل آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة قد تنازل للسلطان سليم الأول (1512 ـ 1520 م) بعد احتلاله مصر سنة 1517 م. وقد ناقش توماس أرنولد في كتابه «الخلافة» هذه المسألة وفندها. والحقيقة أن السلاطين العثمانيين أنفسهم لم يهتموا بلقب الخلافة اهتماماً جدياً إلا بعد أن أصاب الدولة العثمانية الضعف منذ أوائل القرن الثامن عشر وبخاصة بعد عقد معاهدة كوجك كينارجي 1774 م التي سمحت فيه روسيا للسلطان بالإبقاء على بعض الصلاحيات الدينية في شبه جزيرة القرم ـ التي احتلها الروس ـ باعتباره خليفة للمسلمين [المترجم].

لقد استولى السلطان ياوز سليم على سورية وفلسطين بعد معركة مرج دابق في 922هـ/ 1516 م وعلى مصر بعد معركة الريدانية في 923هـ/ 1517 م. وبقضائه على دولة المماليك اعترفت مكة والمدينة، التي كانت تحت نفوذ المماليك، بالحكم العثماني. وقد أرسل أمير مكة آنئذٍ الشريف بركات بن محمد الحسني(1) ابنه الشريف أبو نمي، البالغ لتوه الثانية عشرة من عمره، مع رسوله المسمى عرار Arrar إلى مصر مظهراً التبجيل للسلطان العثماني ومقدماً له مفاتيح مكة.

إن مجيء الشريف أبو نمي بن بركات إلى مصر كان في 13 جمادى الآخر سنة 923 هـ (آب 1517 م). وقد أمر السلطان باستقباله والترحيب به وأنزل ضيفاً في المكان المخصص له(2).

---

(1) إن الأمر المثير للاستغراب هو أن كتاب دولي إسلامية Duvel-i Islamiye ص 149 وزامباور Campaver يذكران أن اسم أمير مكة عند استيلاء السلطان سليم على مصر هو الشريف أبو نمي محمد بن بركات. ولقد كان الشريف أبو نمي آنئذٍ صبياً في الثانية عشرة من عمره فقط وقد بعث من قبل أبيه إلى السلطان سليم. أن المؤرخ ابن أياس الذي كان على قيد الحياة آنئذٍ يذكر بأن أمير مكة أثناء احتلال مصر هو بركات الذي أرسل ابنه أبو نمي إلى مصر (مجلده ـ ص 186) ويؤيد ذلك ما ورد في دفتر يوميات حيدر جلبي «حيدر جلبي روزنامة سي».

(2) ورد في روزنامة حيدر جلبي «. . . في 13 جمادي الآخرة من سنة 923 هـ (آب 1517) جاء الشريف أبو نمي ابن أمير مكة الشريف بركات. وقد أمر الأغوات باستقباله. وفي يوم 16 منه جاء الشريف المذكور أبو نمي مع مختلف الهدايا مشرفاً الديوان بنور طلعته. ونصب له مقعد بين قاضي العسكر والوزير الأعظم يونس باشا. أما ابن عمه الرسول عرار فقد جلس على مقعد في الجهة المقابلة. وبعد أن جرى ترتيب الديوان ذهب وتشرف بمقابلة السلطان حيث قدمت الهدايا. وبعد ذلك ذهبوا إلى مقر «دولتخانة» آغا البلوكات(*). وقد ذبح (له) يومياً 30 خروف وتمت رعايته بدون تقصير. وفي اليوم الثاني والعشرين جاء الشريف أبو

(*) يبدو أن المقصود هنا قائد وحدات (بلوكات) قوة الإنكشارية التي اشتركت في احتلال مصر. (المترجم).

وبعد تقديم الهدايا التي جلبها الشريف أبو نمي إلى الديوان في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه، أي بعد ثلاثة أيام من مجيئه، حيث جلس على المقعد الموضوع بين قاضي العسكر والوزير الأعظم يونس باشا. أما ابن عمه الشريف عرار الذي جاء معه بصفة رسول فقد جلس على كرسي في الجهة المقابلة. وبعد سماع مذاكرة الديوان وانتهاء أعماله قوبل (أبو نمي) من قبل السلطان حيث قدم له الهدايا التي جلبها. وخلال فترة ضيافة أبو نمي ورسوله كان يذبح 30 خروف يومياً كما أمنت بقية احتياجاتهم بشكل زائد. وفي 22 جمادي الآخرة مثل الشريف أبو نمي في حضرة السلطان للوداع. وقد ألبس الخلعة وقبل الأيدي (أي أيدي السلطان)[1].

عاد أبو نمي إلى مكة في رجب 923 هـ مع هدايا كثيرة وجلب معه أيضاً منشور إمارة مكة الذي منح لوالده. كما صرف لأمير مكة راتب من خزينة مصر[2]. ومع عودة الشريف أبو نمي أرسل السلطان مبلغ

نمي إلى حضرة السلطان صاحب الدولة لأجل (لبس) الخلعة وقبل الأيدي (أيدي السلطان) انظر، منشآت فريدون ج 1، ص 439 طبعة تقويمخانة ـ سنة 1264 هـ. أما ابن أياس فيذكر امتثال أبو نمي (إمام السلطان) قبل يوم واحد مما ورد في روزنامة حيدر جلبي. انظر فيما يلي في الجزء الخاص بأمراء مكة الهامش الخاص بقسم سيرة الأمير بركات.

(1) روزنامة حيدر جلبي (الموجودة في منشآت فريدون بك) ج 1 ص 439.

(2) تاج التواريخ، ج 2، ص 371، أولياجلبي، ج 1 ص 173، وقد أخرج مبلغ 25000 قرش من خرجية جيب همايون Ceb-i Humayon المأخوذة للسلطان سنوياً من جائزة ولاة مصر(*) وخصص لأمراء مكة (أرشيف رئاسة الوزراء ـ تصنيف جودت وثائق الداخلية ـ الرقم 576) انظر القسم الخاص بمخصصات أمراء مكة.

(*) جائزة الولاة التي تسمى جائزة المنصب «منصب جائزة سي» أحياناً مبلغ كبير من المال يدفعه من يعين والياً على إحدى ولايات الدولة العثمانية ويستمر على دفعه سنوياً طيلة فترة بقائه والياً. (المترجم).

200,000 قطعة ذهبية ومؤن كثيرة لتوزيعها على أهالي مكة والمدينة. وقد جلب هذه (الأموال والمؤن) الأمير مصلح الدين واثنين من قضاة مصر ومعهم أمر بتوزيعها في محلاتها. ومنذ ذلك التاريخ فصاعداً أصبح اسم السلاطين العثمانيين يذكر في خطب مساجد مكة والمدينة.

وهكذا أقام العثمانيون نفوذهم وحكمهم في غرب شبه الجزيرة العربية بعد استيلائهم على مصر وسوريا، مع أخذ موقع مصر الجغرافي بنظر الاعتبار بصورة خاصة. وأصبحوا يديرون مكة والمدينة وجدة وينبع وأطرافها والتي أصبحت مرتبطة بولاة مصر لفترة طويلة.

إن شؤون مكة والمدينة، أي منطقة الحجاز، كانت تدار بناءً على تقارير من ولاة مصر. وابتداءاً من أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ولغاية تمرد والي مصر محمد علي باشا في 1248هـ/ 1832م كانت المعاملات الخاصة بأمراء الحجار تنجز بمطالعات وكتب من والي الشام الذي كان أمير الحاج[1] في الوقت نفسه. أما حفظ الأمن والنظام في مكة والمدينة فقد كان مسؤولية القوات المرسلة سنوياً بالتناوب من الأوجاقات السبعة الموجودة في مصر[2].

(1) «أمير الحاج» اسم وظيفة معروفة منذ عهد النبي ﷺ إذ كان ينيب عنه أحياناً عند الضرورة أحد الصحابة في رئاسة المسلمين الذاهبين إلى الحج وقد سار الخلفاء والولاة على هذه السنة فكانوا يعينون نواباً منهم يرأسون الحجيج خارج أقطارهم إلى بيت الله الحرام. (المترجم).

(2) أي الوحدات العسكرية السبعة الموجودة في مصر وهي الكونليان وتعني المتطوعين (وهم من الفرسان) والتفنكجيان أي حاملي البنادق (وهم من الفرسان) والشراكسة وهم من المماليك وتسمى هذه الوحدات الثلاثة باسم السباهية أي الفرسان. أما الوحدة الرابعة فهي الإنكشارية وتسمى مستحفظان (وهم من المشاة) والوحدة الخامسة هي العزاب (من المشاة) والوحدة السادسة هي الجاووشان وهم يبلغون أوامر الدولة ويجبون الضرائب. أما الوحدة العسكرية السابعة فهي «المتفرقة» أي الحرس الخاص للباشا (والي مصر). (المترجم).

تعيين أمراء (شرفاء) مكة ومخصصاتهم

عند شغور منصب أمير مكة بسبب وفاة الشريف الذي كان يشغله أو عزله أو استقالته فإن الأمير الذي يحل محله يعين من قبل السلطان بعد انتخابه من قبل الأشراف وبناء على تقارير مكة قاضي وولاة مصر والشام وجدة[1].

وفي حالة عدم حصول الاتفاق بين الأشراف على انتخاب أمير فإن الحكومة كانت تدرس بدقة التقارير المرفوعة من قبل الولاة وقاضي مكة وترجح واحداً من اثنين من المرشحين. وفي بعض الأحيان كانت رشوة سنجق بك «والي» جدة تؤدي إلى تعيين شخص غير مرغوب فيه الأمر الذي كان موجباً للإزعاج وعدم الرضا وباعثاً [للسلطان] على تعيين شخص آخر محله. وفي معظم الأحيان كانت تعطي أهمية كبيرة لعملية الانتخاب التي يقوم بها الأشراف فيما بينهم ويتم اختيار هؤلاء [الذين ينتخبهم الأشراف]. ولكن بسبب التنافر بين الأشراف كان الأمير المعين يبدل بعد فترة قصيرة ويحل محله شخص آخر وكان هذا يؤدي إلى حدوث مصادمات واضطرابات في مكة.

---

(1) كانت شؤون مكة وأطرافها تدار في الأدوار الأولى من قبل ولاة مصر وفيما بعد ولاة جدة. وكان لولاة الشام، بسبب كونهم يشغلون وظيفة «أمير الحاج» تأثير أكبر من ولاة جدة في عزل وتعيين شرفاء مكة.

وكانت هذه الحالات تكثر عندما تكون الحكومة منشغلة عن هذه المنطقة بسبب حروبها الطويلة [في مناطق أخرى].

۞ ۞ ۞

كانت ترسل إلى أمير مكة المعين حديثاً وثيقة «**براءة**» أو ما يسمى «**منشور الإمارة**» المتضمن تعيينه في الإمارة. وهذا المنشور يعرف وظائف الأمير الجديدة كما يتضمن بعض الوصايا أيضا. ولم تكن هذه المناشير، بسبب كونها طويلة وطنانة، تدون[1] في أواخر القرن السادس عشر والقرن السابع عشر[2]. ومنذ القرن الثامن عشر أصبحت مفصلة وطنانة أكثر وأصبحت تدون واستمرت كذلك حتى النهاية.

وللحصول على فكرة بهذا الخصوص توجد بين وثائق آرشيف رئاسة الوزراء (Bas Uekalet) منشور طويل مرسل إلى والي مصر علي باشا خال من اسم الأمير الذي ترك لمحمد على باشا أمر تعيينه محل الشريف يحيى بن سرور الذي عزل في ذي القعدة 1242هـ/ حزيران 1827 م وهناك عدد كبير آخر من مناشير أمراء مكة في أرشيف طوب قبوسراي Top Kapu Sarayi.

إن أمير مكة الجديد [الذي عينه محمد علي باشا] كان رئيس أسرة منافسة لأسرة ذوي زيد التي كانت بيدها إمارة مكة قبل زمن طويل من [عهد] محمد على باشا. وبهذه الطريقة جعل محمد على الحجاز تحت نفوذه.

---

(1) «ياز يلميوب Yazilmayip» اعتقد أنه يقصد عدم كتابة نسخة ثانية من منشور الإمارة للحفظ في المكان المخصص لها في العاصمة اسطنبول [المترجم].

(2) منشآت فريدون بك، ج 2، ص 6 (طبعة تقويمخانة 1265 هـ).

كان يكتب في أعلى المنشور المرسل إلى شرفاء أو أمراء مكة العبارة التالية فوق طغرا «**ختم**» السلطان بحوالي نصف متر:

[هو الله العزيز الغني المغني المعين الفتاح والنجاة نفذت أسماؤه وتتابعت نعماؤه وترادفت الاؤه وتزايدت إحسانه]

وفي أسفل هذه العبارة بنصف متر يأتي طغرا «**ختم**» السلطان ويليه سطر يتضمن العبارة التالية [**نيشان شريفي عالي الشأن سامي مكاني سلطاني وطغراي غرة جهانستان خاقاني نفذ بالعون الرباني حكم أولدركه..**][1] وبعد هذا السطر يبدأ السطر التالي [جون جناب (أو حضرة) كار فرماي خطي كن فكان ونظام بحشاي أمر ثنائي كون ومكان]... إلخ المنشور الطويل.

كان المنشور يتضمن أمراً [إلى أمراء مكة] بالخروج لاستقبال الحجاج في مدائن صالح أو المدينة المنورة وتوديعهم إلى هذه الأماكن نفسها عند عودتهم. وفي الختام يتضمن المنشور توصية [إلى أمراء مكة] بالمواظبة على الأدعية الخيرية مع عامة المجاورين والزائرين لدوام عمر الدولة [العثمانية] وقوة السلطان[2].

كانت جميع المناشير تصاغ بأسلوب واحد وتكتب بخط ديواني. وإذا كان هناك تغيير في بعض الكلمات في بعض المناشير فإن ذلك لم يكن يخل بجوهر المنشور. وكانت البراءة (المنشور) والكتب السلطانية

(1) معظم العبارة للدلالة على السلطان وتوقيعه والجملة الأخيرة «حكم أولدركة» تعني «أمر بـ..» (المترجم).

(2) «.. دوامي عمر الدولت وقوامي فرو شوكت وإجلالي شهر يانمز أدعية خيرية سنة عامي مجاورين وزائرين أيلة برابر اشتغال ومواظبت كورو لمسي توصية أو لنماقتدر».

(name-i humayun) المرسلة إلى أمراء مكة تكتب على ورق سلطاني عبادي «sultani abadi» وتزخرف برقائق الذهب وغيرها من المواد[1].

كانت المنشورات والكتب توضع داخل آكياس من الأطلس (الساتان) الأخضر ويعلق عليها كرة ذهبية «Kozak»[2]. ثم تغطى بغطاء يسمى يشماغ «Yasmak» وترسل إلى شريف مكة مع موظف من الخدمة الداخلية «**الأندرون**» [في قصر السلطان] وهو أغا القفطان[3]. وفي الوقت نفسه كان الوزراء يرسلون إلى أمير مكة قماش سراسر Seraser [كذا] ومعطف مبطن بالفرو ذو غطاء رأس «Kaplikurk» كما يرسل بعضهم سيفاً أو خنجراً[4].

وفي سنة 1245هـ/ 1829 م، في عهد السلطان محمود الثاني،

---

(1) أمر إلى الكاغتجي باشي Kagtici basi (رئيس الوراقين).
«... أعطي ثلاث طبقات من الورق السلطاني عبادي وأربع باقات (دسته) رقائق ذهب و100 درهم تحريري خاص tahrir-i has (كذا) و100 درهم من الشمع لاحتياجات الكتاب السلطاني (نامة همايون) الذي سيرسل من قبل الحضرة السلطانية إلى شريف مكة المكرمة ذو السيادة بواسطة آغا القفطان «Kafitan agasi» (أي أمين الخلعة) كالمعتاد 9000 ربيع سنة 1217 هـ» أرشيف رئاسة الوزراء - تصنيف جودت - وثائق الداخلية - 12868.

(2) إن الـ Kozak أو Kozalak علبة كروية الشكل تربط بالأكياس التي تحوي الكتاب السلطاني أو المنشور بواسطة وشاح مطرز بخيوط [ذهبية أو فضية]. وبعد ختم داخل العلبة الحاوية لتصديق المنشور بالشمع الأحمر كانت تغطى بشمع العسل. وكانت هذه العلب من الذهب أو الفضة أو المعادن الأخرى الأدنى.

(3) أمر إلى مسؤول الخزينة Hazinedar basi aga:
«.. أعطوا كيس من الأطلس وقطعتين من اليشماغ وذلك لحاجة المنشور العلي (السلطاني) الذي سيرسل مع أمين الصرة وآغا القفطان إلى مكة المكرمة..» في 9 جمادي الآخر 1221 هـ أرشيف رئاسة الوزراء - تصنيف جودت - وثائق الداخلية - رقم 2724.

(4) راشد تاريخي، ج 3، ص 127.

ونتيجة لتطبيق النظام الجديد أي تغيير الملابس القديمة، ألغيت عادة إرسال فرو السمور إلى أمراء مكة وبدلاً من ذلك أصبح يرسل لهم ما يسمى في الكتب السلطانية بـ«فراجي خضراء Ferace-i hadra» وهي [جبة] خضراء زمردية ياقتها مطرزة بخيوط [الذهب أو الفضة] ومزخرفة من الإمام في مواضع معينة إلى حد الحواشي باللؤلؤ. إن أرسال الهرواني الأخضر الزمردي قد تكرر واستمر ذلك حتى الأدوار الأخيرة [للدولة العثمانية][1].

(1) عريضة قائمقام الصدارة إلى السلطان (محمود الثاني):
سلطاني... ذو البأس والكرامة والمحبة لقد جرت العادة على إرسال كتبي سلطاني (نامة همايون) بالعربية والتركية من الطرف الأشرف الشاهنشاهي إلى أمير مكة بواسطة أمير الصرة الهمايوني وآغا القفطان. والآن وقد اقترب موعد إخراج الصرة الهمايونية في هذه السنة المباركة يوماً بعد يوم فقد كانت ترسل خلعة من فرو السمور مع الكتاب السلطاني الذي يرسل إلى الشريف محمد بن عون. وقد تركت هذه العادة وخصص بدلاً من ذلك، وطبقاً للأمر السلطاني، هرواني مع الجوخ الأخضر وذو ياقة مطرزة. وبناء على ذلك يجب إرسال هرواني مناسب بيد عبيد باشا السر عسكر (قائد الجند) إلى الشريف الموما إليه من الآن فصاعداً. ولما كانت قيمة فرو السمور تبلغ حوالي ستة أو سبعة آلاف قرش ولأجل أن تساوي قيمة الهرواني المبلغ نفسه فقد تقرر تزيين الحواشي المناسبة منه باللؤلؤ. ويكون بدء إرسال [الهرواني] من الشريف الموما إليه.... إلخ.
وبناء على التقرير السابق كتب السلطان محمود الثاني الخط الهمايوني التالي:
إلى القائمقام باشا....
أطلعنا على تقريركم هذا ونظرنا في صور كتبنا السلطانية التي سترسل إلى الشريف. ويجب تبييض كتبنا السلطانية وفقاً لهذه الصور (أي المسودات/ المترجم) وأن تعرض علينا لأجل ختمها بالختم السلطاني ولما وجدنا أنه من المناسب جداً إرسال هرواني إلى الشريف تيمناً وتبريكاً بدلاً من الفرو طبقاً لما ورد في تقريرك، فإن عليك أن تعمل [الهرواني] مثل ذلك..... ولما وجدنا أن من الملائم بالنسبة للشرفاء عملها من الجوخ الأخضر فإنها يجب أن تعمل من الجوخ الزمردي على الأخضر.
(أرشيف رئاسة الوزراء - المحفظة 8 - خط همايون رقم 46 - الرقم العمومي 27416).

كان الأمير المعين حديثاً يستقبل المنشور والخلعة المرسلة إليه ويقوم بتقبيل المنشور والكتاب الهمايوني ويحتفظ بهما لديه. وقد جرت العادة (أواخر القرن السابع عشر) على أن يلبس الأمير الخلعة المرسلة إليه في موقع قرب مكة المكرمة يسمى سبيل كوهي «Sebbil-i Guhi»[1].

وكان تكليف شريف مكة الجديد بمنصبه يعلن في المدن بواسطة المنادين وبإطلاق 19 قذيفة مدفع. وكان منشور الأمير يقرأ في الحرم الشريف على الأشراف والعلماء وغيرهم. وثم تتم البيعة للأمير الجديد، الجالس أسفل المنبر النبوي في الحرم الشريف بثلاثة أقدام، من قبل الأشراف والشيوخ وغيرهم من ذوي العلاقة. وكانت الطبول تقرع أمام باب أمراء مكة عصر كل يوم. وطبقاً للقانون كان اسم أمير مكة يذكر بعد اسم السلطان في الخطبة[2]، وكانت مرتبة أمراء مكة أعلى من الوزير بمرتبة واحدة[3].

وإذا كان أمير مكة الذي ستوجه إليه الإمارة من الأشراف المقيمين في اسطنبول أو أماكن قريبة من اسطنبول مثل أدرنه وبورصة (كان بعض الأشراف يخرجون من مكة بسبب خلافاتهم مع أمراء مكة ويأتون إلى مصر وسوريا أو اسطنبول) فإنه يمثل في حضرة السلطان حيث توجه إليه إمارة مكة ثم يرسل إلى الحجاز. وكان السلطان يقف على قدميه عند حضور الأمير الجديد وذلك احتراماً لجده [الرسول ﷺ].

---

(1) سلحدار تاريخي، ج 2، ص 781.
(2) خلاصة الأثر، ج 4، ص 448.
(3) انظر عريضة قائمقام الصدارة بشأن إرسال الهرواني إلى أمير مكة في أرشيف رئاسة الوزراء (الرقم 27416).

لقد كان في اسطنبول اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر عبد المطلب وبعض أبنائه من «ذوي زيد» وكثير من أبناء محمد بن عون من «ذوي عون». وقد حصل هؤلاء على رتب ومناصب عالية. وعند شغور إمارة مكة كان يتم اختيار الشخص المناسب من هؤلاء للمنصب.

مخصصات أمراء مكة:

كان يعطي لأمير مكة مبلغ 25000 قرش سنوياً وهذا المبلغ هو نصف الـ50000 قرش التي يحصل عليها السلطان على شكل جائزة السلطان (جائزة ركابي همايون ـ Rikab-i humayun) من تعيين وإبقاء ولاة مصر. وكان هذا المال الذي يستخرجه السلطان من جيبه الخاص يسمى عطية السلطان (عطية همايون ـ Atiye-i humayum)[1]. وفيما عدا ذلك يرسل لأمير مكة 5000 قرش مع الصرة الهمايونية[2].

إن أحد إيرادات أمراء مكة المكرمة المهمة هو نصف إيرادات كمرك جدة. وكانت رسوم البضائع التي تصل إلى جدة بواسطة السفن الأوربية والإسلامية من الهند تشكل مبلغاً كبيراً. لقد تعرض الفرنجة لميناء جدة في سنة 948هـ/ 1542 م في زمن أمير مكة الشريف أبو نمي. وقد خرج أبو نمي مع قواته ضد الفرنجة. ومقابل إنقاذة جدة خصص له السلطان سليمان القانوني نصف إيرادات كمرك جدة[3].

---

(1) استمرت هذه المخصصات من زمن السلطان ياوز سليم. بخصوص جائزة مصر انظر عريضة الدفتردار والوزير الأعظم في سنة 1173 هـ في. (أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، وثائق الداخلية، الرقم 8474، 9576، 12348 وكذلك المحفظة رقم 107 ـ الرقم العمومي 27133).

(2) وثائق الداخلية، تصنيف جودت، الرقم 6384.

(3) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص 53، ويذكر المؤرخ عالي Ali -

واستمر هذا التخصيص في عهد خلفائه أيضاً. ولتحصيل نصف إيرادات كمرك جدة هذه كان لأمراء مكة موظف في جدة يلقب «أمين». وتوجد لدينا وثيقة[1] تظهر تخصيص 4000 سكة حسنة (قطعة ذهبية) وكمية من الرز لأمراء مكة بواسطة منشور (براءه) سلطاني. إلا أننا لا نعلم ماذا كان هذا الأخير يؤخذ من مبلغ جائزة مصر العائدة للسلطان أي (خرجية جيب همايوني) أو من تخصيصات أخرى.

لقد جرت العادة على إعطاء بدل إعاشة من إيرادات مصر باسم (تعيينات بها ـ Tayinat baha)[2] للأمير الذي يعزل من إمارة مكة.

= بأن تخصيص نصف إيرادات كمرك جدة لشرفاء مكة قد تم بناءً على تقرير قدمه قوجا سنان باشا العائد من اليمن. وطبقاً لروايته فإن سنان باشا أثناء عودته طلب من أمير مكة توصية بخصوص خدماته الجيدة في اليمن وقد أعطاه أمير مكة هذه التوصية. وفي مقابل ذلك عرض [سنان باشا على السلطان] إعطاء نصف إيرادات كمرك جدة لأمير مكة. أما بجوي فيقول «لم يكن للشرفاء أي تدخل في كمرك ميناء جدة وبتقديم عرض في ذلك الزمان خصص نصفه للشرفاء أما مصائب الحجاج والتجار فقد تضاعفت» بجوي تاريخي، ج 1، ص 485.

(1) أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الصندوق، 107 ـ الرقم 27133.

(2) يوجد بهذا الخصوص تقرير من الدفتردار إلى الوزير الأعظم، مثبت في رئاسة الحسابات «bas Muhasebe» بأن الشرفاء المعزولين من إمارة مكة المكرمة يمنحون حين عزلهم مبلغ 1000 بارة يومياً من خزينة إرسالية(*) مصر في السنين السابقة كـ «تعيينات بها» لأجل مصاريفهم ولوازمهم الأخرى. أن حضرة الشريف يحيى الذي كان أميراً لمكة المكرمة يعطي مثل أسلافه من خزينة إرسالية مصر كـ«تعيينات بها» ولأجل لوازمه الأخرى ومصاريفه. إن الأمر (فرمان) لحضرة سلطاني صاحب الدولة والسعادة بشأن تحرير أمر شريف [أمر سلطاني] من الديوان الهمايوني موجه إلى والي مصر وإعطاء قائمة إلى رئاسة الحسابات.
(أرشيف رئاسة الوزراء ـ تصنيف جودت ـ وثائق الداخلية ـ الرقم 111212).

(*) إرسالية أو مال الإرسالية يعني حصة الدولة أو الخزينة المركزية من إيرادات الولاية. وترسل هذه الحصة إلى العاصمة سنوياً ولذا تسمى إرسالية. (المترجم).

وبغض النظر عن سبب عزل هؤلاء فإن [الدولة] كانت تمنح الذين يأتون منهم إلى اسطنبول، أو المأمورين بالإقامة في محل ما، مسكناً وراتباً كبيراً، كما كانت تخصص للرجال الذين بمعيتهم مخصصات أخرى وبذلك تؤمن راحتهم ورخائهم[1].

(1) أرشيف رئاسة الوزراء ـ تصنيف جودت ـ وثائق الداخلية ـ الأرقام 6947 و8073 و1158. وفيما عدا أمراء مكة كان يخصص راتب معين لبقية الأشراف القادمين إلى اسطنبول باسم «كسوة بها ـ Kisve baha» انظر:
تصنيف جودت، وثائق الداخلية، الرقم 2502، 2868.

وظائف وصلاحيات أمراء مكة المكرمة

وافق العثمانيون، بعد إدخالهم الحجاز تحت نفوذهم وإدارتهم، على استمرار الأمراء في مركزهم كما كانت عليه الحال في أيام الدولة المملوكية. كما قبلوا صلاحيات هؤلاء الأمراء في منطقتهم واكتفوا فقط بإرسال قوة عسكرية بالتناوب سنوياً من مصر إلى مكة والمدينة لحفظ الأمن[1].

لم يرغب أمراء مكة في تحديد صلاحياتهم الواسعة في الحجاز كما أنهم أرادوا أن يجعلوا قوة الحماية التركية في مكة والمدينة تحت إمرتهم إلا أن القائد العسكري هناك لم يوافق على ذلك. وأن أمير مكة أبو نمي الذي فشل في عزل القائد قد أرسل إلى اسطنبول رسولاً عنه هو قطب الدين للشكاية من قائد المدينة المدعو بيري «Piri» وطلب تبديله. إلا أن السلطان سليمان القانوني الذي لم يرغب في ترك الحجاز بيد أمير مكة فقط أدرك أيضاً [أي السلطان] فائدة استمرار الحكم العثماني هناك لم يوافق على طلب أمير مكة بعزل بيري وشكايته، بل أعاد السفير وطلب إجراء تحقيق بهذا الشأن[2].

(1) نامة همايون دفتري (دفتر الكتب السلطانية) الرقم 5 ـ ص 290 في أرشيف رئاسة الوزراء.

(2) كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين المكي (ضمن كتب ولي الدين أفندي).

ومع هذا، وبغض النظر عن القوة العثمانية المكلفة بحفظ الأمن، فإن شرفاء مكة، وكذلك البدو، استمروا في إدارة الحجاز على هواهم كحكام غير مقيدين عادة. إن أشد ما كان يخشاه أمراء مكة هو الشرفاء المنافسين من بينهم ذلك أن هؤلاء كانوا يثيرون الحرب، عندما يصبحون معارضين، وذلك بتحريك قسم من القبائل العربية. وإذا نجحوا فإنهم يستغلون فرصة انشغال الدولة العثمانية ويوفقون في الحصول على مصادقة الحكومة على توليهم الإمارة.

لم يصدر العثمانيون، بعد خضوع الحجاز لحكمهم، قانوناً بخصوص وظائف وصلاحيات أمراء مكة. إلا أنهم كانوا يذكرون وظائف الشرفاء بشكل محدود جداً في المنشور الذي يرسل عند تبديل الشرفاء أو في الكتب الأخرى المرسلة لهم. وكانت ترد على شكل توصيات عامة تتعلق بإدارة البدو ومنعهم من القيام بغارات السلب والنهب وتأمين قيام الحجاج بأداء مراسيم الحج والعودة بأمان من غارات البدو وتوزيع الصرة المرسلة سنوياً بعدالة واكتفائهم «أي الشرفاء» بدخلهم وعدم الطمع في أموال التجار وغيرهم ومصادرتها وحفظ الأمن في الطرقات وتقسيم المؤن المرسلة من مصر في محلاتها المخصصة وعدم التجاوز على أحد. ولكن بالرغم من هذا فإن الأمن والنظام كان مفقودا في أغلب الأحيان. وقد سئمت الحكومة من هذه الحالة واكتفت، بسبب الحروب التي خاضتها والأحداث الداخلية الأخرى، وبالاهتمام ببعض المسائل التي تخصها مثل تأمين الحج. وفيما عدا هذا فإن الدولة العثمانية اتبعت سياسة ترك الشرفاء وشأنهم. وفي المناسبات التي ترى فيها موجباً للتدخل فإنها كانت تفعل ذلك بواسطة ولاة الشام ومصر. ومع ازدياد ضعف الدولة العثمانية يوماً بعد آخر، بصورة خاصة منذ القرن الثامن عشر،

واستقلال بعض الولاة لم يعد أمراء مكة يولون الدولة أية أهمية بل أن بعضهم قد تمرد ضدها وقد غضت الدولة النظر عن ذلك لأجل ضمان عدم إغلاق طرق الحج.

وعلى أية حال فإن الدولة العثمانية لم تترك منطقة الحجاز دون سيطرة تماماً، فقد استحدثت منصب سنجق باشا (أمير لواء) جدة وفيما بعد منصب بلكربك (أمير أمراء) ولاية جدة وحبش Habes[1] ومشيخة الحرم المكي [Mekke Seyh ul haremligi]. وإذا كانت الدولة قد هدفت من وراء ذلك منع تحكم أمراء مكة في التجار والأهالي فإن هذا التقييد لم يكن كافياً لتحديد صلاحيات الأمراء الذين لم يتوانوا في أوقات كثيرة عن التدخل في وظائف باشوات جدة[2] أن الدولة العثمانية التي أقرت حكم أمراء مكة المكرمة في الحجاز لم تهمل أمر المراقبة أو السيطرة على تلك المنطقة كما ذكرنا وقد استحدثت في جدة بكية [متصرفية] مرتبطة في البداية بولاية مصر[3].

---

(1) ورد في راشد ذيلي جلبي زادة ص 234 أن سنجق جدة قد استحدث بسبب استغلال الشرفاء الفرص للتجاوز على التجار وأعيان الأهالي علماً بأنه كانت لهم مخصصات مالية لمعيشتهم من رسوم سفن الهند والبصرة... وقد عهد سنجق جدة وولاية حبش مع مشيخة الحرم المكي إلى سليمان باشا سنة 1113 هـ/ 1701 م. (نامة دفتري ـ 5 ـ ص 643) وفي سنة 1172 هـ/ 1749 م بعهدة الوزير عثمان باشا (عزي تاريخي ص 198).

[كانت ولاية حبش تضم في بداية تشكيلها مينائي سواكن وجدة وقد تغير اسمها فيما بعد إلى ولاية الحجاز] (المترجم).

(2) أوليا جلبي سياحتنامه سي، ص 186.

(3) جدة هي ميناء الحجاز التجاري المهم. وقد ازدادت أهمية جدة بسبب مرور كثير من السفن التجارية بها. ومع ضعف الدولة العثمانية وازدياد النفوذ الأجنبي فيها حولتها الدولة إلى بكلربكوية (تدار من قبل بكلربك ـ المترجم) وأخذت زمام الأمور بجدية فيها. واعتباراً من القرن الثامن عشر وحدت ولاية حبش وجدة ـ

لقد وجدت الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر أن أنسب من يستطيع إدارة شؤون الحجاز البعيدة عن مركز الدولة هو والي مصر وقد أبلغت أمير مكة المكرمة بقرارها هذا[1] وبعد استحداث ولاية جدة وحبش أصبحت مسألة الصلاحيات والنفوذ موضع نزاع بين ولاة جدة وأمراء مكة المكرمة واستمرت كذلك حتى النهاية. وأن بعض الفرمانات المرسلة إلى أمراء مكة المكرمة كانت تتضمن توصيات بشأن انسجامهم مع ولاة جدة[2]. أن بعض الولاة الضعفاء وجدوا الشرفاء ذوي نفوذ ولذا فإنهم لم يستطيعوا تحديهم أو معارضتهم بل كانوا على

= وعينت ولاة بدرجة وزير فيها. وكانت ولاية حبش تدار عن طريق الالتزام إذ لم تكن فيها زعامتات وتيمارات (أنواع من الإقطاعات العسكرية العثمانية ـ المترجم) وكانت تعطى كل ثلاث سنوات إلى والي من الولاة عن طريق المالكانة malikane (نوع من أنواع الالتزام ـ المترجم). وقد أصبحت سالياتها (الدخل السنوي للدولة منها ـ المترجم) في أواخر القرن السابع عشر 12 يوك yuke أي 1,200,000 أقجة تقريباً. وقد اكتسبت أهمية بعد توحيدها مع جدة. وأصبح يخصص للولاة راتب من إيرادات كمرك جدة ولأجل الاطلاع على الأحوال في مكة المكرمة والمدينة المنورة فإن الدولة العثمانية أسندت إلى ولاة جدة مهمة مشيخة الحرم المكي. أما مشيخة حرم المدينة المنورة فأصبحت تعهد إلى أغوات دار السعادة المعزولين (دار السعادة أحد أقسام سراي السلطان العثماني في اسطنبول ـ المترجم). وكان بمعية شيخ حرم المدينة المنورة جنود مسلحين لحفظ الأمن في المدينة وتدفع لهم الرواتب من قبل الحكومة (واصف ج 1 ص 306). وبعد انتهاء فترة ولاية الوالي خورشيد باشا سنة 1288 هـ/ 1871 م تحولت جدة من ولاية إلى متصرفية وبعد سنة واحدة عادت وأصبحت ولاية. وفي 1299 هـ/ 1882 م أصبحت ولاية جدة تعرف باسم ولاية الحجاز.

(1) ورد في كتاب همايوني مرسل إلى أمير مكة المكرمة في 986 هـ/ 1578 م أمر إلى الأمير المذكور بإبلاغ اسطنبول عن كل أمر يخص مكة المكرمة وإرسال المعلومات بهذا الخصوص إلى والي مصر في الوقت نفسه أيضاً. (مهمة دفتري ـ رقم 34 ـ ورقة 367).

(2) انظر عريضة والي الحجاز عثمان نوري باشا في مجلة belleten العدد 39، ص 537.

وفاق معهم مسيئين بذلك إلى نفوذ الدولة من جهة وصلاحياتهم من جهة أخرى. في حين أن البعض الآخر، وعددهم قليل جداً، لم يكن أمراء مكة المكرمة يتدخلون في وظيفتهم وصلاحياتهم.

أن العريضة التي قدمت إلى السلطان عبد الحميد الثاني من قبل عثمان نوري باشا، الذي عين والياً على الحجاز برتبة فريق في سنة 1299 هـ 1882 م والذي أراد تحديد نفوذ وصلاحيات أمراء مكة المكرمة، **تستحق الاهتمام ولذا سنذكر هنا بعضاً مما ورد فيها**[1].

«... عندما جئت إلى هنا كنت على اعتقاد خاطىء بأن وظائف وامتيازات إمارة مكة المكرمة محددة ومعينة مثل الإمارات الأخرى، وعلى أية حال فإنه لا توجد تحديدات وشروط بشأن الوظائف والامتيازات في الفرمان العالي الذي يحمله الشرفاء المعنيون هنا. واتضح من التحقيقات التي أجريتها هنا أن الأمراء السابقين والأمير الحالي (عبد المطلب) لا يستندون إلى أية شروط أو تحديدات. ومع عرض وبيان هذا الإجراء المتبع والأسباب الموجبة لحدوث الخلافات بين الإمارة والولاية يجب تحديد حقوق الإمارة بالدرجة التي توافق السلطنة السنية. إن إمارة مكة المكرمة مثل سائر مناصب الدولة توجه بواسطة فرمان عالي من قبل السلطان. وفي حين أن المنصب يوجه إلى من يتفضل السلطان بانتخابه وقبوله فإن بعض الأمراء بادروا إلى توسيع دائرة الإمارة بالقدر الذي يرغبونه. وإن أغلبية الولاة لم يلتزموا بتحديد وظيفة مثل هؤلاء الأمراء، كما أن عزل الولاة الذين أرادوا الالتزام بذلك ترك الأمر على ما هو عليه. وهناك اليوم اعتراف ببعض

(1) نقلت بعض أقسامها هنا باختصار ونصفها الكامل في مجلة الجمعية التاريخية التركية Belleten العدد 39.

الوظائف على أنها من الحقوق الصريحة لأمراء مكة المكرمة. ولحين زمن الشريف يحيى المتوفى[1] لم يكن للشرفاء الموجودين في مقام الإمارة سلطة معينة. وأن كلاً منهم كان المختار الفعلي للأمور التي يستطيع تجاوزها. وفي فترة الإمارة الأولى للشريف محمد بن عون الذي كان خلفاً للشريف المشار إليه[2] كانت سلطته محصورة في النظر في دعاوي ومصالح البدو وتعيين شيخ الأدلاء delliler seyhi بالذات ونصب وعزل وتبديل أمراء ومشايخ القبائل حسب رأي وأوامر الحكومة ووضع اليد على الأموال غير المنقولة للمتوفين بلا وريث وتعيين ناظر للأوقاف في حالة شغور منصب متوليها. وإذا كان هذا الشخص قد تحرك في إمارته الثانية ضمن دائرة هذه الوظائف أيضاً فإن عبد المطلب الذي خلفه في إمارته الأولى وكذلك [الشريف] عبد الله باشا المتوفي لم يحصروا حركاتهم ضمن دائرة هذه الوظائف بل أرادوا توسيع سلطتهم...».

ومن هنا فإن عدم إعطاء أي اعتبار للولاة من قبل أمراء مكة المكرمة وصلاحيتهم التي لا حدود لها وضعف نفوذ الدولة على الحجاز وأخيراً تفاهمهم سراً مع الدول الأجنبية قد أدى إلى خروجهم من تحت السيطرة العثمانية وطرد العثمانيين من الحجاز في النهاية[3].

---

(1) هو الشريف يحيى بن سرور وكان أميراً لمكة المكرمة من سنة 1228 هـ/ 1813 م حتى سنة 1242 هـ/ 1826 م (وردت في الأصل 1832 م وهذا غير وارد لأن هذه السنة تساوي 1248 هـ المترجم).

(2) كان تعيين الشريف محمد بن عون لأول مرة في سنة 1826 م في عهد محمد علي باشا الذي أنقذ الحجاز من الاضطرابات وأخضعها لنفوذه. ولما كان محمد علي باشا قد سيطر على مقاليد السلطة بيده فإن أمير مكة أصبح مجرد تابع له (وردت في الأصل سنة 1832 خطأ ـ المترجم).

(3) الإشارة هنا إلى تفاهم الشريف حسين بن علي مع الإنكليز وقيام ثورة الحجاز سنة 1916 التي أدت إلى طرد الأتراك من الحجاز (المترجم).

إن العلم العثماني ذو النجمة والهلال الموجود حتى اليوم والذي كان قد أصبح علماً رسمياً للدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد رفع في جميع أنحاء الدولة العثمانية ولكنه لم يرفع فوق أي من المراكز الحكومية في الحجاز حتى زمن السلطان عبد العزيز. ولكن ابتداءً من زمن هذا السلطان رفع العلم العثماني فوق قلعة[1] المدينة المنورة، إلا أنه لم يرفع في مكة لأجل منع ظهور مشكلة هنا. ولكن العلم العثماني رفع أخيراً علىٰ قلاع مكة المكرمة في سنة 1296 هـ/ 1879 م في زمن قيادة أمير اللواء الحاج نجيب باشا وبموافقة الشريف عبد المطلب[2].

❀ ❀ ❀

إلى جانب القوة العسكرية المتألفة من 500 أو 600 شخص التي كانت بمعية أمير مكة المكرمة كان بمعيته أيضاً مدراء تحريرات أو القلم الخاص Kalemi mahsus الذين يسمون «**قلم هيأتي**» أو «**ديوان افنديلري**». وفي حدود أواخر القرن التاسع عشر كان يرتبط بالإمارة رئيس كتاب «**ديوان أفنديسي**» وكتاب يكتبون بالعربية والتركية وكتاب المحاسبة والمخزن وإمام وطبيب ومدير أمور الأمراء ومقدم الشرفاء. وفيما عدا هؤلاء هناك قواس باشي «**رئيس حاملي الأقواس**» والقواسين الذين معه وسنجق دار «**حامل علم**» وأمير آخور «**مسؤول الإسطبل**» وديوجي باشي «**المشرف على الجمال**» ومحملدار «**مسؤول أو صاحب المحمل**» ومهتر باشي «**رئيس الموسيقيين**» والموسيقيين

(1) المقصود بالقلعة هنا مقر الحكومة في المدينة وتطلق التسمية على الدوائر الحكومية الأخرى فيها (المترجم).
(2) مرآة مكة، ج 1 ص 50.

وقارعي الطبول الذين معه والشمسيه دار «**حامل الشمسية**» وفي هذه الفترة أيضاً كان بمعية الأمير اثنين من أمراء الصوباشية يعرفان باسم «ياوري حرب yaveri harb» أحدهما برتبة بنباشي[1] والآخر برتبة يوزباشي[2] وكذلك أمراء جاوشية اثنين من الجيش النظامي.

---

(1) تعادل رتبة رائد في الوقت الحاضر (المترجم).

(2) تعادل رتبة ملازم في الوقت الحاضر (المترجم).

ألقاب أمراء «شرفاء» مكة المكرمة

لم تستمر ألقاب أمراء مكة المكرمة المستخدمة في المنشور أو الكتب السلطانية المرسلة إليهم على نفس الطراز بل تعرضت لبعض التعديلات مع مرور الزمن، واعتباراً من النصف الثاني من القرن الثامن عشر اتخذت شكلاً ثابتاً. لقد كان اللقب كما يلي في الكتاب المرسل باللغة العربية إلى أمير مكة الشريف بركات بن محمد في شوال 946 هـ/ نهاية أيلول 1520 بمناسبة جلوس السلطان سليمان القانوني على العرش[1].

«فهذا كتابنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف المعالي الخاقاني لا زال نافذاً مطاعاً في الأطراف والأكناف بإمداد إمداد خفي الألطاف مبارك أرسلنا إلى جناب الكريم الأميري الكبيري الأكرمي الأفخمي الأمجدي الأرشدي الأكملي الأعدلي النصري الذخري العوني الوتدي العضدي الهامي المجاهد الأصلي العريفي الحسيني النسيبي نسل السلالة الهاشمية فرع شجرة الزكية النبوية سند الملة المحمدية طراز العصابة العلوية سيد

(1) منشآت فريدون بك، ج 1، ص 448 (طبعة 1264).

الأمراء الأشراف في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين السيد الشريف زين الدين بركات ابن الشريف محمد أمير المكة المكرمة أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده ولا زال في ظل الله وكرمه ومهبط وحيه وحرمه يهدي إلي سلاماً جميل وثناء جزيلاً».

❀ ❀ ❀

جناب أمار تمآب أيالت نصاب سعادت اكتساب سيادت انتساب فخر النسب الطاهر صاحب العز والشرف خلفاً بعد خلف نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المختص بمزيد عواطف خالق الأرض والسموات السيد الشريف أبي نمي الشريف بركات دام سعده[1].

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر كان أمير مكة المكرمة يخاطب بالألقاب التالية[2]:

«جناب أمار تمآب سعادت اكتساب سيادت انتساب دولت نصاب عزت قباب ذو النسب الطاهر والحسب الظاهر صاحب العز والشرف خلفاً بعد خلف نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المخفوف بعنوف [كذا والمفروض أن تكون

(1) كتب ولي الدين أفندي الرقم 1970 الورقة 14 ب.

(2) منشآت فريدون بك، ج 1، ص 4.

المحفوف بصنوف - **المترجم**] لطائف عواطف ملك المنان السعيد شريف حسن دام سعده».

وفي القرن السابع عشر كانت الألقاب كالتالي[1]:

«جناب أمار تمآب سيادة انتساب دولت اكتساب قطب دائرة الأفلاك واسطة عقد الإصابة الهاشمية سلالة السلالة المحمدية فرع شجرة الزكية النبوية ثمرة الدوحة المصطفوية افتخار أولاد الرسول مختار أحفاد البتول خلف أعاظم الأسلاف شرف الأسلاف والأخلاف زبدة آل بني عبد مناف ذو النسب الطاهر والحسب الظاهر حامىء حمى الحرم المحترم الرفيع من ثدى الكرم صاحب المنظر الأنيس وذو القدر الرسيس مكة المكرمة شريفي سعادتلو سيد إدريس مجلس شريف سعادت أليف محفل منيف سيادت رديف».

وفي أواخر القرن ذاته كانت الألقاب كالتالي[2]:

«جناب أمار تمآب أيالت نصاب سعادت اكتساب سيادة انتساب ذو النسب الطاهر والحسب الظاهر صاحب العز والشرف خلفاً بعد خلف نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية زبدة أحفاد البتول عمدة أكباد الرسول المختص بمزيد عواطف خالق الأرض والسموات شريف أحمد بن شريف غالب».

---

(1) منشآت فريدون بك، ج 1، ص 5.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء - دفتر نامة همايون رقم 5 - ص 41.

وفي كتاب سلطاني يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر (جمادى الآخر 1112 هـ) كان اللقب[1]:

«جناب أمار تمآب أيالت نصاب سعادت اكتساب سيادت انتساب ذو النسب الطاهر والحسب الظاهر مستجمع المناقب والمفاخر كابراً عن كابر جمال السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية عمدة آل الرسول قرة عين الزهراء والبتول المحفوف بصنوف عواطف ذي القوة والأبد أمير مكة مكرمة شريف سعد بن الشريف زيد دام سعده».

ومن الألقاب التي نلاحظها في كتب القرن الثامن عشر أيضاً[2]:

«وبعد فهذا كتابنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني لا زال نافذاً. . . . الأمير الكبير الأكرمي الأمجدي الأفخمي فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية المنتسب إلى شرف نسب علا عنصره وأحسن حسب غلا جوهره زبدة سلالة الزهراء البتول عمدة آل بيت الرسول المحفوف بصنوف عواطف من لا يخلف وعده الشريف سعد دام شرفه أمير مكة المكرمة».

وأخيراً أصبحت الكتب المرسلة منذ النصف الثاني من القرن

---

(1) دفتر نامة همايون ـ رقم 5 ـ ص 528 وص 640.

(2) دفتر نامة همايون ـ رقم 6 ـ ص 291 سنة 1125 هـ.

الثامن عشر لغاية آخر أمير لمكة في القرن العشرين تكتب بالشكل التالي واستمرت كذلك دون تغيير[1].

«جناب أما تمآب سعادت اكتساب سيادت انتساب ذو النسب الطاهر والحسب الطاهر مستجمع جميع المناقب (في بعضها المعالي) والمفاخر كابراً عن كابر زبدة (في بعضها جمال) السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية عمدة (في بعضها زبدة) آل رسول قرة عين زهراء البتول المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى»[2]).

وإذا كانت إمارة مكة مشتركة ومسندة لاثنين من الشرفاء فإن كتابهما يكتب بشكل مشترك. فمثلاً كانت ألقاب الشريف أحمد بن زيد والشريف سعيد بن بركات في الكتاب السلطاني المرسل إليهما بخصوص إمارتهما المشتركة كالتالي:

---

(1) الكتاب السلطاني المرسل إلى الشريف مساعد بن سعيد في 1181 هـ/ 1765 م (دفتر نامة همايون رقم 8 ـ ص 545) والمرسل إلى الشريف محمد بن عون في 1826 م/ 1242 ـ 1243 هـ (منشور دفتري ص 70) والكتاب السلطاني المرسل إلى الموما إليه ذاته في 1272 هـ/ 1855 م (منشور دفتري) وأخيراً الكتاب السلطاني المرسل في شعبان 1329 هـ/ تموز 1911 م إلى آخر أمراء مكة حسين باشا.

(2) في القسم الأخير من ألقاب الشريف في الكتب (السلطانية) كانت تضاف حسب اسم أمير مكة ولأجل القافية عبارة (الملك الأعلى) أو (الملك الغفور) أو (ذوي القوة والأبد) أو (من لا يخلف الوعد) وغيرها من العبارة. فمثلاً:

. . . عواطف الملك الغفور شريف يحيى بن شريف سرور.

. . . من لا يخلف الوعد شريف سعيد بن شريف سعد.

. . . ذو القوة والأبد شريف سعد ابن الشريف زيد.

«جناب أما تمآب نصاب سعادت اكتساب نيري سماء النسب الطاهر والحسب الظاهر وارثي أصناف المحامد والمفاخر باني بيت المجد والشرف محمي مراسم مكارم السلف خلفاً بعد خلف فرعي الشجرة الزكية النبوية طرازي العصابة العلوية جامعي محاسن الأخلاق المرضية المختص بمزيد عواطف السنية السبحانية السيد شريف والسيد أحمد دام سعدهما ليكن معلوماً عند وصول كتابي الرفيع السلطاني...»[1].

ولما كان أمراء مكة قد أصبحوا برتبة وزير في الفترات الأخيرة وحاملي نياشين فقد كان يشار إلى هذه في نهاية ألقابه في الكتب السلطانية، فنقرأ مثلاً في الفرمان المرسل إلى أمير مكة الشريف حسين باشا، الذي ثار ضد الدولة فيما بعد، بعد عبارة «المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى» عبارة:

«أعاظم وزراء سلطنتي السنية الذي هو أمير مكة الحائز على نيشاني السلطاني مرصع الافتخار والنيشان العثماني والمجيدي ذو الشأن من الدرجة الأولى وزيري حسين باشا أدام الله تعالى إجلاله».

(1) منشآت فريدون بك، ج 2، ص 6.

أمين الصرة ـ إخراج الصرة ـ أمين الخلع (القفطان أغاسي)

أمين الصرة ومراسيم إرسال الصرة:

إن الأموال التي كانت ترسل من اسطنبول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنوياً تسمى «**الصرة**». وكانت ترسل في رجب من كل عام ثم أصبحت ترسل في شعبان اعتباراً من أواخر القرن التاسع عشر. وكان توزيعها يتم من قبل موظف حكومي يسمى أمين الصرة «Surre Emini».

حتى سنة 1126 هـ/ 1714 م كانت الصرة ترسل من مصر وبعد هذا التاريخ صدر أمر بإرسالها من خزينة الحرمين الكائنة في بلاط السلطان «الأندرون Endreun»[1] وكانت هذه الأموال المرسلة إلى مكة

(1) أمر إلى والي الشام والرقة الذي هو أمير حج الشام الوزير يوسف بشا: ـ
إن الصرة المعتاد إرسالها من قبل جنابي السلطاني إلى أهالي الحرمين الشريفين كانت ترسل في السنين السابقة من مصر ولكن اعتباراً من هذه السنة الميمونة لم ترسل من مصر بل من أموال خزينة الحرمين الشريفين في اسطنبول نقداً وقد سلمت فعلاً إلى أمين الصرة المدعو محمد زياد قدوة الأعمال والأعيان وأرسلت. . . أواخر رجب سنة 1126 هـ. انظر:
مهمة دفتري رقم 122، ص 126. والأندرون كلمة فارسية بمعنى: «في داخل» =

والمدينة توزع على أشخاص معينين وفقاً لدفاتر خاصة[1]. وكانت هذه الحصص المحددة في الدفاتر تذكر في الرسائل السلطانية باسم «**معلوم**» أو «**معلومية**» أو «**معلم**».

كان الشخص الذي يعين بوظيفة «أمين الصرة» يلبس الخلعة في حضور الصدر الأعظم (الوزير الأعظم) ثم يرسل مع مسؤول (تلخيصجي telhisci) دار السعادة إلى البلاط الداخلي حيث يلبس خلعة أخرى من قبل آغا دار السعادة[2]. وبعد هذا كانت ترتيبات الصرة تجري بالشكل التالي:

في الأوقات التي كانت الصرة تنقل فيها براً كان آغا دار السعادة يرسل دعوات إلى مسؤول المالية (الدفتردار) ورئيس الكتاب والنيشانجي لحضور مراسيم الصرة المعتاد إخراجها من اسطنبول في 12 رجب. كما ترسل مذكرات من قبل مساعد الصدر الأعظم (صدرات كتخداسي) بواسطة رئيس الكتاب «آغا يازيجيسي» إلى الأشخاص الذين يجب حضورهم مثل هذه المراسيم. ولما كان موكب الصرة يعبر [البسفور] من مرفأ سركجي[3] المسمى «أسكلة كرج

- ويقصد بها هنا البلاط الداخلي في السراي العثماني المؤلف من ثلاثة أقسام رئيسية وهي البلاط الخارجي والبلاط الداخلي وقسم الحريم (المترجم).

(1) كان دفتر الصرة Surre Defteri يكتب في قلم مقاطعة الحرمين الشريفين في دائرة **الدفتردارية** التي أصبحت بالدائرة المالية فيما بعد.

(2) أغادار السعادة هو كبير مشرفي قسم الحريم في سراي السلطان العثماني ويشار إليه أيضاً باسم «قيزلار أغاسي» أي آغا البنات. وهو يعتبر الموظف الرئيسي في القصر كله وكان مركزه الثالث في الأمبراطورية ـ من بعد الصدر الأعظم، الذي كانت اتصالاته بالسلطان تتم عن طريقه، وشيخ الإسلام (المفتي الأكبر) ـ وكان أغادار السعادة يتولى في وقت من الأوقات الأشراف على أوقاف الحرمين الشريفين مكة والمدينة (المترجم).

(3) سركجي أول منطقة من الجزء الأوربي من مدينة اسطنبول يطأها الشخص الذي يعبر البسفور من أسكدار أي الجزء الآسيوي من المدينة. وما زالت تعرف بهذا الاسم.

ـ «Kirec iskelesi» فإن مذكرة أخرى كانت ترسل إلى قائد الأسطول «قبطان باشي» لتهيئة سفينة لهذا الغرض.

في اليوم المحدد كان المدعوون يأتون إلى السراي حيث يجلسون في غرفة الآغا يازيجيسي الكائنة بين الباب الهمايوني «Babi Humayub» والباب الأوسط «Orta Kapi» وهي الغرفة التي يعقد آغا دار السعادة اجتماعاته فيها. وعند مجيء آغا دار السعادة كان رئيس الكتاب يجلب الكتاب السلطاني المعتاد إرساله إلى أمير مكة المكرمة والمكتوب باللغة العربية في الباب العالي ثم يسلمه إلى آغا دار السعادة الذي يقوم بعد ذلك بتلبيس المدعوين الخلع.

وفي هذه الأثناء يقوم كاتب آغا دار السعادة ومفتش الحرمين الشريفين بالتوقيع على دفاتر الصرة المهيئة ثم يذيلها الدفتردار بتوقيعه ثم يقوم النيشانجي بختم (طغرا) ظهر هذه الدفاتر. وبعد الانتهاء من ذلك يعود الدفتردار ورئيس الكتاب والنيشانجي أما آغا دار السعادة فيأخذ الكتاب السلطاني الذي سلم إليه ويذهب به إلى البلاط الداخلي (الأندرون).

وبعد ذلك يقدم الطعام إلى الأئمة والشيوخ المدعوين ومجموعة الحرمين [كذا] وأمين الصرة. وبعد الانتهاء من الطعام تذهب هيئة مراسيم الصرة إلى الخيمة المنصوبة في ميدان المراسيم مقابل قبة التي «Kubbe alti» في انتظار خروج السلطان.

كان السلطان يخرج من باب آق آغالار «Akagalar» المسمى باب السعادة ممتطياً ظهر جواده بين تهليل جاوشية الديوان الهمايوني وينزل أمام «**قبة آلتي**» ويجلس مكان النيشانجي. وفي هذه الأثناء يأتي كبير معلمي أو مشرفي الأمراء «Oda lalasi Aga» حاملاً الكتاب

السلطاني وأغوات الحرمين حاملين أكياس الصرة الهمايونية على أكتافهم من باب الحريم الهمايوني الكائن في جهة مجموعة قاطعي الأخشاب. «Zulufu Baltacilar Ocagi»[1] متجهين إلى الخيمة المنصوبة مقابل موقع «قبة آلي». وهناك تتم عملية حساب محتويات الأكياس وتختم الظروف التي تحتوي دفاتر الصرة بالشمع وتوضع في الصناديق المخصصة لها ثم يعود أغوات الحريم.

في هذه الآونة يأخذ أغادار السعادة الكتاب السلطاني الذي جلبه كبير المعلمين ويسلمه إلى السلحدار آغا (حامل السيف) الواقف قرب السلطان ويقوم هذا بدوره بتقديمه إلى السلطان. ثم يسلم الكتاب السلطاني ثانية مع دفاتر الصرة وأكياس الصرة إلى أغادار السعادة بعد ختمها بختم (مهر) السلطان[2].

ثم أن أغادار السعادة يأخذ هذه الأشياء بواسطة أغوات الحريم ويعود بها إلى الخيمة حيث يكون أمين الصرة في استقباله. وهنا يلبس أمين الصرة ورؤساء السقائين «Saka basilar» الخلع ثم يسلم الكتاب السلطاني إلى أمين الصرة وتعرض أكياس الصرة أمام الخيمة. وفي

(1) أنشىء أوجاق البلطجية قبل فتح القسطنطينية سنة 1453 م وكان رجاله يعملون في تعبيد الطرق وتجفيف المستنقعات وقطع الأشجار. ولكنهم تحولوا بعد الفتح إلى حراس للحريم وذلك برغم استمرارهم في القيام بهذه المهام حين يذهب السلطان بنفسه إلى الحرب (المترجم).

(2) إن الطريقة المتبعة في ختم (مهر) الكتاب السلطاني، المكتوب بالعربية، من قبل السلطان نفسه في يوم إخراج الصرة قد تغيرت فيما بعد. وطبقاً للطريقة الجديدة كانت مسودة الكتاب تقدم أولاً للسلطان للنظر فيها والموافقة عليها. وبعد كتابة النسخة النهائية كانت تعرض على السلطان مجدداً للنظر فيها وختمها بختمه قبل يوم إخراج الصرة. وقد استمرت طريقة ختم الكتاب السلطاني هذه حتى النهاية. بشأن فكرة هذه الطريقة الجديدة انظر، (أرشيف رئاسة الوزراء ـ محفظة رقم 106 ـ الوثيقة 21842).

هذه الأثناء يلبس اثنين من المبشرين «mugdeciy»[1] الخلع أيضاً.

بعد أن يتم كل هذا يدعى أغادار السعادة إلى حضرة السلطان حيث يخلع عليه بلباس من الفرو. ثم يبدأ المشرف على الإسطبل الخاص «Has ahur keth udasi» بالدوران بالجمل الذي يحمل المحمل الشريف كما يقوم رئيس الجمالين «deveci basi» بالدوران ببقية الجمال المرفقة. وبعد برهة يأخذ المسؤول الأول عن الاسطبلات «Brinci Mirahur» الجمل الذي يحمل المحمل الشريف من المشرف على الإسطبل الخاص ويدور به أيضاً وأثناء ذلك يقرأ المؤذنون المدائح النبوية وترفع الدعوات.

في هذه الأثناء يخرج أغادار السعادة، الذي كان عند السلطان الذي أنعم عليه بخلعه من فرو السمور، من عند السلطان ويستلم رسن الجمل الذي يحمل المحمل الشريف والذي كان يدور به المسؤول عن الاسطبلات. وبعد أن يدور أغادار السعادة دورتين بالجمل يقوم بتسليم رسن الجمل الفضي إلى أمين الصرة وتسليم الرسن المعمول من الإبرسيم إلى آغا رؤساء السقائين «Sakabas Aga». ثم يسير نحو ثلاث أو خمس خطوات من المكان الذي يجلس فيه السلطان ويقبل الأرض بين يديه ويقدم إليه الشكر - (كان عزل أو إبقاء آغوات دار السعادة في مراكزهم يتم في هذه الأثناء غالباً).

وبعد ذلك يسير أغادار السعادة ومأموري أوقاف الحرمين الشريفين أمام الجمل الذي يحمل الصرة ويخرجون مع الموكب من الباب الأوسط ويشيعونه لغاية المستشفى الكائنة عند الباب الهمايوني. وبعد توديع الموكب والدعاء له يعود كل من أغوات دار السعادة وباب

---

(1) انظر التفاصيل الخاصة بالمبشرين في الصفحات التالية (المترجم).

السعادة وكتخدا السراي وكبير موظفي الخزينة «**خزنة دار باشي**» إلى الداخل مجدداً في حين يواصل الموكب سيره خارجاً من الباب الهمايوني.

إن موكب الصرة، الذي يضم جمل المحمل الشريف الذي يحمل أكياس الصرة ودفاتر الصرة والذي يحيط به بلطجية السراي الراكبين على البغال، يتجه من موقع باب الحديقة «Bahce kapisi» إلى أسكلة كرج عن طريق خوجا باشا «Hoca Pasa» ماراً من تحت قوس المواكب «Alay Kosku». ومن أسكلة كرج يتم عبور الموكب وسط الدعاء إلى جانب أسكودار بواسطة سفينة(1).

ولما كانت المعلومات التي أوردها دوسون «d'Ohsson» في أواخر القرن عشر بخصوص مواكب الصرة (ج 3، ص 257) تتضمن بعض ما يرد في سجلات التشريفات من معلومات فإنني أنقلها هنا بإيجاز.

«كان الشخص الذي يعين أميناً للصرة يذهب إلى السراي لأجل أخذ الجمل الذي يحمل الصرة وكتاب السلطان. ويكون السلطان في خيمة وسط دهليز في الموقع المسمى مرمرلك قابي «Mermerlik Kapi» في طرف قسم الحريم. وبعد أن يقوم خطباء وائمة جوامع الصلاة وشيوخ الصلاة بقراءة المدائح الإلهية والنبوية ورفع الدعاء في حضور السلطان، يدخل أغوات الحريم ومعهم الجمل، المزين بشكل مبالغ فيه، وفي رقبته سلسلة فضية. وفي هذه الأثناء يتقدم القزلار أغاسي

---

(1) بشأن خلاصة عن المراسيم التي جرت بمناسبة إخراج الصرة في سنة 1182 هـ/ 1768 م انظر (دفتر التشريفات ـ الرقم 676 وتشكيلات السراي، ص 181 والتشريفات القديمة ص 18).

«أغادار السعادة» ويمسك سلسلة الجمل ويقبلها باحترام كبير وبعد أن يدور الجمل لبضع دقائق أمام السلطان يسلمه إلى أمين الصرة.

وفي هذه الأثناء ينعم على كل من أمين الصرة والمجدجي باشي ـ Mugdeci basi (كبير حاملي البشرى) بخلعه. ولما كان قيام الآغا بتسليم رسن الجمل إلى أمين الصرة بمثابة بشرى إبقائه في منصبه فإنه بعد أن تلبس الخلع لأمين الصرة والمجدجي باشي كان يعطي للقزلار أغاسي بواسطة رئيس التشريفات (Tesrifatic) فرو سمور وقفطان معمول بخيوط ذهب.

وبعد هذه المراسيم التي تسمى «المحمل الشريف» تظهر البغال التي تحمل الخزائن والخلع. أن خمسة من هذه البغال تحمل الصناديق المملوءة بالقطيفة الخضراء وتحمل ثلاثة أخرى الصناديق المملوءة بالنقود. وفي هذه الأثناء يختم الدفتردار أمام السلطان دفاتر النيشانجي[1] التي تظهر كيفية توزيع الخزائن ويسلمها إلى أمين الصرة، ثم أن رئيس الكتاب يقبل الكتاب الموجه من السلطان إلى أمير مكة ويسلمه إلى القزلار أغاسي الذي يقبله أيضاً ثم يودعه لدى أمين الصرة.

إن أمين الصرة يمسك الكيس المزركش الذي يحوي الكتاب السلطاني بيده اليمنى ويحمله بمحاذاة صدره ثم يتحرك سائرا نحو الباب الأوسط. ويتبع القزلار أغاسي هذا الموكب حتى الباب

---

(1) استحدثت وظيفة النيشانجي أو التوقيعي في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية. وكانت وظيفته الأساسية رسم الطغراء على الوثائق الرسمية بمختلف أنواعها. ويبدو لي أن هناك خطأ مطبعي في الكتاب لأن سياق الجملة المذكورة أعلاه يجب أن يكون.. يختم النيشانجي الدفاتر.. وليس ما ذكرناه أعلاه (المترجم).

الهمايوني ثم يقفل عائداً في حين يستمر مفتش الحرمين والشيوخ والأئمة والخطباء في السير مع الموكب إلى أن يصل أسكلة الوزير (مرفأ سركجي).

إن القسم المسلي من موكب الصرة يبدأ بعد الخروج من الباب الهمايوني وبالشكل التالي.

يكون على رأس الموكب 12 جاووش بملابسهم الرسمية يعقبهم 60 بلطجياً سيراً على الأقدام، ويأتي خلف هؤلاء اثنين من كبار حاملي البشري (مجدجي باشي) وثمانية من ضباط حراس البوابات (قبوجي باشي) ويلي هؤلاء أمين الصرة ومساعده (كتخدا) ثم الجمل الذي يحمل الشريف، وهو محاط بحوالي 30 بلطيجياً، ومعه الجمل الاحتياطي ثم البغال التي تحمل الأموال والهدايا.

ويأتي بعد هذا الموكب موكب ثانٍ كان ينظم بمناسبة إخراج الصرة. ويضم هذا الموكب ما بين 50 و60 عبداً من الموسيقيين والمهرجين. ويأتي على رأس هذا الموكب ستة من قارعي الطبول وبهلوان يقوم بألعاب ماهرة مختلفة[1].

عند وصول موكب الصرة إلى أسكلة الوزير ترفع الزينة من على الجمال وتعاد الجمال إلى السراي في حين يعبر أمين الصرة والمجدجية والبغال إلى جانب أسكودار. **أن وجود الجمل المقدس في موكب الصرة كان بمثابة تذكير لارتحال النبي ﷺ في سفره وتجواله على الجمل....**

---

(1) كنا نشاهد في صغرنا في الموكب الذي ينظم بمناسبة موكب الصرة قافلة تتألف من الزنوج تحت إدارة زنجي يلقب برئيس القافلة akkam basi.

[ملاحظة: يستخدم الأتراك كلمة ARap بمعنى زنجي أيضاً] المترجم.

كان أمين الصرة يبقي مدة من الزمن في أسكدار وبعد أن يكمل احتياجاته يتحرك من هناك بإذن من السلطان[1]. وكانت الدولة ترسل أوامر إلى كل الوزراء (الباشوات) والبكلربكية والسنجق بكية والقضاة والمتسلمين (القائمقامية) ومساعدي الولاة (الكتخدائية) وقادة الإنكشارية وغيرهم من ذوي العلاقة في الولايات التي يمر بها الموكب من إسكودار إلى الشام[2] تطلب منهم تأمين سلامة الصرة والحجاج الذاهبين معها[3].

ولأجل حماية الصرة لحين وصولها إلى الشام كانت الدولة ترسل الأوامر إلى متصرفي قوجلي Kocaseli وآق شهر Aksehir والى الولاة والسنجق بكية والقضاة من آق شهر إلى قونية ومن قونية إلى أطنة ومنها إلى حماه ومنها إلى الشام. ولتوضيح ذلك بشكل أكثر أذكر ما يلي:

كانت الصرة الهمايونية تستخرج نقداً من الخزينة في رجب من كل عام. وكانت تسلم إلى أمين الصرة وفق المراسيم التي ذكرناها. وبعد يوم خروج أمين الصرة والقافلة التي معه من اسطنبول يكتب فرمان إلى والي لواء أزميت Izmit يؤمر فيه بالخروج مع قواته الخاصة

(1) كان الصدر الأعظم يحصل على أمر السماح بتحريك موكب الصرة من إسكدار بتقديم التماس (arz) إلى السلطان (وثائق خط همايون الرقم 26799 و26800).

(2) المقصود هنا دمشق. (المترجم).

(3) أمر إلى الوزراء العظام والبكلر بكية والسنجق بكية والقضاة والمتسلمين والكتخدائية وقادة الإنكشارية وأعيان الولايات..... إلخ الواقعين في طريق موكب الصرة بين إسكودار والشام يبلغهم بأن وصول موكب الصرة الذي يقوده الشخص المدعو درويش محمد إلى محله أمر مهم جداً ويطلب منهم تأمين القوات اللازمة لحماية هذا الموكب في مناطق الخطر لتصل إلى مكانها سالمة آمنة.
أواسط رجب سنة 1120 هـ/ أيلول 1708.
(مهمة دفتري رقم 115، ورقة 191).

«Kapisi halkiyle» لاستقبال مواكب الصرة والحجاج في جيزة Gebze وأن يسير على رأس فرسان وسلحدارية وانكشارية الأقضية التي يمر منها الموكب وكذلك حاملي البنادق في القضاء [أي قضاء جبزة] مرافقاً الموكب من جبزة إلى آق شهر وعند وصوله إلى هناك يسلمه إلى والي لواء آق شهر ويأخذ منه مستنداً بهذا الخصوص[1]. ثم يقوم والي آق شهر على رأس قوات الأقضية التابعة له أيضاً بمرافقة الموكب لحين تسليمه إلى والي قونية أو قائمقامها ويأخذ مستنداً بذلك أيضاً[2]. ثم يقوم والي قونية بالسير مع الموكب بالطريقة نفسها إلى أطنة. وأثناء سير القافلة كان يلتحق بها أيضاً من يروم السفر إلى الحجاز. وعلى هذا المنوال كانت القافلة تأتي من أطنة إلى حماه ومنها إلى الشام حيث تسلم إلى واليها[3].

قبل يوم واحد من التحرك من الشام كان أمين الصرة وقافلة الحج يأتون مع العلم السلطاني «Liva-Saadet» المحفوظ بجوار مقام أبو الدرداء في قلعة الشام إلى مقر الحكومة [سراي دمشق - **المترجم**] وسط تهليل وتكبير مؤذنو الجامع الأموي والعسكر والأهالي. ويرسلون في اليوم التالي إلى مكة المكرمة مع قافلة الشام التي يقودها والي الشام والذي هوأمير الحج في الوقت نفسه. وكان أمير مكة المكرمة يستقبل القافلة في مداين صالح أو المدينة المنورة أو في محل ما على الطريق ويأتي معها إلى مكة المكرمة[4].

---

(1) مهمة دفتري 131، الأوراق 446 - 449.
مهمة دفتري 133، الأوراق 466 - 469 سنة 1139 هـ، ومهمة دفتري 134.
(2) الورقة 339. سنة 1140هـ.
(3) مهمة دفتري 134، الورقة 339.
(4) في الفترات الأخيرة جرت العادة على أن يستقبل أمير مكة المكرمة المحمل =

كانت قافلة الحج تتبع في ذهابها من الشام وإيابها تنظيماً معيناً، وكانت تتحرك مع مدافعها. ولم يكن هناك مجال لحدوث أي اضطراب وذلك بسبب تثبيت محلات أفراد القافلة ومن يستقبلها[1].

كان أمير الصرة يسلم الكتاب السلطاني المكتوب بالعربية الذي جلبه إلى أمير مكة وفق مراسيم معينة، ويقوم أمير مكة المكرمة بتقبيل الكتاب السلطاني ووضعه على رأسه. ويقوم فيما بعد بقراءة الكتاب السلطاني علناً في منى الواقعة على مسافة أربع ساعات من مكة. ثم تقدم أكياس الصرة والدفتر الذي يتضمن أسماء الأشخاص الذين يستلمون الصرة ومقاديرها إلى الشريف. وكانت هذه الأموال التي تسمى «**معلومية**» توزع تحت إشراف أمير مكة المكرمة وشيخ الحرم وأمين الصرة وقاضي مكة بموجب الدفتر[2]. وكانت أموال الصرة أو المعلومية

- الشريف في المدينة المنورة، وأصبح يخصص له مبلغ 30,000 قرش سنوياً تحت اسم «تكاليف الطريق وأجور الجمال» (يول بره سي وديوه أجرتي). انظر: مرآتي مكة - ج 2 - ص - 965.

(1) أمر إلى والي الشام وأمير الحج الوزير إسماعيل باشا:
عند ذهاب الحجاج المسلمين من الشام الشريف إلى مكة المكرمة وإيابهم كان قاضي مكة المكرمة والسقا باشي الكبير والمجدجي باشي يسيرون خلف قارعي الطبول والمدافع في حين يسير قاضي المدينة المنورة وأمين الصرة والسقا باشي الصغير في الوسط والصفوف الأخرى وفق ترتيبها ولم يكن الحجاج المسلمين يتكبدون أي مشقة أو صعوبة. ولكن قبل سنوات من هذا التاريخ اضطرب هذا التنظيم ولم يعد كل يسير في موقعه المخصص له الأمر الذي سبب مشقة وصعوبة للحجاج ولذا يجب العودة إلى النظام القديم وعدم السير بشكل مغاير لذلك...
سنة 1137 هـ أواسط رمضان (مهمة دفتري - الرقم 132، الورقة 293).

(2) مهمة دفتري، الرقم 131، الورقة 454، ووثائق الداخلية - تصنيف جودت - 3551. وكان الكتاب السلطاني المكتوب بالعربية والذي يجلبه أمين الصرة يتضمن توصيات بتوزيع أموال الصرة بشكل عادل وحفظ النظام وأمن الطرق وما يماثل ذلك.

التي لم تسلم إلى بعض الأشخاص بسبب وفاتهم أو غيابهم تسلم مرة أخرى إلى أمين الصرة الذي يعيدها إلى اسطنبول. أما الصرة المخصصة لأهالي المدينة المنورة فقد كانت توزع تحت إشراف وكيل أمير مكة المكرمة هناك وقاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وكاتب الصرة، ويجب تبليغ الحكومة بالكيفية التي تمت بها التوزيعات[1].

❀ ❀ ❀

لأجل حماية الصرة المرسلة من اسطنبول وقوافل الحج من هجمات البدو وتجاوزهم ولضمان سلامة وصول الأرزاق المرسلة سنوياً من مصر إلى المدينة المنورة عن طريق ميناء ينبع «Yenbu-ul-Baher» كان يخصص للبدو الذين على طريق قوافل الحج مبالغ من المال سنوياً تسمى صرة العربان «Urban Surresi»[2]. وقد بلغ مقدار هذه الأموال 20,000 قرش سنوياً في أوائل القرن الثامن عشر يؤمن 15000 قرش منها من عائدات الكشوفية «Kesufiye Aidati» التي يدفعها أمير لواء جدة إلى خزينة مصر و5000 قرش من والي ولاية حبش. وفي سنة 1110 هـ/ 1700 م أضيف مبلغ الـ5000 قرش الذي كان يؤخذ من والي حبش إلى المبلغ الذي يدفعه أمير لواء جدة[3].

---

(1) منشآت فريدون بك ج 2، ص 4 ـ 5.

(2) كانت الصرة تعطى لقبيلة عنزة التي تقطن شمال شبه الجزيرة العربية على طريق الحج وكذلك قبيلة بني حرب وبطونها بين المدينة وينبع البحر وقبائل روي وروي جماع [كذا] في رابغ بين العلى ul.a والمدينة وقبيلة زبيد في أطراف عقبة السويق «Akabe.tus- Suveyik» (مرآة الحرمين ـ قسم جزيرة العرب ـ ص 243 ـ ص 244) ولأجل حماية الحجاج من هجمات البدو أيضاً كانت تعطى صرة لأشراف الزيدية في وادي العنبر.

(3) نامة همايون دفتري ـ رقم ـ 5 ـ الكتاب السلطاني المرسل إلى أمير مكة المكرمة في أواسط شوال سنة 1111 هـ/ نيسان 1700 م.

بعد أداء مراسيم الحج يعود أمين الصرة مع قافلة الشام حاملاً معه كتاباً باللغة العربية من أمير مكة المكرمة رداً على الكتاب السلطاني إضافة إلى هداياه للسلطان والصدر الأعظم وغيرهم. وعند وصوله إلى كارتالة Kartal'a كان أمين الصرة يرسل طالباً السماح له بالمجيء إلى أسكودار. وبناءً على الإذن الممنوح له بعد عرض الموضوع على السلطان من قبل الصدر الأعظم يأتي إلى أسكودار[1].

إن كتاب أمير مكة المكرمة الذي يجلبه أمين الصرة كان يقدم إلى السلطان بواسطة الصدر الأعظم. وبعد ترجمة الكتاب إلى التركية في مكتب الديوان الهمايوني تعرض النسخة الأصلية والتركية على السلطان[2].

لقد كان أمراء مكة المكرمة يذكرون تبعيتهم للسلطان العثماني في كتبهم بعبارة (السلطان ابن السلطان خليفة رسول الرحمن... خ ن)[3].

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء/ وثائق خط همايون ـ الرقم 26803.

(2) **السلطان ... نائل القوة والمحبة.**

إن عبدك أمين الصرة الهمايونية درويش بك، وهو أحد قبوجي باشية الباب العالي قد عاد مع حجاج الهداية إلى دار السعادة (اسطنبول) حاملاً معه كتاباً عربي العبارة من أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون يتضمن الجواب إلى الطرف الشريف الملكي. ومع تسلم الكتاب تمت ترجمته: ليقدم هو والأصل إلى السلطان... للنظر فيه والأمر بحفظه في قلم الديوان الهمايوني. لتفضل جنابكم العالي بالعلم.

ويرد السلطان على هذه المذكرة كالتالي:

أيها القائمقام باشا [أي الصدر الأعظم ـ المترجم].

لقد اطلعت أنا السلطان على تقريرك وترجمة كتاب شريفنا وقائمة والي الشام وأصبحت على علم بمضمونها. وحسبما ورد في تقريرك يحفظ الكتاب المذكور كالمعتاد في قلم الديوان الهمايوني..

(أرشيف رئاسة الوزراء ـ المحفظة 108/ رقم البين 43 ـ الرقم العام 27413).

(3) نامة همايون دفتري ـ الرقم 10 الأوراق 168 و191.

كان أمير مكة يرسل أحد رجاله المعتمدين مع أمين الصرة مع هدايا إلى السلطان والصدر الأعظم وبعض رجال الدولة الآخرين. وكان معتمد الأمير يأتي مع هداياه إلى الباب العالي [مقر الصدر الأعظم - **المترجم**] أولاً حيث يؤخذ إلى غرفة مدير المراسيم (التشريفاتجي) ثم إلى رئيس الكتاب حيث يقدم له الرسائل التي يحملها ويسلمه الهدايا. وبعد أن يزور الصدر الأعظم ومساعد (كتخلدا) الصدر الأعظم يرسل إلى السراي مع التلخيصجي آغا[1]. وكان معتمد الأمير يكرم عند استقباله من قبل الصدر الأعظم حيث يقدم له الشربت والقهوة والبخور. وكان إنعام الصدر الأعظم على معتمد الأمير بفرو سمور مبطن بالمخمل معمولاً به (في أواخر القرن الثامن عشر). وفيما عدا هذا كانت الخلع تلبس للمساعدين (الكتخدائية) الأربعة أو الخمسة القادمين معه. وكانت العادة أيضاً قيام أغادار السعادة بتلبيس الخلع لمعتمد أمير مكة ومن معه[2].

ومع استخدام وسائط النقل البخارية، أي السفن البخارية، تغير طريق الصرة حيث أصبح إخراج الصرة في منتصف شعبان ثم تنقل بحراً إلى بيروت ومنها إلى دمشق حيث ترسل من هناك وفق التقاليد السابقة[3].

---

(1) من الكلمة العربية لخص. وهو الاسم الذي كان يطلق على البلاغات التي كان الصدر الأعظم يرسلها إلى السلطان. ومن هنا فإن الوظيفة تعني رئيس كتاب بلاغات الصدر الأعظم (المترجم).

(2) تشر يفات قديمة، ص 27 ـ 28.

(3) اعتباراً من أواخر القرن التاسع عشر أصبح إخراج الصرة في أواسط شعبان. ولأجل ختم أكياس الصرة المجهزة قبل يوم أو يومين في خزينة الأوقاف بالختم السلطاني تكتب مذكرة من نظارة الأوقاف إلى الصدارة [رئاسة الوزراء]. ويقدم التماس [من قبل الصدارة إلى السلطان ـ المترجم] بخصوص إصدار إرادة سلطانية -

ولأجل تأمين وسائط نقل الصرة من بيروت إلى الشام ومكة وحماية موكب الصرة كانت الدولة ترسل أوامر إلى ولاة بيروت والشام بهذا الخصوص.

لقد كانت الدولة العثمانية ترسل صرة سنوياً بانتظام ولم تبد تقصيراً في هذا الشأن حتى لو كانت في مواجهة ألف مشكلة. وقد استمر إرسال الصرة إلى مكة المكرمة لحين السنة التي سبقت ثورة الشريف حسين باشا أمير مكة المكرمة في 1334 هـ/ 1916 أثناء الحرب العالمية الأولى. وبعد ذلك أصبحت ترسل إلى المدينة المنورة فقط. واعتباراً من سنة 1335 هـ/ 1917 م أصبحت تساق حتى الشام فقط. وعلى الرغم من انتهاء السيطرة العثمانية على شبه الجزيرة العربية وسوريا فإن آخر سلاطين الدولة العثمانية وهو محمد وحيد الدين قد استمر، بصفته خليفة المسلمين، على سياسة التسامح والرعاية ومن مظاهر هذه السياسة أنه بحث مسألة تأخير إرسال صرة أمير مكة المكرمة والقبائل الذين ساهموا مع العدو [البريطانيين] في ضرب الجيش التركي. ولأجل عدم الأضرار بأهالي مكة المكرمة

- لتثبيت يوم إخراج الصرة. وبهذه الصورة تصدر إرادة السلطان. مع هذا الهامش نموذج مذكرة من وكيل ناظرة الأوقاف السلطانية إلى الصدارة في 7 شعبان 1334 هـ يشرح فيها مسألة إخراج الصرة سنوياً في أواسط شعبان وختم وتزيين أكياس الصرة قبل يوم أو يومين. ويطلب الإذن ممن له الأمر [أي السلطان] بخصوص إخراج الصرة في يوم الجمعة 15 شعبان بموجب المراسيم المعتادة وختم الأكياس يوم الأربعاء المصادف 13 شعبان. وبناءً على ذلك صدرت إرادة سلطانية موجهة إلى الصدر الأعظم محمد سعيد ووكيل ناظر الأوقاف السلطانية تضمنت الموافقة على إخراج الصرة سنة 1334 هـ يوم الجمعة 15 شعبان وإرسال الأكياس إلى سراي السلطاني لختمها في يوم الأربعاء 13 شعبان. وتحمل الإرادة السلطانية توقيع السلطان محمد رشاد وتاريخها 10 شعبان 1334 هـ.

والمدينة المنورة والبدو المشمولين بالصرة المرسلة من مقام الخلافة والتي تشكل عماد معيشتهم فإنه أصدر إدارة سلطانية بإرسال الصرة كما في السابق(1).

القفطان أغاسي «أمين الخلع»:

القفطان من الألبسة القديمة المعروفة وهو يرتدي فوق كل الملابس ولا بطانة له. والقفطان في العهد العثماني هو الاسم المرادف للخلعة. ولما كان للقفطان علاقة برتبة الشخص ومكانته في الدولة العثمانية فقد كانت هناك أنواع متعددة منه. وكان نوعها وجنسها يعين قانوناً. وكان قفطان أمراء مكة المكرمة يعمل من القماش المعروف بـ «سراسر Seraser» وفرو السمور.

إن أمين الخلع هو الشخص الموجود في الديوان الهمايوني أو دوائر الوزراء ووظيفته تلبيس الخلعة للأشخاص الذين يحصلون على رتب أو مناصب. إن أمين الخلع الذي كان يكلف بجلب فرو السمور الذي ينعم به السلطان على أمير مكة المكرمة كان موظفاً صغيراً من خارج [السراي]. ولكن بعد التنظيمات أصبح هذا الموظف يعين من

(1) انظر بهذا الخصوص مذكرة مؤرخة في 29 رجب 1337 هـ كتبت في مكتب رئيس كتاب المابين [المقصود بالمابين هنا الغرف الوسطى الواقعة بين قسم الحريم من ناحية وبين البلاط الثالث (منطقة الخدمة الداخلية ككل) من ناحية أخرى - المترجم] وأبلغت إلى نظارة الأوقاف في زمن ناظر الأوقاف واصف أفندي وردت فيها إشارة إلى عدم إمكان إرسال الصرة إلى مكة المكرمة خلال الحرب ثم إرسالها لغاية المدينة المنورة وبعد ذلك إرسالها لغاية دمشق فقط. وكيف أن صرة تلك السنوات لم تصل إلى محلاتها ولم توزع على مستحقيها الأمر الذي سبب الضرر والأذى لأهالي البلدتين المباركتين والبدو المشمولين بالصرة ولما كانت التأثيرات السيئة المترتبة على ذلك بالغة الأهمية يجب اتخاذ التدابير لإخراج الصرة الهمايونية كما في السابق....

بين موظفي الخدمة الداخلية «**الأندرون**».

كان هذا الموظف يلبس قبل سفره خلعة التعيين بحضور الصدر الأعظم وأغادار السعادة. وكان القفطان آغا هذا يرسل إلى أمير مكة المكرمة، ومعه كتاب بالتركية من السلطان العثماني إلى الأمير، قبل شهرين من موعد تحرك موكب الصرة الهمايونية[1]. ويطلق على هذا الكتاب السلطاني اسم «**تشريفات نامة همايون**».

بعد بضعة أيام من تعيينه كان القفطان آغا يستلم الكتاب السلطاني الموجه إلى أمير مكة المكرمة، والقفطان ذو الأكمام الطويلة المعمول من فرو السمور وقماش السراسر، بحضور رئيس الكتاب[2]. وقبل بدء إرسال خلعة أمير مكة المكرمة مع القفطان آغ كان أمين الصرة هو الذي يقوم بهذه المهمة حيث يجلب الخلعة إلى الأمير مع الصرة[3].

(1) ورد في الكتاب المرسل إلى أمير مكة المكرمة الشريف مساعد بن سعيد في أوائل رجب 1181 هـ/ تشرين الثاني 1767 م:
ليكن معلوماً عند وصول كتابي السلطاني هذا أنه بسبب اهتمامكم بضمان قيام الحجاج بزيارة بيت الله الحرام والطواف حوله وزيارة الروضة المطهرة لحضرة سيد الأنام واهتمامكم بتنظيم وحسن تدبير أمور تلك الأراضي المقدسة وضمان راحة ورفاهية التجار والزوار وأهالي تلك البلاد أرسل إليكم خلعة سلطانية فاخرة عبارة عن ثوب من فرو السمور. وقد عين قدوة الأماجد والأعيان محمد الأوطة باشي سابقاً وهو من إقطاعي (كديكلي) الباب العالي لنقل كتابي السلطاني إليكم...
(نامة دفتري 8/ ص 549)

(2) تشريفات قديمة، ص 27، لطفي تاريخي ج 3 ص 166.

(3) حول هذه النقطة يقال بأن هناك فرمان مرسل إلى أمير مكة المكرمة في القرن السابع عشر ورد فيه تعيين شخص اسمه علي أميناً للصرة وإرسال السلطان خلعة سلطانية عبارة عن ثوب مع هذا الشخص إلى أمير مكة المكرمة انظر.
منشآت فريدون، ج 2، ص 5 طبعة تقويمخانة 1265)

إن أرسال الخلعة إلى أمير مكة المكرمة مع القفطان آغا كان يعني رضا [السلطان] عنه لضمان سلامة الحجاج وأدائهم لمراسيم الحج وعودتهم، ومن هنا فإن إرسال الخلعة إلى أمراء مكة كانت بمثابة بشرى لهم ببقاءهم في منصبهم. ولهذا كانت التشريفات [أي الكتاب السلطاني المكتوب بالتركية والخلعة ـ **المترجم**] ترسل في الأدوار الأولى في شهر ربيع الأول بعد ورود المجدجي باشية ببشرى عودة الحجاج بسلام[1]. ولكن فيما بعد أصبحت ترسل في جمادي الآخر ورجب. وبعدما أصبحت الصرة ترسل بواسطة السفن البخارية إلى بيروت ومنها عن طريق البر إلى الحجاز أصبحت القاعدة إرسال الكتاب السلطاني الموجه إلى أمير مكة المكرمة مع الصرة في شهر شعبان.

كان شريف مكة المكرمة وعلمائها والسادة الأشراف وأغوات البلوكات السبعة (أمراء الوحدات العسكرية السبع) التي في مكة وشيوخها يخرجون لاستقبال القفطان آغا الذي يحمل الكتاب السلطاني وفرو السمور. وبعد أن يأخذ الشريف الكتاب السلطاني من القفطان آغا يقبله ويضعه على رأسه ثم يفتحه ويسلمه إلى كاتبه المختص بالمراسلات التركية لقراءته. وكان الشريف يرد على كتاب السلطان هذا بكتاب مكتوب بالتركية أيضاً يذكر فيه بأنه سيعمل وفق التوصيات الواردة في الكتاب السلطاني[2].

قبل فترة التنظيمات كان يتم اختيار القفطان آغا من بين

---

(1) ورد في وثائق الداخلية (تصنيف جودت) الرقم 11983 سنة 1148 هـ وفي دوسون Duhson (ص 87) بأن القفطان آغا كان بصورة عامة يسافر قبل شهرين من تحرك أمين الصرة من اسطنبول.

(2) (أرشيف رئاسة الوزراء ـ نامة همايون دفتريپ 8، ص 288).

الأشخاص المعزولين من مناصب القبوجي باشي (كبير البوابين) أو المهتر باشي (كبير الموسيقيين) أو أدرنة بوستانجي باشي (كبير بستانيي أدرنة) وغيرها من المناصب الصغيرة المماثلة. وبعد التنظيمات[1] جرت العادة على إسناد المهمة إلى أحد قدماء خدم «خرقاي سعادت Hirka)i Saadet»[2] الذي يقترحه كتخدا خزينة السلطان الداخلية في سراي طوب قابو.

كان اسم الشخص المرشح الذي حدده كتخدا الخزينة يرفع إلى السلطان بواسطة عريضة حيث يتم استحصال موافقته. ثم يراجع الشخص المعين لوظيفة قفطان آغا بهذه الطريقة دائرة الصدر الأعظم بعد تقديم طلب خطي يلتمس فيه إتمام معاملته. وبعد كتابة اسم الوزير الأعظم على هامش الطلب وختمه بختم الصدارة[3] يحول الطلب إلى قلم الديوان الهمايوني الذي يدقق في حصول الشخص أو عدم حصوله على الموافقة السلطانية الخاصة بتعيينه قفطان آغا. ولما كانت مخصصات الأشخاص الذين يعينون في وظيفة قفطان آغا تدفع من خزينة مصر فإن القفطان آغا كان يستلم فرماناً مكتوباً في قلم الديوان وموجهاً إلى خديوي مصر بشأن منحه المخصصات.

❀ ❀ ❀

(1) التنظيمات يقصد بها فترة الإصلاحات المعروفة في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر والتي بدأت بإصدار وثيقة الإصلاح المعروفة باسم «خط شريف كلخانة» سنة 1839 (المترجم).

(2) قاعة خاصة في سراي طوب قابو كانت تحفظ فيها بعض الأشياء المهمة والمباركة مثل راية السلطان العثماني وستارة باب الكعبة التي كانت ترسل إلى اسطنبول في سنوات الحج الأكبر ومفتاح باب الكعبة الشريفة وما إلى ذلك كما يتضح من الصفحات القادمة (المترجم).

(3) إن ختم (مهر) رؤساء الحكومة، الذين كانوا يسمون في الأدوار الأولى من الدولة

حتى سنة 1245 هـ/ 1829 م كانت الخلعة المرسلة إلى أمير مكة المكرمة مع القفطان آغا من فرو السمور المخصص للوزراء ومنذ هذا التاريخ أصبحت هروانية Harvaniye ذات لون أخضر زمردي[1]. وكان يرسل إلى أمير مكة المكرمة مع القفطان آغا أيضاً قماش كاف للباسين «iki elbiselik» إضافة إلى خلع لقضاة مكة والمدينة وشيوخ حرم مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس وبعض الشخصيات البارزة الأخرى وغيرهم. وفيما عدا هذه الخلع كان يرسل مبلغ 500 قرش ذهب (سكة حسنة) لكل من القاضيين اللذين بمعية أمير مكة المكرمة ولكل من شيوخ الحرم[2].

كان القفطان آغا يجلب عند عودته كتاباً بالتركية من الأمير رداً على الكتاب الذي جلبه [من السلطان ـ **المترجم**] ويقوم بتقديمه إلى الوزير الأعظم في الباب العالي والذي يقوم بدوره بعرضه على السلطان مع تقرير[3].

= العثمانية «وزير الأعظم» وفيما بعد «صدر أعظم»، استمر يحمل عبارة «وزير أعظم» حتى نهاية السلطنة العثمانية. ونرى في الوثائق التي بين أيدينا أختام الوزير الأعظم محمد فريد والوزير الأعظم إبراهيم حقي والوزير الأعظم محمود شوكت. وكانت هذه الأختام تبقى عند حاملي أختام (مهردارية) الوزراء العظام).

(1) إضافة إلى الخلعة كانت ترسل إلى أمير مكة المكرمة هدايا كثيرة أهمها:
طولين من صوف أنقرة ومصابيح زيتية و10 أزواج أحذية من نوع اليمني ودزينة من مناديل الكتان وصرة أغراض من الحرير المطرزة ومجموعة من ملاعق الآكل ذات مقابض مرجانية وزوجين من النعال الجلدي المزخرف وزوجين أخرين مصنوعين من الجلد والقطيفة وصينيتين معدنيتين وبقجة للقفطان معمولة من الحرير وعلبة من سكر اللوز وعلبة من اللقم وعلبة من الفستق والسكر وشراب متنوعة وصندوق للقفطان. وفي بعض السنوات تضاف هدايا أخرى إلى هذه. كما يرسل إليه البخور الذي يجهزه البخورجي باشي.

(2) تشريفات قديمة، ص 24.

(3) **سيدي السلطان. . . . ذو القوة والكرامة.** =

الرسائل المتبادلة بين السلاطين وأمراء مكة المكرمة

مثلما ذكرنا سابقاً كان السلطان العثماني يرسل إلى أمراء مكة المكرمة في عهد تبعيتهم له رسالتين الأولى بالعربية ترسل مع أمين

- إن سليمان آغا الذي أرسل إلى طرف الحجاز بصفتة قفطان آغا في السنة المباركة السابقة قد توفي قبل الحج وأن خليفته المدعو نجيب قد عاد إلى دار السعادة [اسطنبول ـ المترجم] حاملاً من أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون كتاباً تركي العبارة إلى طرف الخلافة الشريف وسلمه إلى الباب العالي ولأجل تفضلكم بالاطلاع عليه أقدمه لطرفكم السلطاني الملكي وأن يحفظ بعد اطلاعكم في قلم الديوان الهمايوني كما هي العادة.. تفضلكم بالعلم لكم الأمر. (أرشيف رئاسة الوزراء ـ دولاب رقم 5 صندوق 255) والكتاب المرسل في (نامة دفتري 6، ص 25) ومع وفاة محمود الأول وتنصيب أخيه عثمان الثالث سلطاناً أرسل إلى أمير مكة المكرمة الشريف مساعد بن سعيد كتاب في صفر 1168 هـ/ 1754 م ورد فيه بعد ذكر ألقابه.

«إن شقيقي السلطان محمد خان قد رحل بحول أجله المحتوم بإرادة القادر القيوم.

وباتفاق رأي الوزراء العظام وإجماع العلماء الكرام وانقياد جملة الخواص والعوام جلسنا بالاستحقاق على سرير السلطنة في يوم الجمعة سنة 1168 هـ» (نامة همايون دفتري 8، ص 329) وفي الدفتر نفسه يوجد كتاب آخر مرسل إلى شريف مكة المكرمة مع وفاة عثمان الثالث وتولى ابن عمه مصطفى الثالث مقاليد السلطة ص 390).

الصرة والثانية بالتركية ترسل مع القفطان آغا. وترد من الشريف رسالتين جوابيتين الأولى بالعربية والثانية بالتركية أيضاً. وتوجد صور الرسائل إلى أمير مكة المكرمة في قلم التشريفات والبكوات التابع للديوان الهمايوني «Divan- Humayun Beylik ve Tesrifat Kalemi» وعند الحاجة تؤخذ من هنا وبعد كتابتها تعرض على السلطان مع تقرير من الصدر الأعظم مكتوب في غرفة آمدي «Amedi Odasi» للاطلاع عليها[1]. أن البعض من هذه الرسائل كان يختم بالختم الهمايوني الموجود لدى السلطان[2] في حين يختم البعض الآخر بالختم الهمايوني الموجود لدى الصدر الأعظم[3].

---

(1) سلطاني... ذو القوة والكرامة والمحبة يرسل من الطرف الشريف السلطاني إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون رسالتين سلطانيتين أحدهما بالعربية والأخرى بالتركية مع أمير الصرة والقفطان آغا كما هو معتاد سنوياً. وكما في السابق تكتب نسخ مسودة من هذه الرسائل لينظر فيها سموكم الهمايوني وإذا لقيت عباراتها موافقتكم فسوف يتم تبييضها حسب ذلك وبعد ختمها تعطى الرسالة العربية إلى أمين الصرة الهمايوني والتركية إلى القفطان آغا مع التشريفات السنية المعتادة (أي القفطان المعمول من قماش السراسر وفرو السمور). للعلم ولكم الأمر.

ورداً على هذا التقدير كتب السلطان محمود الثاني:

إلى القائمقام باشا (كان الصدر الأعظم في الجبهة مع الجيش بسبب الحرب).

اطلعنا على مسودات الرسائل السلطانية المرفقة مع التقدير. يجب تبييضها بهذا الشكل وتسليمها إلى المومئ إليهما.

(أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الصناديق ـ 106 ـ الرقم العمومي 26901).

(2) إن الرسائل المرسلة من طرف السلطان إلى أمير مكة المكرمة بالعربية والتركية مع أمين الصرة والقفطان آغا قد ختمت بعد كتابتها في قلم الديوان الهمايوني بواسطة الختم الهمايوني الموجود لدي السلطان (أرشيف طوب قابو سراي ـ الرقم 1799) كما كانت أكياس الصرة تختم بالختم الهمايوني (الأرشيف نفسه ـ الرقم 1784).

(3) نلاحظ أن الوثيقة رقم 26901 المذكورة في هامش سابق قد ختمت من قبل قائمقام الصدر الأعظم. وفي الصندوق نفسه وثيقة تحمل الرقم 26842 يرجع تاريخها إلى سنة 1905 نلاحظ فيها بأن رسالة السلطان قد ختمت بالختم -

إن رسالة السلطان المرسلة مع أمين الصرة كانت تكتب بالخط المعروف باسم «ريحاني ـ reyhani. وبعد وضع البسملة في بداية الرسالة يوضع في طرفها الأعلى طغراء على شكل نجمة ذهبية ثم توضع في كيس من الأطلس الأخضر ويعلق بالكيس علبة كروية ذهبية. وقد جرت العادة على كتابة العبرة التالية: على غلاف الرسالة وبالخط الريحاني أيضاً:

«طرفي مستجمع المجد والشرف حضرتي جهاندارن حالاً أميري مكي مكرمة جناب أمارتماب أيالت نصاب سعادت اكتساب سادات انتساب شريف. . . . . دام سعده شرفيافته صدور أولان نامي همايون ملاطفت (أو موهبت) مقروني خلافتبناهدر» أو عبارة مماثلة لهذه[1].
إن مقدمة رسالة السلطان العربية المرسلة مع أمين الصرة كانت تكتب في أحيان كثيرة، بصرف النظر عن بعض التغيرات الطفيفة، بالشكل التالي:

«الحمد لله الذي جعل البيت الحرام قياماً للناس يأتون إليه من كل فج عميق ليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق وبواء لإبراهيمﷺ مكان البيت واتخذه خليلاً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً فطوبى لمن دخله مليماً بقلب سليم فيه آيات بينات مقام إبراهيم ثم أن

= الموجود لدى السلطان ونلاحظ هذا أيضاً في الوثيقة الواردة في الهامش السابق أعلاه (أي وثيقة أرشيف طوب قابو سراي ـ الرقم 1799 ـ المترجم).

(1) نامة همايوني دفتري 7، ص 328. (وهذه العبارات كلها ألقاب لأمراء مكة المكرمة، انظر أيضاً الجزء الخاص بألقاب أمراء مكة المكرمة في الصفحات السابقة ـ المترجم).

أفضل صلوة وأزكى سلام على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله وأصحابه الداخلين المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين».

طغراء السلطان

وبعد فهذا كتابنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف خاقاني وأمرنا الذي أضحت به عقود الأمانة إلى منتظمه وأمور الخلافة ملتئمة ورايات البغي والعدوان منكسة وآيات الغي والطغيان مندرسة لا زال نافذاً في الأطراف مطاعاً في الأكناف ما قررت الأرض قرارها ودارت الأفلاك مدارها أرسلناها إلى جانب الأمير الكبير الأكرمي الأمجدي الأفخمي فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية المنتسب إلى أشرف نسب علا عنصره واحسب حسب غلا جوهره زيدت سلالة الزهرا البتول عمدة آل بيت الرسول المحفوف بصنوف عواطف من لا يخلف الوعد الشريف سعيد بن شريف سعد دام شرفه أمير المكة المكرمة»[1].

أما الرسالة التركية المرسلة مع القفطان آغا فكانت تكتب بخط الجلي «Celi» وكانت مسودة هذه الرسالة تهيأ في غرفة آمدي وفق النموذج المتعارف عليه. ثم تقدم من قبل الصدر الأعظم إلى السلطان وبعد الحصول على مصادقة السلطان يتم تبييض الرسالة التي تسلم بعد

(1) نامة همايوني دفتري 6، ص 291 سنة 1125 هـ/ 7173 م. ونلاحظ تغير المقدمة في رسالة أخرى (نامة همايوني دفتري 8، ص 284).

ختمها بختم السلطان إلى القفطان آغا في الباب العالي.

كانت هذه الرسالة تتضمن، بعد ذكر ألقاب أمير مكة، طلباً منه بالعمل على ضمان رفاهية وراحة آهل الحرمين الشريفين وسلامة الحجاج القادمين للزيارة في إيابهم وذهابهم. كما تتضمن معلومات عن إرسال الخلعة المعمولة من فرو السمور وقماش السراسر أو المعطف الأخضر الذي استحدث فيما بعد والمسمى «ferace-ı hadra» مع الرسول (أي القفطان آغا **المترجم**) الذي يحمل الرسالة. كما تتضمن الرسالة توصيات حول توزيع الصرة التي سترسل وفقاً للدفتر، والعمل مع والي الشام الذي هو أمير الحج على حماية الحجاج والتجار والزائرين وبذلك يضمن رفع الصالحين والعابدين والزهاد الدعاء للسلطان، وأن يخرج (أي الأمير ـ **المترجم**) لاستقبال الحجاج في مداين صالح (أصبح في المدينة المنورة فيما بعد) ومرافقتهم إلى هناك أيضاً عند عودتهم وحماية قوافل الحجاج من تجاوزات وهجمات البدو[1].

وعند تبدل السلاطين أيضاً كانت ترسل إلى أمراء مكة المكرمة رسائل توضح إبقائهم في مناصبهم. كما يرسل إليهم مع منشور الإمارة رسالة بشأن أي موضوع من المواضيع[2].

كان السلطان يكتب بخط يده في الطرف العلوي من الرسالة المرسلة إلى أمراء مكة المكرمة بضعة أسطر تتضمن بعض التوصيات

(1) نلاحظ في دفاتر النامة أن هذه الرسائل كلها بنفس المضمون.

(2) انظر الرسالة المرسلة من السلطان أحمد الثالث الذي أصبح سلطاناً بعد خلع أخيه مصطفى الثاني في ربيع الآخر 1115 هـ/ آب 1703 م إلى أمير مكة المكرمة الشريف سعيد. (نامة دفتري رقم 6، ص 25).

أو التمنيات أو حسب ما يقتضيه الأمر. مثال ذلك أن السلطان محمود الأول كتب بخط يده في أعلى الرسالة السلطانية المرسلة إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن الشريف عبد الله في ربيع الآخر 1146 هـ/ أيلول 1723 م البيان السامي (خط همايون) التالي:

«بعون الله الملك المتعال. لما كان قيامكم بحفظ أمن طريق الحج لضمان رفاه حال حجاج المغفرة أمل طبيعي [كذا] الهمايوني، يجب عليك وفقاً لذلك إبداء الاهتمام والانتباه...»[1].

كما كتب السلطان عبد المجيد بخط يده البيان السامي التالي على الرسالة العربية المرسلة إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون في نهاية شوال 1272 هـ/ حزيران 1856:

«بناءً على كون أصالتكم الفاخرة ونجابتكم الباهرة ودرايتكم الكاملة المنظمة حسب ما توقعه وأمله جنابنا الملكي وبسبب الخدمة الفائقة التي أبديتموها هذه المرة وحركاتكم اللائقة المشهودة في كل خصوص فقد كان هذا موجباً لسرورنا الكامل الفائق كما استلزم زيادة تمنياتنا الحسنة بحقكم الشريف. وكدليل على سرورنا الملكي وتمنياتنا نرسل لطرف سيادتكم سيفاً مرصعاً بواسطة أمير اللواء (Miralay) إبراهيم بك. إن استكمال الأمن والنظام في الحرمين الشريفين والبلاد الحجازية بلا استثناء وراحة العوام

(1) نامة همايوني دفتري، 7.

والخواص والحجاج وذهابهم وإيابهم بأمان هو أمر يفوق كل أمر أخر لدينا. وأن طلبي هو آن تعمل بالاتفاق مع والي جدة محمد شريف باشا في هذه الأمور الخيرية على الدوام وتبدي اهتماماً بها. وفقكم ربكم تعالى وذو الحضرة المقدسة في كل حال. آمين بحرمة سيد المرسلين»[1].

كان أمراء مكة المكرمة يردون على رسالة السلطان العربية بأخرى عربية وعلى رسالته التركية بأخرى تركية. وكان أمراء مكة المكرمة يكتبون رسالة واحدة بمبادرة منهم وهي الرسالة التركية التي يرسلونها مع حاملي البشرى «المجدجي باشية» والتي يعلم فيها السلطان بأداء الحجاج لمناسك الحج وعودتهم بسلام. ورداً على هذه الرسالة كان السلطان يبعث رسالة التشريفات مع القفطان آغا والتي يبدي فيها امتنانه لأمير مكة. وكما ذكرنا سابقاً فإن الخلعة والرسالة التي كانت ترسل مع القفطان آغا أصبحت ترسل مع الصرة في الأدوار الأخيرة.

كانت مضامين رسائل أمراء مكة المكرمة المرسلة مع حاملي البشرى، والتي يعلمون السلطان فيها بعودة قوافل الحج بسلام، متشابهة. أما مقدمتها الإنشائية فكانت تكتب بأشكال مختلفة. مثال ذلك أم مقدمة الرسالة التي أرسلها أمير مكة المكرمة الشريف مسعود بن سعيد في 1160 هـ/ 1747 م كانت بالشكل الآتي:

«كهف الأنام مغيث الإسلام ملجأ الخاص والعام
غياث المسلمين نصرت الموحدين مالك ممالك

(1) نامة همايوني دفتري 12، ص 15.

ربع المسكون سالك مساغ الحق في كل حركة وسكون فخر آل عثمان الأكرمين أجل الملوك والسلاطين المحمود[1] قولاً وفعلاً أطيب فرعاً وأصلاً خادم الحرمين الشريفين وكالىء البلدتين المنيفتين أن الأمر المعروض من قبل الداعي هو «معروض داعىء كمينه لريدركه»...[2].

كبار حاملي البشرى Mujdeci basllar[3]

هؤلاء اثنان يطلق عليهما اسم المجدجي الأول والمجدجي

---

(1) إن كلمة المحمود الواردة في العبارة كان المقصود منها مجاملة السلطان عن طريق التلاعب بالألفاظ لأن رسالة أمير مكة هذه كانت مرسلة إلى السلطان محمود الأول.

(2) إن مقدمة الرسالة المرسلة من أمير مكة لمكرمة الشريف عبد الله بن الشريف سعيد مع المجدجي باشية في ذي الحجة 1131 هـ/ حزيران 1729 م كانت: «كهف الأنام مغيث الإسلام ظل الله في العالم حامي الحرمين الشريفين أمم الغزات والمجاهدين قاتل الكفر والمشركين محيي سيرة الخلفاء الراشدين حسنة الزمن إسكندر الأوان ناصر الملة والإيمان بسط الأمن والأمن سيف الله القاطع وسهامه الساطع سلطان البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين لا زالت أعتاق الخلايق خاضعة لأوامره وأحكامه ولا دارت الأفلاك الأعلى وفق مأموله ومرامه سلطان العالم ذو القوة والمهابة والعظمة عمره الله وقواه....» (نامة همايوني دفتري 7، ص 200) ومقدمة رسالة أخرى أرسلت مع المجدجي باشية في 1167 هـ/ 1753 م كانت: وسلطن العالم وخاقان الأفحم الأعظم صحب القران الثاني خليفة الرحمن دامه الله في ظله السبحني وأحاط خلافته العظمى بالسبع المثاني المعروض...» (نمة دفتري 8، ص 321).

(3) المجدجي باشية اثنان يؤخذون من قدماء السراي ويذهبان مع الصرة إلى مكة المكرمة وبعد الحج يأخذان رسالة أمير مكة المكرمة إلى السلطان ورسالته الأخرى إلى الصدر الأعظم ويأتيان مع الحجاج إلى الشام حيث يأخذان رسالة والي الشام إلى الصدر الأعظم وكذلك حجة قاضي الشام ويتحركان بأقصى سرعة إلى اسطنبول دون التوقف في أي منزل من منازل الطريق ويصلون اسطنبول في نهاية محرم أو خلال صفر حيث يتوجهان على الفور إلى الباب العالي (باشا

الثاني. ويتحرك هؤلاء سنوياً مع أمين الصرة وقافلة الحج من اسطنبول ومعهما فرمان يتضمن بياناً سامياً «خط همايون» إلى والي الشام. وعند وصولهم إلى الشام يقدم لهم واليها، بموجب الفرمان الذي يحملونه، خمس وعشرين جملاً كان ينظر في احتياجاتهم الأخرى. وبعد أن يتم ذلك تحسب المبالغ التي أنفقت من حساب والي الشام. وكانت الحكومة العثمانية تكتب رسائل إلى أمير مكة المكرمة وشيخ الحرم بخصوص المساعدة الواجب تقديمها للمجدجية.

بعد انتهاء الحج يعود المجدجية بسرعة إلى اسطنبول حاملين خبر سلامة الحجاج ولا يبقون في أي منزل من منازل الطريق كما يجلبون رسالة بالتركية «تسمى دعاء نامة duaname» من شريف مكة ورسالة من أمير الحج. ويبشر هؤلاء المجدجية السلطان بأخبار السلامة التي جاؤوا بها. ونجد أن أقصى تاريخ لعودة المجدجية إلى اسطنبول هو أوائل ربيع الأول[1]. ويجب أن يكونا موجودين في

= قابيسي» حيث يسلمون الرسالة الموجهة إلى الصدر الأعظم وكذلك حجة قاضي الشام. وكان عدم وصول المجدجي باشية في الوقت المحدد باعثاً على القلق من احتمال تعرض قافلة الحج لمكروه. إن الغرض من تعيين مجدجية باشية اثنين هو أن يكون أحدهما احتياطياً في حالة وفاة صاحبه. (وثائق الخط الهمايوني 27433 وأرشيف رئسة الوزراء 26797 ودفتر قائمة الأنضول Anadlu Kaime defiteri رقم 9، ص 26 ودفتر الخفايا Hafaya رقم 3، ص 100).

(1) عند وصول المجدجي بشية إلى اسطنبول يقدمون رسالة أمير مكة المكرمة (المسماة دعاء نامة)، ورسالته الموجهة إلى الصدر الأعظم وكذلك حجة قاضي الشام ورسالة والي الشام وأمير الحج، إلى الصدر الأعظم في الباب العالي. ويقوم الصدر الأعظم بدوره بعرضها على السلطان مع خلاصة «Telhıs» كما يلي:

سيدي السلطان. . . . ذو القوة والكرامة والمحبة وولي نعمتي أن دعاء نامة الشريف يحيى إلى الطرف الشريف السلطاني وحجة قاضي الشام التي تتضمن خبر وصول الحجاج إلى الشام بسلام قد وردت اليوم إلى اسطنبول بواسطة المجدجي =

احتفال المولد النبوي الذي يجري في جامع السلطان أحمد في 12 ربيع الأول. **وعندما يصل قارىء المولد النبوي إلى عبارة:**

«جاء مرتحلاً على جناح طيرٍ

بقوة أرقام السواد [كذا] على الفور»[1]

كان السلطان والسامعين ينهضون واقفين وعندئذٍ يقبل المجدجي باشي إلى حضرة السلطان ويقدم رسالة أمير مكة المكرمة. ولما كان أمير مكة المكرمة يقدم التمر مع بشرى عودة الحجاج بسلام فإن السلطان يرسل طبقاً من هذا التمر إلى الوزير الأعظم وبعد أن يأكل منه يعطي منه للوزراء والعلماء الموجودين بالقرب منه في المولد ـ ثم يضع الوزير الأعظم قبضة من النقد الذهبي (التون) في طبق التمر الموجود أمامه ويرسله مع التشريفاتجي إلى كبير خدم الفوطة «بشكير أغاسي ـ Paskir Agasi»[2].

إن الأهمية التي أعطيت لمسألة جلب المجدجية خبر عودة الحجاج بسلام ترجع إلى أهمية هذا الأمر بالنسبة للسلطان العثماني

الأول، والمجدجي الثاني. إن الرسالة المذكورة تقرأ كالمعتاد في حفل المولد الشريف في جامع السلطان أحمد ثم تحفظ في قلم الديوان الهمايوني. . ولكم الأمر. ورداً على هذا كتب السلطان محمود الأول بياناً سمياً جاء فيه:

وزيري:

اطلعنا على رسالة الشريف وحجة قاضي الشام. وقد أرسلت الرسالة إلى طرفكم مجدداً. وأمري هو أن تقرأ في حفل المولد الشريف ثم تحفظ في قلم الديوان الهمايوني.

(1) كلدي براقوش قناتيله ريوان.

أرقامي سوادي قوتلة همان

[أعتقد أن هذا البيت إشارة إلى الإسراء والمعراج. والأرقام هنا تأتي بمعنى الحروف أيضاً وربما المقصود بقوة أسرار الحروف ـ المترجم].

(2) تلخيص مجموعة سي (مكتبة أميري العامة ـ قسم الأدبيات ـ الرقم 502).

بوصفه خادماً للحرمين الشريفين[1].

إن إغلاق طريق الحج لأسباب مختلفة مثل تمردات البدو وهجماتهم على قوافل الحج كانت من أصعب الأمور وكانت مثل هذه الحالة مدعاة لقلق السلاطين وتأثرهم[2]. وأن بعضهم كان يبادر، عند عدم وصول المجدجية في نهاية محرم أو في صفر لسبب ما، إلى إرسال أوامر «Hukum» إلى القضاة والنواب وغيرهم الذين على الطريق مستفسراً منهم عن مكان المجدجية وأهمية تأمين وصولهم إلى اسطنبول بأسرع ما يمكن[3].

كان المجدجي باشية يعينون من بين جماعة السراي. ولكن وجد

---

(1) جرت العادة على قراءة المولد في مكة في يوم ذكرى بعثة الرسول ﷺ سنوياً. وقد أمر السلطان مصطفى الثاني بقراءة المولد في الروضة المطهرة أي المدينة المنورة وخصص لذلك الأوقاف من مصر (مهمة دفتري 111، ص 623 سنة 1113 هـ).

(2) في سنة 1112 هـ/ 1700 م لم يصل المجدجي باشية الحاملين لخبر سلامة الحجاج في موعدهم بسبب تمرد البدو ولذا فأن المولد الشريف الذي كان من المعتاد قرائته يوم 12 ربيع الأول قد تأخر إلى يوم 20 ربيع الأول وكان تعرض الحجاج للسوء باعثاً على تأثير كبير.
(سلحدار تاريخي ـ الجزء الثالث)

(3) في هذا الخصوص هناك صورة فرمان يرجع إلى بداية صفر 1024 هـ/ أيلول 1789 م جاء فيه:
أمر إلى القضاة والنواب والكتخدائية وقادة الانكشارية وضباط وكتخدائية المدن الآخرين في المناطق الواقعة بين محل وجود المجدجي باشية وبين أسكودار. . .
إن المجدجي باشية قد عينوا وخصصوا لإيصال الرسالة التي يبعثها إلى جنابنا السلطان أمير مكة المكرمة من البيت الحرام سنوياً. وقد جرت العادة على عرضها علينا وتقديمها لجنابنا السلطاني في يوم 12 ربيع الأول يوم المسرة ويوم عقد المولد النبوي. ولعدم معرفتنا الآن بمحل وجود المجدجي فإنني أصدرت أمراً بتسهيل سوقه وإيصاله من محل وجوده إلى در سعادت Derssdt (اسطنبول ـ المترجم) (أرشيف رئاسة الوزراء ـ تصنيف جودت ـ وثائق الداخلية ـ الرقم 1308).

منذ سنة 1247 هـ/ 1826 م أن من الملائم تعيينهم من بين أغوات الكونلو «agalar gonullu» والخلاص سلاحشورية «hassa silanhsor»[1] وهذا ماتم فعلاً[2]. وبعد استخدام الاتصالات البرقية الغيت وظيفة المجدجي باشي.

❀ ❀ ❀

كان أمراء مكة المكرمة يوقعون بأشكال مختلفة على الرسائل التي يرسلونها ومن بين الذين كانوا يوقعون بعبارات مختلفة على رسائلهم الشريف يحيى بن سرور الذي كان أميراً لمكة المكرمة من سنة 1229 هـ/ 1814 م إلى سنة 1242 هـ/ 1826 م. ومن تواقيعه:

(الداعي المستديم شريف يحيى بن سرور) **ثناكر** في قصور شريف يحيى بن سرور) (الداعي للدولة العلية شريف يحيى بن سرور) (الداعي الشكور الشريف يحيى المخلص شريف يحيى بن سرور) (الداعي للدولة العلية بالفتوح والحبور شريف يحيى بن شريف سرور).

وكان توقيع الشريف غالب بن مساعد (1202 هـ/ 1787 م إلى سنة 1228 هـ/ 1813 م) بالشكل التالي:

«الداعي للدولة العلية بالمحامد الشريف غالب بن الشريف مساعد».

أما توقيع الشريف محمد بن عون الذي كانت إمارته الأولى في

---

(1) أغوات الكونلو أي رؤساء وحدات الجنود المتطوعين المعروفين بهذا الاسم وهم بمثابة قوات حدود.. أما الخاص سلاحشورية فهم وحدة خاصة من حملة البنادق في خدمة السلطان. (المترجم).

(2) لطفي تاريخي، ج 3، ص 166.

سنة 1242 هـ/ 1825 م وإمارته الأخيرة في 1272 هـ/ 1855 م[1]

فكان عبارة:

«الداعي للدولة العلية بالنصر والعون شريف محمد بن شريف عون».

(1) يذكر المؤلف في القسم الخاص بإمارة الشريف محمد بن عون بأن إمارته الأولى بدأت في 1827 م وانتهت في 1851 م وأن إمارته الثانية بدأت في كانون الثاني 1856 م واستمرت لحين وفاته في آذار 1858 م (المترجم).

قوافل الحجاج أو محملي الشام ومصر

كان آلاف المسلمين، في الدولة العثمانية والمناطق الإسلامية الأخرى، ممن تسمح لهم حالتهم وصحتهم ووقتهم يتوجهون إلى مهد الإسلام **مكة المكرمة** حيث يزورون بيت الله وقبلة المؤمنين أي الكعبة المكرمة ثم يزورون المدينة المنورة وبعد زيارة الروضة المطهرة أي قبر حضرة الرسول ﷺ يعودون إلى بلادهم. وما زال هذا مستمراً حتى يومنا هذا.

لقد جرت العادة في الدولة العثمانية على خروج قافلتين من قوافل الحج والتي منحتهما الدولة أهمية كبيرة[1] وهما محمل الشام الذي ينطلق من الشام ومحمل مصر الذي ينطلق من القاهرة[2]. أن

---

(1) إن طرق الحج البرية سبعة وهي (1) من الشام (دمشق) إلى مكة (2) من مصر إلى مكة (3) من عدن إلى مكة (4) من عمان إلى مكة (5) طريق الإحساء (6) طريق البصرة (7) من بغداد إلى مكة.

(2) كان المحمل الذي يحمل الرسول ﷺ في أسفاره يسمى «محمل شريف». وفيما بعد وتقليداً لهذا جرت العادة على تهيأة محمل جمل يضم بعض الهدايا. وكان هذا الجمل يرسل إلى مكة المكرمة مع قوافل الشام ومصر. إن كل من محمل الشام ومصر عبارة عن هودج مربع الأطراف تعلوه قبة مخروطية. ويوضع فوق كل من الأطراف الأربعة كرة فضية. وتوجد في أعلى القبة المخرطوية كرة فضية يعلوها هلال ذهبي. وتطرز كلمة التوحيد على غطاء الهودجين. وإذا كان كلا المحملين بنفس الترتيب فإن قماش محمل مصر من الأطلس الأحمر وقماش

الحجاج القادمين من الأناضول ومن الرومللي (المقاطعات العثمانية في أوربا **المترجم**) وغيرها من المناطق كانوا يتجمعون في الشام لحين تحرك القافلة. وكان أمين الصرة يأتي، مع الذين يلتحقون به في الطريق، إلى الشام. ولتأمين احتياجات الحجاج من الماء ابتداءً من أسكودار كانت الدولة تعين اثنين من جماعة الخدمة الداخلية في قصر السلطان «endernlu» للعمل كمسؤولين عن السقاية «سقا باشي - Sakabasi» كما تصدر الأوامر إلى الولاة والبكوات والقضاة والنواب الذين على الطريق للاهتمام بهم[1].

ولأجل حماية المحمل الذي ينطلق من الشام كان والي الشام يعين أميراً للحج. وفيما عدا القوة التي بمعيته كانت تحت إمرته قوة خاصة لحماية قوافل الحج، وهذه القوة الخاصة هي قوات والي طرابلس الشام ومتسلمي عجلون ولجون «Lucun» التابعين له. ويتراوح عدد هذه القوات ما بين 12 و15 ألف وتسمى جرده «Cered»[2].

- محمل الشام من الأطلس الأخضر الغامق. وكان محمل مصر أعرض من محمل الشام.

(1) الأمر المرسل إلى الباشوات والبكوات والقضاة والنواب والمتسلمين الذين على الطريق من أسكودار إلى الشام الشريف (مهمة دفتري 153، ص 48).

(2) إن الجردة أو الجردة Curde هي قوات فرسان خفيفة مهمتها ضمان سلامة الحجاج في ذهابهم وإيابهم. وإن قسماً من أفراد هذه القوة من العرب (كلمة Arap تعني زنوج أيضاً - المترجم) من عشيرة جريدلو Ceridlu القاطنة داخل باياس Payas (ربما بانياس - المترجم). وقد جاء في فرمان مرسل إلى والي طرابلس الشام في 1159 هـ بأن خدمة وحماية الحجاج من أعظم الأمور وأشرفها وأن هذه المهمة قد فوضت إلى والي طرابلس الشام منذ مدة طويلة. ويستمر الفرمان قائلاً «أنت أيها الوزير (أي الوالي - المترجم) المشار إليه أن النظر في أمور الجردة قد أحيل إلى عهدتكم ويجب الاهتمام بأعداد وتجهيز الـ1500 نفر من القبوخلقي (حرس الوالي الخاص - المترجم) المعتاد تجهيزهم من قبل متصرف طرابلس الشام وغيرهم من الرجال القادرين على الحرب.....».
(مهمة دفتري 152، ص 210 ومهمة دفتري 147، ص 287).

وفي حالات الضرورة كان يرسل فرمان إلى والي صيدا يؤمر فيه بإرسال 500 رجل مسلح للانضمام إلى والي طرابلس.

كان والي الشام، الذي هو أمير الحج أيضاً، يأخذ الراية الشريفة (أي العلم السلطاني الذي ذكرناه آنفاً ـ **المترجم**) المحفوظة في قلعة الشام والتي كانت تخرج من محلها سنوياً وسط التهليل والتكبير عند انطلاق القافلة. وفي يوم محدد (يوم 15 شوال في الفترات الأخيرة) يتحرك جميع الزوار مع هيئة الصرة وينزلون في موقع قبة الحاج Kubbet-ul-Hac وهو أول منازل الطريق. ولأجل تجنب لقاء البدو كانت القافلة تسير نحو الجنوب مباشرة تحت حراسة مشددة[1].

إن قافلة الشام تسلك طريق مزيرب «Muzeyrib» وبلقا «belka» ومعان وذات الحاج Zat-ul-Hac وتبوك إلى مداين صالح ومن هناك تأتي إلى الموقع المعروف باسم العلى Elula[2] وهنا يستقبلها أمير مكة المكرمة أو النائب المبعوث من قبله، وبدءً من هذا المكان تصبح القافلة، مع كونها تحت حراسة نفس القوات، تحت حماية أمير مكة المكرمة[3].

---

(1) في الفترات الأخيرة أصبح محمل الشام تحت حماية أمين الحاج (وردت Hac Kiler emini ويبدو أن هناك خطأً مطبعي والصحيح Haciler emını ـ المترجم) الذي يصاحب أمين الصرة وترافقه أيضاً قوة عسكرية كافية.

(2) تسمى مداين صالح قرى صالح Kury-ı Salıh وهاجر Hacar أيضاً. وهي أرض رملية جافة ذات جبال منخفضة. ومن مداين صالح تأتي القافلة إلى العلى التي تبعد مسافة ست مراحل عن المدينة المنورة. والعلى من المواقع المرتبطة بالمدينة المنورة وفيها قلعة وبساتين ومياه جارية. وهي إلى الجنوب من مداين صالح بمرحلة واحدة.

(3) جاء في رسالة سلطانية إلى أمير مكة المكرمة (المترجم):

«... بناءً على تعهدكم السابق فإن تشييع واستقبال قافلة الشام سنوياً في موقع العلى إلى مداين صالح قد وضع بعهدتكم. وبعدُ فقد طرق سمعنا أن البعض من طائفة البدو ينوون الفساد والتعرض للحجاج والزوار. ولكن بإذن الله وبوفرة

وكانت قافلة الشام تلتقي بمحمل أو قافلة مصر عند هذا الموقع أو عند المدينة المنورة أو عند رابغ[1]. وكانت قافلة مصر تضم جميع حجاج شمال أفريقيا[2] ابتداءً من فاس. وكانت بمعية أمير الحج المصري أيضاً قوة حماية[3]. وكان يحب التقاء محملي الشام ومصر عند موقع مسجد عائشة «Mescid-i Ayse».

كانت تعيش على طريق الحج الذاهب إلى الشام وبجواره قبائل بدوية عديدة مثل **بني حرب**[4] **وبني صخر**[5] **وعنزة**[6] وقد خصصت

- الرجال في هذه السنة المباركة يتم أيضاً تشييع واستقبال الحجاج المسلمين إلى البركة المعظمة ـ burke-i muazzamaya . . . ».
(نامة دفتري 5، ص 365، سنة 1110 هـ/ 1699 م)

(1) إن أول منزل من منازل قافلة حج مصر هو بركة الحاج Burket-ul hac. إن أمير الحج المصري يأخذ المحل الشريف ويخرج من القاهرة وينضم موكبه إلى قافلة الحج في بركة الحاج. ثم تسير القافلة بطريق البر أياماً مروراً بكرون وادي نعمن Acrun Vadi Numan وساث العقبة Sath ul Akabe أو أيلة ثم الوجه وينبع ورابغ ومن هناك تأتي إلى مكة عبر الطريق المعروف. ولكن بعد استخدام القطارات أصبح أمير الحج والحجاج يأتون بالقطار إلى السويس منها بحراً بواسطة السفن البخارية إلى جدة.

(2) وردت في الكتاب جنوب أفريقيا Gunay Africa بسبب خطأ مطبعي والصحيح شمال أفريقيا Duzay Africa (المترجم).

(3) إن القافلة القادمة من مصر عن طريق العقبة عند وصولها إلى الوجه شرقاً حيث تأتي إلى مداين صالح وهنا تنضم إلى قافلة الشام. وفيما بعد أصبحت قوافل مصر تتجه عند وصولها إلى الوجه نحو الجنوب وتسير بموازاة الساحل. ثم تأتي من رابغ الواقعة جنوب ينبع البحر إلى المدينة المنورة في يومين.

(4) يتألف بدو بني حرب من عشر قبائل يبلغ تعداد أصغرها 500 فرد وتعداد أكبرها 3000 فرد. وهي تنتشر في جوار المدينة المنورة. وفي أواخر القرن التاسع بلغ تعداد بني حرب عموماً حوالي 12000 فرد.

(5) بني صخر أو الصخارنة Saharine من بدو بني حرب وهم يقطنون جبل فقرا Fikra الواقع على مسافة 30 ساعة من المدينة المنورة. وكان تعدادها في بداية القرن العشرين حوالي 3000 فرد. وكانت لهم صرة مخصصة من قبل الدولة.

(6) تقطن قبيلة عنزة شمال الجزيرة العربية وهي تقسم إلى أربعة أقسام كبيرة، وإحداها

الدولة لهذه القبائل صرة وكميات من الحبوب سنوياً. أن قبيلة حرب القاطنة بين المدينة المنورة وينبع كانت مكلفة بنقل الأرزاق المرسلة من مصر إلى ميناء ينبع، والمقرر توزيعها على فقراء المدينة المنورة، من هناك (أي من ينبع) إلى المدينة المنورة. وكان القائمون بهذه المهمة من بني حرب يسمون «صاحبي درك ـ Sahibi Derek» أي حماة المرور «gecit muha fizi»[1]. وكان هؤلاء يقومون بخدمة الحجاج أيضاً. ولكن بعض الإجراءات الخاطئة أو حجب أمير مكة المكرمة الصرة عنهم أو إعطائهم أقل مما هو مخصص لهم أو استخدام الشدة التي لا لزوم لها ضدهم كانت تؤدي إلى ثورتهم وهذا ما يعقد مسألة الإمدادات من الحبوب ويجعل موقف الحجاج صعباً ويعرضهم إلى التهلكة[2].

إن والي الشام وأمير الحاج جتجي عبد الله باشا شن حملة تأديبية في سنة 1171 هـ/ 1758 م ضد قبائل بني حرب وبني صخر التي كانت تعتزم قطع طرق قوافل الحجاج وسلبها. وقد قتل خلال هذه الحملة شيخ بني حرب المدعو عبيد وأبنائه الاثنين وحوالي 25 من شيوخ القبيلة[3].

- هي قبيلة أولاد علي evlad ı Ali القاطنة بين الزرقا Zarka وقلعة خيبر على طريق الحج. وأن أغلب أفراد قبيلة طولوح Tuluh، وهي فرع من قبيلة أولاد علي، كانوا يتواجدون على طريق الحج. وكان لهؤلاء صرة وخلعة مخصصة لهم من قبل الحكومة.

(1) سلحدار تاريخي، ج 2 ص 781، نامة همايوني دفتري، رقم 6.

(2) ورد في (سلحدار تاريخي ج 2، ص 530) أن أمير مكة المكرمة أحمد بن غالب قد اغتصب غلة صرة فقراء الحرمين الشريفين كما قطع العائدات المخصصة لبدو عشائر «صاحبي درك» ويذكر (جلبي زادة عاصم ص 367) كذلك أن بدو حرب القاطنين بين الحرمين الشريفين اتفقوا وعزموا على الاستيلاء على الغلة التي ستنقل من ميناء ينبع إلى فقراء المدينة المنورة. وقد صدرت الأوامر إلى أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله وأمير الحج ووالي جدة لمواجهة مثل هذا الأمر.

(3) واصف تاريخي، ج 1، ص 141.

وفي سنة 1111 ـ 1112 هـ/ 1700 ـ 1701 م أرسلت رسالة توبيخية إلى أمير مكة المكرمة الشريف سعد بن زيد بسبب سطوة أشقياء البدو وقيامهم بسلب الحجاج[1]. وفي السنة التالية 1112 هـ/ 1701 م واجه الحجاج عند وصولهم إلى العلى حوالي 50,000 من البدو المتمردين وحدثت معركة استمرت عشرة أيام استشهد فيها قسم من الحجاج وأسر قسم آخر وهلك أكثرهم من الجوع وقد تمكن حوالي 150 حاجاً فقط من الوصول إلى الشام وهم في حالة يرثى لها. إن سبب هذا الهجوم وهذه الفاجعة هو أن أمير الحج في تلك السنة كان جركس حسن باشا وهو شخص مغرور وذو طباع جنونية، وقد حدث وإن طلب شيوخ البدو الصرة إلا أنه لمح بسيفه مستخفاً بهم فأصبح بذلك سبباً لهذا الهجوم وهذه الفاجعة. وبسبب هذه الفاجعة أطلق على حسن باشا هذا لقب «ملطخ الحاج ـ Hasci Kirdiran». وطبقاً لما ورد في «**سلحدار تاريخي**» (الجزء الثالث غير المطبوع) فإن حوالي 30,000 شخص لقوا حتفهم في هذه الواقعة أن إغلاق طريق الحج أدى إلى تعيين والي طرابلس الشام أرسلان محمد

(1) جاء في الرسالة المرسلة إلى أمير مكة المكرمة في ربيع الآخر 1112 هـ/ أيلول 1700 م حول هذا الموضوع «... أن من شروط إمارة أمير مكة المكرمة ضمان الأمن والنظام في مكة المكرمة وأطرافها وضمان ذهاب وإياب الحجاج والزوار والتجار. وأن استقبال الحجاج في مداين صالح وإيصالهم إلى مكة المكرمة آمنين سالمين ثم إعادتهم بسلام بعد تأديتهم مناسك الحج إلى مداين صالح وتسليمهم إلى الشام (المقصود يصبحوا من هناك تحت حماية والي الشام ـ المترجم) وحمايتهم من البدو الأشقياء مسطر في منشور إمارتكم ومذكور في شروط حكومتكم. إن الخسارة التي أصابت حجاج المسلمين من البدو الأشقياء في المناطق الخاضعة لحمايتكم لم تحدث في أي وقت ولم يلاحظ مثل هذه الأمر في إمارة أي من أسلافكم..» وبعد هذا تأمر الرسالة أمير مكة المكرمة بالانتقام من بدو عنزة وبني صخر.
(نامة همايوني دفتري 5، ص 519)

باشا أميراً للحج بسبب نشاطه وحيويته وشجاعة أتباعه وذلك للتنكيل بالبدو[1].

وعندما تعرضت قافلة الشام العائدة من الحج في سنة 1113 هـ/ 1702 م إلى هجوم البدو استدعي أمير الحج جركس حسن باشا «ملطخ الحاج» إلى اسطنبول وسجن في سراي طوب قابو وعندما اتضح من التحقيق بأن الذنب ليس ذنبه بل ذنب مساعده «**الكتخدا**» أعدم الأخير وسيق هو إلى جزيرة ساقز sakiz[2].

۞ ۞ ۞

وعند عودة والي الشام وأمير الحج مع قافلة الحج إلى الشام كان في استقباله قاضي الشام وأركان الحكومة وصنوف الجيش في الموقع المسمى «قبة الحاج». وعند نزول أمير الحج (أي والي الشام **ـ المترجم**) هنا يقوم بتقبيل الأرض التي يسير عليها الجمل الذي يحمل الراية الشريفة والمحمل الشريف ثم يسلم الجمل إلى قاضي الشام طبقاً للمراسيم المتبعة. ثم يأخذ القاضي الراية الشريفة وغطاء

ويدخل ضمن هذا الباب أيضاً إيراد المجدجي إبراهيم في سنة 1082 هـ/ 1671 م إلى اسطنبول خبر قيام الطائفة الزيدية في اليمن بالتعدي على مكة بسبب إجراء لا مبرر له من قبل أمير مكة المكرمة الشريف سعيد. وقد أراد آوجي سلطان محمد (أي السلطان محمد الرابع 1648 ـ 1687 ـ المترجم) بناء سفن من نوع قاليون Kalyon وجكدري Cekdirı في ميناء السويس ليذهب بنفسه إلى أطراف اليمن. إلا أن هذه المبادرة لم تؤد إلى نتيجة تذكر وذلك بسبب حراجة موقفه مع البولنديين «Lehiler».

(سلحدار تاريخي، ج 1، ص 563 وكذلك زبدة الوقائع. ورقة 10)

(1) راشد تاريخي، ج 2، ص 523.

(2) المصدر نفسه، ص 521. يبدو من سياق المصدر الذي استخدمه المؤلف أن هذا الهجوم هو نفس ذلك الذي ذكر حدوثه في 1112 هـ/ 1701 م.

الهودج «mahmel» ويعيدها إلى محلها في قلعة الشام حيث تحفظ هناك[1].

وبعد هذه المراسيم يكتب قاضي الشام تقريراً يذكر فيه المراسيم التي جرت عند عودة أمير الحج وإعادة الراية الشريفة وغطاء الهودج إلى المحل المخصص في قلعة الشام ورفع الدعاء للسلطان أثناء ذلك ويرسل هذا التقرير مع المجدجي باشية أيضاً[2]. وفي الوقت نفسه يبعث والي الشام وأمير الحج رسالة إلى الصدر الأعظم مع المجدجي باشية.

---

(1) إن محمل الشام أي قافلة حج الشام المنطلقة من الشام (دمشق) تقف في منازل كثيرة حتى تصل إلى المدينة المنورة في 23 ذي القعدة أي بعد حوالي 37 أو 38 يوماً من انطلاقها من الشام. ثم تنطلق من هنك لتدخل مكة المكرمة في أوائل ذي الحجة.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، وثائق الداخلية، الرقم 10150. (هذا التقرير هو حجة قاضي الشام المذكورة في الصفحات السابقة - المترجم).

قضاة مكة المكرمة

قد يتبادر إلى الذهن عند الكتابة عن أمراء مكة المكرمة عدم وجود علاقة بين قضاة مكة المكرمة وهؤلاء الأمراء. ولكن لما كانت الدولة العثمانية تولي أهمية لما يكتبه قضاة مكة المكرمة من تقارير عن أحوالها وما يجري فيها وعن سلوك أمراء مكة المكرمة من حيث استقامتهم وهفواتهم فإنني وجدت من المناسب الكتابة عن وضع القضاة من الناحية الرسمية هناك.

بعد أن أصبح الحجاز تحت النفوذ العثماني خصص السلطان سليم الأول لأول قاضي يعينه في مكة المكرمة راتباً من إيرادات كمرك جدة قدره 5000 قطعة ذهبية «**سكة حسنة**» سنوياً[1]. وفيما عدا هذا جرت العادة منذ القدم على إعطاء قضاة مكة المكرمة والمدينة المنورة مقداراً من الحنطة المرسلة مع صرة مصر أو بدل نقدي عن

(1) نامة همايوني دفتري 5، ض 292 كتاب سلطاني تاريخه 1109 هـ. ووثائق خط همايون، الأرقام 26829 و26859. نلاحظ في هذه الوثائق أن المبلغ السنوي المخصص لقاضي مكة المكرمة من كمرك جدة هو 4090 قطعة نقدية ذهبية. ويذكر أوليا جلبي أن راتب قاضي مكة كان عبارة عن مقدار معين من القطع النقدية الذهبية المرسلة مع صرة مصر سنوياً و200 أردب من الحبوب.

(أولياء جلبي، ج 9، ص 725)

تلك الكمية بما يعادل سعرها في مصر «Misir Rayici» وكان مقدار الحنطة المخصص لقاضي مكة المكرمة 366 أردب وكذلك الحال لقاضي المدينة المنورة[1]، إضافة إلى علاوة قدرها 480 بارة[2] عن أجرة النقل والجمل.

لقد أسند إلى القضاة مهمة تنفيذ الأحكام الشرعية والحقوقية ومراقبة الأوضاع هناك وأخبار الدولة عما يجري فيها. آن عدد الراغبين في مركز قاضي مكة المكرمة كان قليلاً جداً وذلك بسبب بعدها وعدم وجود إيرادات شرعية فيها مثل أقجة السجل والحجة «Sicil ve huccet akcesi»[3]. ولكن بعد القانون الذي صدر في زمن اوجي سلطان محمد في أواخر القرن السابع عشر والذي نص على أن كل من يصبح قاضياً لمكة المكرمة وينهي مادة الخدمة المحددة هناك يصبح قاضياً لاسطنبول أو بدرجة قاضي اسطنبول أصبح منصب قاضي مكة المكرمة جذاباً وازداد عدد الراغبين فيه بدرجة كبيرة[4].

---

(1) الأردب حسب ما ذكره Ahteri اسم كيلة تساوي 24 صاع ووزن الصاع 1040 درهم في بعض المناطق. أما مؤلف كتاب «مرآتي مكة» فيعرف الأردب بالشكل التالي:

«.. إن صور استعماله مختلفة فالأردب في شبه الجزيرة العربية معيار يساوي 6 ويبه Veybq والويبة في القواميس وحدة وزن تساوي 6 صع وكل صع يساوي 4 مود mud [كذا] ورطل واحد وثلث الرطل. وحسب هذا التعريف يكون الأردب الواحد مساوياً لـ 153 أوقية و100 درهم.. ولما كانت الحبوب تجلب من مصر إلى الحجاز فلا بد أن يكون كل أردب هنا 120 أوقية».

(2) عملة فضية كانت تعادل 3 أقجات وأحياناً 4 أقجات (المترجم).

(3) المقصود هنا المبالغ التي كان القضاة يحصلون عليها، إضافة إلى راتبهم، في المناطق الأخرى من رسوم تسجيل الدعاوى والحجج الشرعية (المترجم).

(4) أولياء جلبي سيا حتنامه سي ج 9، ص 725، و(وثائق أحمد الثالث ـ تصنيف أميري ـ الرقم 20722، معاملة تعيين بهذا الخصوص عرضها شيخ الإسلام [المفتي الأكبر]، الوثائق التي صنفها ابن الأمين ـ قسم التوجيهات [التعيينات]، الرقم 35).

كان قاضي مكة المكرمة ينفذ الأحكام الشرعية وفق المذهب الحنفي في المنطقة الخاضعة لحكم أمير مكة المكرمة. وكانت توجد في مكة المكرمة محاكم للمذاهب الأربعة وهي الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وكانت المحكمة الحنفية تسمى المحكمة الكبرى. وقد صدر أمر في أواسط القرن السادس عشر، في سنة 1565 بالتحديد، بأن تسلم المحاكم الشافعية والمالكية والحنبلية سجلات الدعاوى التي نظرت فيها إلى المحكمة الحنفية، أي المحكمة الكبرى، وأن يتشاور قضاة هذه المذاهب الثلاثة مع القاضي الحنفي في الدعاوى الكبيرة والمهمة[1].

حتى سنة 1135 هـ/ 1723 م كان يتولى قضاء المدينة المنورة الصاعدين إلى مرتبة «موصلة سليمنية Musilia-i Suleymeniye»[2] ولكن

- في 25 ذي القعدة سنة 1083 هـ

أرجو تفضلكم بالتصدق بمنصب قضاء اسطنبول على المدعو مصطفى أفندي المنفصل munfasıl [المنفصل أو زمان انفصال يقصد بها الفترة التي يقضيه القاضي بلا وظيفة بعد انتهاء خدمته المحددة في أحد المناصب القضائية ـ المترجم] من قضاء مكة المكرمة.

من الداعي للدولة العلية يحيى الفقير

(1) كانت القضايا التي تنظر فيها المحكمة الكبرى (المحكمة الحنفية) تدون في سجلات وتحفظ. أما سجلات الدعاوى التي نظرت فيها المحاكم الشافعية والمالكية والحنبلية فكانت غير منتظمة ولذا كان من العسير العثور على الأحكام المطلوبة. إن الأمر الخاص بقيام المحاكم المذكورة بتسليم سجلاتها المكتوبة إلى (مهمة دفتري 5، ص 92 بتاريخ 12 صفر سنة 973 هـ.

(2) موصلة سليمنية اسم للمرحلة التي وصلها القاضي. وكانت هذه المراحل الدراسية 11 مرحلة في القرن السابع عشر وهي كما يلي من الأدنى إلى الأعلى:
1 ـ ابتداء خارج 2 ـ حركت خارج 3 ـ ابتداء داخل 4 ـ حركت داخل 5 ـ موصلة صحن أو «تتمة صحن» 6 ـ صحن ثمان 7 ـ ابتداء التمشلي 8 ـ حركت التمشلي 9 ـ موصلة سليمانية 10 ـ سليمانية 11 ـ دار الحديث (المترجم).

اعتباراً من التاريخ المذكور أصبح قانوناً إسناد قضاء المدينة المنورة إلى الحاصلين على مرتبة أعلى وهي مرتبة «بلاد ثلاثة ـ Bilad-i Selase» أي المعزولين من قضاء أسكودار وغلطة وأيوب Eyup. وكما هي الحال بالنسبة لقضاة مكة المكرمة أصبح القضاة الذين ينهون مدة الخدمة في قضاء المدينة المنورة مؤهلين لتولي قضاء العاصمة اسطنبول[1]. واعتباراً من القرن الثامن عشر جرت العادة أيضاً على إسناد قضاء مكة المكرمة والمدينة المنورة [إلى القضاة المرشحين] في شهر المولد النبوي أي ربيع الأول[2].

(1) جلبي زادة، راشد ذيلي، ص 164.

(2) جلبي زادة، ص 152 وص 160 و524.

الأشياء المباركة الخاصة بالكعبة

«غطاء الكعبة ــ ستارة باب الكعبة

ــ نطاق الكعبة ــ مفتاح الكعبة»

في العهد العثماني والعهود التي سبقته كانت هناك جملة أشياء مباركة خاصة بالكعبة الشريفة. وكانت بعض هذه الأشياء موجودة في مركز الدولة حيث كانت تزار في أيام المناسبات والاحتفالات الدينية فأصبحت بذلك وسيلة للرابطة المعنوية.

غطاء الكعبة Kabe Ortusu: -

يسمى غطاء الكعبة في الوثائق القديمة حجاب الكعبة المكرمة Kabe-i Mukerremr Pusidesi أو ستارة كعبة الله الحرام أو الستارة أو الكسوة الشريفة.

إن وضع غطاء الكعبة كان موجوداً قبل الإسلام أيضاً. وتقول الروايات أن أول من ألبس الكعبة الكسوة هو كرب أسعد وهو أحد حكام اليمن الذين كانوا يدعون تبايعة] مفردها تبع [. وأن الخليفة العباسي المأمون اتبع عادة تبديل الكسوة ثلاث مرات سنويا إلا أن هذه العادة لم تستمر حيث أصبحت الكسوة تبدل مرة واحدة سنوياً. كما أن قماش ولون الكسوة قد تعرض للتغيير بعد ظهور الإسلام.

ففي وقت ما كانت الكسوة تعمل من الحرير الأبيض المسمى «diba» ثم أصبحت من الحرير الأصفر فالأخضر وأخيراً الأسود.

وتقول الروايات أن أول من استحدث عادة إرسال المحمل الذي يحوي غطاء الكعبة الشريفة إلى مكة المكرمة في زمن المماليك هو الملك الظاهر بيبرس. وفي زمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون جرت العادة على تنظيم موكب ولعب الجريد «Cirid» عند إرسال المحمل[1]. وقد خصص الملك المنصور قلاوون إيرادات قريتين لنسج غطاء الكعبة[2].

إن الستارة الشريفة، أي غطاء الكعبة، المنسوجة من الإبرسيم الأسود تتألف من قطعتين يطلق على أحدها اسم «**حجاب**» وهي الغطاء ويطلق على الأخرى اسم «نطاق». ويبلغ طول قطعة القماش التي يعمل منها الحجاب 1060 ذراع والنطاق 51 ذراع[3]. وفي عهد المماليك كانت ترسل كسوة أخرى حمراء عند تبدل السلاطين لتعليقها على جدار الكعبة[4].

---

(1) هامر (ترجمة عطابك) ج 7، ص 224.

(2) إذا كان مؤلف «مرآتي مكة» يذكر بأن الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون قد خصص في سنة 750 هـ/ 1349 م إيرادات قرى سندس أو الغيث وبسوس Bisus لمواجهة مصاريف عمل الكسوة الشريفة فإن هناك خطأ في الاسم لأن الحاكم المملوكي في مصر آنذاك هو ناصر الدين حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

(3) طول الذراع المعماري 75,8 سم وذراع السوق 68 وذراع السوق 68 سم. ويذكر مؤلف «مرآة مكة» بأن طول النطاق 51 ذراع جلبي [Halep enda Zesı وحسب ما يرد في القواميس يبلغ طول هذا الذراع 65 سم أو حوالي 26 أنج ـ **المترجم**] وعرضه ذراع وربع. نلاحظ في هذا الكتاب استخدام الذراع المعماري وذراع السوق وكأنهما بنفس الطول.

(4) مرآتي مكة ج 2، ص 85.

كان يكتب على الستارة الشريفة المنسوجة من الإبرسيم كلمة التوحيد بخط الجلي «Celi». أما النطاق الذي يسمى « Kabe-tul-lah Kemeri أي حزام كعبة الله» فيحيط بأطراف الكعبة الأربعة كالحزام ويكتب على طول هذا النطاق بخيوط ذهبية «Sirma» وخط جلي عريض الآيات القرآنية التي نزلت بحق الكعبة، كما يكتب اسم السلطان في النهاية.

بعد استيلاء العثمانيين على مصر أوقف السلطان سليمان القانوني في صفر 947 هـ/ حزيران 1540 م إيرادات سبع قرى لكسوة الكعبة إضافة إلى القريتين التي خصص الملك المنصور قلاوون إيرادتها لهذا الغرض[1]. وفيما عدا هذا فإنه عمّرَ القرى الخربة التي كان الملك المنصور قد خصص إيراداتها لهذا الغرض. وقد جرت العادة على نقش اسم السلطان الذي أرسلت الكسوة في عهده عليها[2]. بما عدا الستارة المعمولة في مصر والمرسلة سنوياً إلى مكة أو عند جلوس السلطان[3] فإن السلاطين العثمانيين، بصفتهم خدم

---

(1) يوجد النص العربي لوثيقة السلطان سليمان القانوني هذه في (مرآتي مكة ج 2، ص 852).

(2) في يوم مراسيم إرسال غطاء الكعبة من القاهرة ورد خبر وفاة السلطان محمد الثالث [1595 ـ 1603 م] وجلوس ابنه أحمد الأول على العرش. وبسبب وفاة عثمان بك وكيل والي مصر علي باشا الذي كان قد استدعي إلى اسطنبول فأن مهمة إخراج قافلة الحج والمحمل الشريف كانت قد تركت لقاضي مصر قره جلبي زادة محمد أفندي. ولما كان يجب تغيير اسم السلطان على الغطاء بسبب هذا التبدل فإن القاضي استدعى أمير الحج المصري بصورة سرية وشرح له الموقف. ودون إبلاغ أحد تم نقش اسم السلطان أحمد بدل اسم السلطان محمد الثالث بخيوط الذهب (نعيما، ج 2، ص 82).

(3) فيما عدا غطاء الكعبة كان النطاق وغطاء مقام إبراهيم وسترة بابه وكيس مفتاح الكعبة يعملون في مصر سنوياً مع غطاء الكعبة بواسطة محمل مصر إلى مكة المكرمة (مرآة مكة، ج 2، ص 865).

الحرمين الشريفين. اتبعوا منذ عهد السلطان أحمد الأول [1603 ـ 1616 م] عادة عمل كسوة الكعبة المكرمة والروضة المطهرة في اسطنبول بعد جلوس كل سلطان على العرش. وبعد وضع الكسوة الجديدة في محلها تعاد القديمة إلى اسطنبول[1] وكان ينقش على الكسوة المرسلة من اسطنبول اسم السلطان الذي أرسلها.

لقد عملت في اسطنبول بأمر من السلطان أحمد الأول كسوة من الحرير فائق الصنعة. وكان طول القماش الذي عملت منه 1060 ذراع مثل الكسوة المعمولة في مصر وبلغ وزنها 48 ألف درهم من الحرير[2]. وقد أرسلت الستارة الشريفة في أواخر جمادي الأولى 1018 هـ/ آب 1609 م إلى مصر عن طريق البحر ومنها إلى الكعبة.

---

(1) إن تجديد كسوة الكعبة وكسوة الروضة المطهرة في المدينة المنورة عند جلوس السلاطين الجدد على العرش وإرسال الكسوة السابقة إلى اسطنبول من قبل أمير مكة المكرمة قد أصبح قانوناً. وكانت هذه الكسوات تأتي براً إلى أسكودار ومن هناك تنقل وسط مراسيم إلى أيوب حيث توضع في ضريح «turbe» حضرة خالد «Hazrt-i Khalid» ومن ثم تدخل إلى السراي عن طريق باب أدرنة Edirnekapı وسط تهليل وتكبير العلماء والمشايخ والسادة ورجال الدولة. وعند الدخول من الباب إلى السراي يمسك الصدر الأعظم برسن الجمل الذي يحمل كسوة الكعبة ويقوده إلى داخل السراي (سلانيكي تاريخي ـ مخطوط ـ الورقة 371 و379 وكذلك هامر ـ ترجمة عطابك ـ ج 7، ص 224) أن ما يذكره [هامر] عن اتباع عادة إرسال كسوة الكعبة والروضة المطهرة إلى اسطنبول بعد حملة أغري Egrı [أي حملة السلطان محمد الثالث ضد أغري، وهي أرلاو Erlau المسيطرة على طرق المواصلات بين النمسا وترانسلفانيا، واحتلالها في النهاية في 12 تشرين الأول 1596 ـ **المترجم**] واستقبال الكسوة بواسطة موكب كبير وجلبه إلى السراي بعد الزيارة في أيوب يماثل ما ذكره سلانيكي. ولما كان سلانيكي يذكر هذه ضمن وقائع سنة 1005 هـ 1596 م فإن ذلك يعني هذه العادة تعود إلى فترة أسبق.

(2) يذكر كل من نعيم (ج 2، ص 82) ومرآة مكة (ج 2، ص 861) صرف 1060 ذراع حبشي من الحرير لعمل هذه الكسوة.

ومنذ هذا التاريخ أصبحت القاعدة عمل الكسوة المرسلة بمناسبة جلوس سلاطين جدد على العرش في اسطنبول أما الكسوة التي كانت ترسل سنوياً فقد كانت تعمل في مصر بموجب الأوقات المخصصة لها[1].

لم يرسل غطاء الكعبة إلى مكة المكرمة عند جلوس السلطان محمود الثاني على العرش في سنة 1808 هـ بسبب الاضطرابات التي وقعت في تلك الفترة. ولكن بعد استعادة الحجاز أرسلت أغطية الكعبة والروضة المطهرة المعمولة في اسطنبول إلى هنك في سنة 1224 هـ/ 1814 م أي بعد مرور أربع سنوات [كذا][2] من جلوس السلطان على العرش[3].

لم يرسل غطاء الكعبة المعمول في مصر في أواخر القرن الثامن عشر بسبب احتلال بونابرت لمصر في 1798 م. وقد وجد من المناسب عمل غطاء آخر في اسطنبول وهذا ما تم فعلا حيث عمل

---

(1) رسالة إلى أمير مكة المكرمة الشريف سعيد بخصوص عمل كسوة البيت الشريف أي الكعبة في مصر وأرسله [إلى مكة المكرمة] في: (ندمة دفتري 5، ص 527)

(2) هذه الفترة مضطربة وغير واضحة لأن سنة 1224 هـ تقابلها سنة 1809 م. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكره في الجملة «بعد مرور أربع سنوت» فيجب أن يكون التاريخ 1227 هـ/ 1812 م وهذا مصدر آخر للإرباك لأن العثمانيين لم يستعيدوا سيادتهم على مكة المكرمة إلا في كانون الثني 1813. ولذا فإن التريخ الصحيح وسياق الجملة يجب أن يكون «.. في سنة 1228 هـ/ 1813 م أي بعد مرور خمس سنوات... إلخ» **المترجم**.

(3) ورد في أمر مرسل إلى متصرف جدة طوسون أحمد بش في أوائل رجب 1229 هـ/ حزيران 1813 إضافة إلى أمير مكة المكرمة الشريف يحيى بن سرور [ووالي] أيلة حبش وشيخ حرم مكة المكرمة بأن السلاطين اتبعوا عادة نسج وعمل كسوة الكعبة والروضة المطهرة في اسطنبول عند جلوسهم على العرش.
(نامة همايون دفتري، 11، ص 172)

غطاء آخر في باحة وضوء جامع السلطان أحمد. وبعد إنجازه نقل في 11 رجب 1213 هـ/ كانون الأول 1799 م إلى السراي في موكب. وفي اليوم التالي نقلت إلى أسكودار مع الصرة الهمايونية وأرسلت[1] [إلى مكة المكرمة]. وبعد استرداد مصر أصبحت الكسوة تعمل هناك كما في السابق.

إن إيرادات القرى السبع التي أوقفها السلطان سليمان القانوني على غطاء الكعبة بلغت حينئذٍ 365,157 درهم شرعي[2] وازدادت الإيرادات فيما بعد إلى أربعة أو خمسة أضعاف.

نطاق الكعبة:

إن نطاق الكعبة المكرمة في وسط غطاء أو حجاب «Puside» الكعبة. ويبلغ عرض النطاق ذراع وربع وطوله 51 ذراعا، وهو يتألف من أربع قطع خصص كل واحد منها لإحدى واجهات الكعبة. ولون النطاق أسود مثل غطاء الكعبة، ويكتب على النطاق بخيوط من الذهب الخالص الآيات الكريمة وكلمة الشهادة واسم السلطان الذي عملت في عهده. وينقش اسم السلطان على القطعة الرابعة من قطع النطاق والتي تقع على الواجهة الشمالية من الكعبة مقابل مقام الحنفية[3].

(1) جودت تاريخي (طبعة المطبعة العثمانية) ج 7، ص 10 ومرآتي مكة ج 2، ص 869.

(2) أعتقد أن المقصود بالدرهم الشرعي هنا الأقجة التي كانت تستخدم بمثابة الدرهم لدى العثمانيين (المترجم).

(3) يذكر صاحب مرآة مكة ج 2، ص 863 بأن العبارة التي كانت تكتب على القسم الأخير من النطاق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876 ـ 1909 م كانت بالشكل التالي:
«السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك ممالك العرب والعجم السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السلطان الغزي سلطان عبد المجيد خان ابن الغازي محمود =

لقد جرت العادة على إرسال كسوة الكعبة ونطاق الكعبة [إلى اسطنبول] من قبل أمير مكة المكرمة في سنوات الحج الأكبر وكانت تستقبل وسط مراسيم عند وصولها. وبعد أن يزورها الناس [تبركاً] وهي داخل الصناديق تنقل إلى السراي حيث يفتح السلطان الصناديق ويقوم بالزيارة [يبدو أن المقصود هنا تقبيل الكسوة والنطاق - **المترجم**] وتحفظ بعد ذلك في دائرة «خرقاي سعادت Hirka-i Saadet»[1].

ستارة باب الكعبة «Kabe Kapisinin Perdesi»

إن ستارة باب الكعبة المشرّفة من الأشياء التي تزار للتبرك بها. وهذه الستارة أيضاً ترسل من قبل أمير مكة المكرمة إلى اسطنبول في

= خان بن عبد الحميد خان ابن أحمد خان بن الغازي محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان آل عثمان».

في حين كتب على نطق الستارة الشريفة التي أرسلها السلطان محمد رشاد خان الخامس عبارة:

«الفقير إلى الله تعالى الملك الوهاب عبده لدى من عليه السلطان العرب والعجم وجعله خادماً لهذا الحرم السلطان ابن السلطان محمد خان خامس ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان بن السلطان الغازي محمود خان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان بن السلطان الغازي أحمد خان ابن السلطان الغازي محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ابن السلطان أحمد خان آل عثمان خلد الله ملكه إلى آخر الدوران آمين».

مع نقش اسم السلطان محمد الخامس عليها

(1) جاء في [رسالة سلطانية] عند بحث موضوع إرسال الشريف محمد بن عون أمير مكة المكرمة غطاء الكعبة ونطاقها مع ابنه الشريف عبد الله إلى اسطنبول في سنة 1258 هـ/ 1842 م بمناسبة الحج الأكبر. . . . بأن إرسال هذه الأشياء بمناسبة الحج الأكبر عادة قديمة ولذلك جلب الشريف عبد الله أفندي (أمير مكة المكرمة عبد الله باشا فيما بعد) الحجاب «Puside» الخاص بالكعبة المعظمة، كرمها الله تعالى إلى يوم القيامة، إلى دار الخلافة العلية [اسطنبول].

(نامة همايوني دفتري 11، ص 45)

سنوات الحج الأكبر وهناك يزورها الناس وهي داخل الصندوق في الباب العالي ثم تنقل إلى السراي حيث يفتح السلطان الصندوق للزيارة ثم تحفظ في دائرة خرقاي سعادت[1]. أما في السنوات الأخرى فتباع إلى الصاغة الذين يصوغون الخواتم والحلقات [من الذهب الموجود فيها] التي يقبل الحجاج على شرائها لوجود تقليد سائد بأنها تشفي مرض البواسير.

إن ستارة باب الكعبة تعمل من الأطلس الأخضر. وفي أطراف الستارة أطار «su» من رقاتق خشب البلوط[2] المثبتة بخيوط الذهب. وتنسج سورة الفاتحة وآيات أخرى داخل هذا الإطار. كما يوضع اسم الجلال (الله) بين آيات سورة الفاتحة، وإضافة إلى ذلك يزخرف سطح الستارة بالآيات القرآنية كما ينقش عليها اسم السلطان الذي عملت في عهده[3].

مفتاح الكعبة Kabe Anahtari

بعد قضاء السلطان سليم الأول على دولة المماليك في سوريا ومصر بعث أمير مكة المكرمة، الذي كان يدير منطقة الحجاز الواقعة تحت نفوذ دولة المماليك، مفاتيح الكعبة إلى السلطان معلنا ارتباطه بالدولة الجديدة.

إن ما نبحثه هنا ليس هذا المفتاح بل ذلك الذي أرسله أمير مكة

---

(1) الحج الأكبر هو توافق خطبة الجمعة في الحج مع يوم خطبة عرفات.

(2) Palamut Yapragi رقائق من خشب البلوط أو السنديان وتأتي أيضاً بمعنى قشور سمك البينيت وهو نوع من سمك الأسقمري. **(المترجم)**.

(3) جاء في تاريخ عزي الورقة 268 ب أنه جرت العادة منذ وقت بعيد على إرسال ستارة باب الكعبة الشريفة من قبل أمير مكة المكرمة تبركاً وهدية منه إلى السلطان العثماني.

المكرمة إلى اسطنبول في سنة 1043 هـ/ 1633 م في عهد السلطان مراد الرابع [1623 ـ 1640 م] والمحفوظ في كيس موشى بالذهب في خزينة «خرقاي سعادت» في طوب قابو سراي. وكان هذا المفتاح يوضع بجوار صندوق الراية السلطانية» السنجق الشريف «في بعض الحملات تبركاً ويرسل معه في الحملة. وقد استخدم هذا المفتاح لأول مرة في حملة السلطان مراد الرابع على بغداد [في 1638 م] وبعد العودة وضع في خزانة الغرفة الخاصة «خاص أودة ـ Has Oda»[1].

إن هذا المفتاح الذي أخرج عند جرد محتويات الخزينة المذكورة قد أرسل ثانية، بناء على تقرير من الدفتردار حسن أفندي وموافقة السلطان، مع حملة النمسا سنة 1094 هـ/ 1683 م حيث علق في أسفل السنجق الشريف[2]، ولم يعد بعدها.

(1) الغرفة الخاصة أو المجلس الخاص في سراي السلطان العثماني.

(2) سلحدار تاريخي، ج 2، ص 15 .(المترجم).

أشراف مكة المكرمة

إن إمارة مكة المكرمة التي كانت بيد أولاد بني هاشم الذين يطلق عليهم اسم «بني فليطة» وهم من أولاد الإمام الحسن بن علي المرتضى، منذ سنة 461 هـ/ 1065 م قد انتقلت في نهاية القرن السادس الهجري، بالتحديد في 598 هـ/ 1201 م، إلى أمير ينبع أبو عزيز قتادة بن إدريس وهو من الأصل ذاته[1]. وقد بقيت أسرة بني

(1) تولت إمارة مكة المكرمة أربع أسر من الشرفاء أولها أولاد أخيضر Ahizer وهؤلاء من أولاد الإمام حسن وقد تولوا إمارة مكة المكرمة واليمامة لمدة 99 سنة اعتباراً من سنة 251 هـ/ 865 م. وقد سكن هؤلاء في اليمامة أولاً ثم في مكة. وأولهم هو إسماعيل سفاك Aeffak بن أخيضر وهو من الجيل الخامس من أبناء الإمام الحسن. إن سبعة أفراد من بني أخيضر قد أصبحوا أئمة (ربما يقصد أمراء) وأخرهم الشريف محمد بن جعفر الذي استولى القرامطة في عهده على مكة (360 هـ/ 961). وبعد انسحاب القرامطة من مكة بادرت أسرة بني موسى، وهم من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنه أيضاً، إلى احتلال مكة وإدارتها لأكثر من قرن 350 هـ/ 961 ـ 453 هـ/ 2061 م وأول أمراء الأسرة هو الشريف موسى بن عبد الله وآخرهم تاج المعالي الشريف أبو الفتوح. وكانت مدة إمارتهم 103 سنوات. وبعد وفاة الشريف أبو الفتوح دون ابن يخلفه انتقلت إمارة مكة المكرمة إلى أسرة بني هاشم المعروفين ببني فليطة. وأول أمراء هذه الأسرة هو الشريف أبو هاشم بن جعفر وكانت إمارته في 460 هـ/ 1067 م. وسبب ذلك (أي تولية الإمارة بعد 7 سنوات من وفاة أبو الفتوح ـ المترجم) هو أنه بعد وفاة أبو الفتوح سيطر مملوكه على أمور مكة وبعده أحد الشرفاء وهو أبو الطيب داود، بعد سبع سنوات

قتادة في إمارة مكة المكرمة حوالي سبعة قرون ونصف. وبعد ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية ببضعة سنوات انتهت إمارة مكة المكرمة عندما حررّ آل سعود الحجاز.

إن أبو عزيز قتادة هو أول أمراء مكة المكرمة من هذه الأسرة، وقد عرف بشجاعته ونجاحه في فرض سيطرته على البدو بعد وفاة أمير قلعة ينبع كما حارب أولاد عبد المحض (Abdulmahz) وبعد استيلائه على ينبع وأراضي صفراء (Safra) استغل فرصة خروج أمير مكة الشريف محمد بن مكثر Mukessir من يني فليطة إلى وادي تنيم للتنزه واستولى على مكة المكرمة في يوم الجمعة 17 رجب سنة 598 هـ/ 1201 م (أو 601 هـ/ 1204) وأعلن إمارته عليها ـ ثم احتل المدينة المنورة كما تغلب على بني ثقيف (beni Sakif) واستولى على بعض المناطق في أطراف اليمن وتوفي في سنة 617 هـ/ 1220 م وهو في التسعين من عمره بعد أن أمضى 16 سنة في إمارة الحجاز (أو 19 سنة).

وبعد وفاته تولى ابنه الشريف حسن إمارة مكة المكرمة إلا أن حاكم اليمن الأيوبي الملك المسعود صلاح الدين (1215 ـ 1229) جاء، بناء على أوامر من والده حاكم مصر الملك الكامل (1218 ـ

= أخذ الأمير أبو هاشم محمد زمام الأمور بيده في مكة المكرمة. لقد بقي شرفاء بني فليطة في إمارة مكة المكرمة مدة 138 سنة (598 هـ/ 1201 م) تولى الإمارة خلالها 13 أميراً من هذه الأسرة، ولما كان ثالثهم هو الشريف فليطة بن قاسم فإن عائلة بنو هاشم اشتهرت باسم بني فليطة. إن إحدى الروايات تقول بأن آخر أمراء هذه الأسرة هو مكثر Mikser بن عيسى، الذي أصبح أمير للمرة الثانية، أو ابنه محمد. وتقول رواية أخرى أن آخر أمرائها هو المنصور بن داود بن عيسى وبعده انتقلت إمارة مكة المكرمة إلى أسرة أبو عزيز قتادة.

1238 م)، على رأس قوة عسكرية كبيرة (إلى مكة) وهزم الشريف حسن. ثم عاد بعد أن نصب والياً على مكة المكرمة هو نور الدين علي بن عمر.

لقد التقى الشريف حسن بن قتادة بوالي مكة المكرمة نور الدين علي في معركة في وادي الحديبية إلا أن الفشل كان نصيبه الأمر الذي دفعه إلى التوجه إلى الشام ومنها بغداد حيث توفي هناك.

وبعد وفاة حاكم اليمن الأيوبي الملك مسعود في سنة 1229 م توجه والي مكة المكرمة نور الدين علي إلى اليمن وسيطر عليها وأعلن نفسه حاكماً هناك ونصب الشريف راجح بن قتادة أميراً على مكة المكرمة في سنة 629 هـ/ 1231 م. إلا أن الشريف راجح هذا هزم من قبل الأمير التركي طغتكين الذي أرسله الملك الكامل من مصر وقد أخرج طغتكين الشريف راجح من مكة المكرمة، ونشب خلاف ونزاع طويل بين مصر واليمن حول قراءة الخطبة باسم من في مكة المكرمة. وأخيراً انتقلت الإمارة إلى أولاد الشريف قتادة مرة أخرى اعتباراً من سنة 639 هـ/ 1241 م.

لقد حكمت أسرة قتادة مكة المكرمة منذ سنة 1241 م على شكل تابع للدولة الأيوبية ومن بعدها الدولة المملوكية. وقد شهدت إمارتهم صراعاً داخلياً فيما بينهم سفك فيه دم كثير. ولحين احتلال العثمانيين لمصر اشتهر ثلاثة من أفراد هذه الأسرة وهم الشريف أبو نمي الأول والشريف عجلان بن رميثة Rumeyse والشريف حسن بن عجلان.

إن إدارة الأيوبيين والمماليك الأتراك والمماليك الشراكسة ومن بعدهم العثمانيين لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة واستحواذهم

عليهما كانت ذات أهمية كبيرة من الناحيتين الدينية والسياسية لأنها كانت وسيلة مهمة لكسب النفوذ والاحترام في العالم الإسلامي. ومن هنا فإن السلاطين العثمانيين الذين اعتبروا أنفسهم، منذ عهد السلطان سليم الأول، خلفاء الرسول ﷺ والزعماء الروحيين للمسلمين السنة أولوا مسألة استمرار استحواذهم على مكة المكرمة والمدينة المنورة أهمية كبيرة جداً.

الشريف بركات بن محمد

بعد استيلاء السلطان سليم الأول على سوريا وفلسطين بعد معركة مرج دابق سنة 922 هـ/ 1516 م وعلى مصر بعد معركة الريدانية سنة 923 هـ/ 1517 م وقضائه على الدولة المملوكية اعترفت منطقة الحجاز التي كانت تحت نفوذ هذه الدولة بالحكم العثماني وقد أرسل أمير مكة المكرمة أنذاك الشريف بركات بن محمد الحسيني[1] ابنه الشريف أبو نمي البالغ عمره 12 سنة إلى السلطان سليم الأول في مصر حاملاً معه مفاتيح مكة المكرمة ومجموعة من الهدايا دليلاً على قبول السيادة العثمانية[2].

إن أمير مكة المكرمة الشريف بركات الثاني هو ابن محمد بن بركات المتوفى سنة 903 هـ/ 1497 م. وقد تولى إمارة مكة المكرمة

---

(1) الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبو نمي.

(2) يذكر مؤرخوا مكة المكرمة أن السلطان سليم الذي احتل مصر أراد الاستيلاء على الحجاز وأنه كان ينوي إرسال قوة إلى هناك إلا أن قاضي مكة السابق صلاح الدين ابن أبي المسعود، الذي سجنه المماليك في مصر ثم أطلق السلطان سليم سراحه، أوقف هذه المحاولة وبعث رسالة تنبيهية إلى الشريف بركات. ومن هنا كان إرسال بركات ابنه أبو نمي إلى القاهرة. ومن المحتمل أن يكون مثل هذا الأمر وارداً. انظر: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص 50: مرآتي جزيرة العرب، ص 76.

بالاشتراك مع أبيه منذ سنة 878 هـ/ 1473 م. وبعد وفاة أبيه اشترك أخوته معه في الإمارة. وقد نشب نزاع وقتال فيما بينهم وأخيراً. وبعد وفاة شريكه الأخير أخوه الشريف قايتباي سنة 918 هـ/ 1512 م. بقي لوحده في إمارة مكة المكرمة.

لقد جاء أبو نمي محمد بن أمير مكة المكرمة الشريف بركات بن محمد الثاني إلى القاهرة في 13 جمادي الآخرة 923هـ/ آب 1517م واستقبل وسط مراسيم وأسكن في المحل المخصص له[1]. وفي اليوم السادس عشر من الشهر ذاته دعي إلى الديوان لأجل تقديم مفاتيح الكعبة والهدايا الأخرى التي جاء بها[2]. وفي الديوان جلس على

---

(1) ورد في تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ص 149 وفي شجرة نسب زامباور بأن الشخص الذي كان أميراً على مكة المكرمة عند احتلال السلطان سليم لمصر هو الشريف أبو نمي محمد. لكن مؤرخي مكة المكرمة يذكرون بأن الشريف بركات أراد أن يجعل ابنه أبو نمي البالغ من العمر ثمان سنوات شريكاً له في الإمارة وكتب بذلك إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري في سنة 918 هـ/ 1512 م. وهذا يعني أن الطفل البالغ 8 سنوات من العمر لم يصبح أميراً بل شريكاً في الإمارة. وأن عمر أبو نمي عندما أرسله والده الشريف بركات إلى السلطان سليم في مصر كان 12 سنة. لقد أورد ابن إياس، وهو شاهد عيان لتلك الفترة، في كتابه (ج 5، ص 186)» في جمادي الآخرة 923 هـ وفي يوم الأحد خامس عشر (حضر) إلى الأبواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة المكرمة وسبب حضوره أنه حضر ليهنىء ابن عثمان بمملكة مصر «أما حيدر جلبي كاتب يوميات حملة مصر في الجيش العثماني فيقول أنه في اليوم الثالث عشر (جاء الشريف أبو نمي بن سلطان مكة الشريفة الشريف بركات وقد أمر الأغوات باستقباله) وورد في منشآت فريدون ج 1 ص 439 وتاج التواريخ ج 2 ص 271 أن شريف الحجاز ابن البركات ابن محمد الذي هو من أحفاد سيدنا الحسن أرسل ابنه الشريف أبو نمي إلى باب السعادة (حضره السلطان العثماني) بعد فتح مصر. وأن ابن الشريف بزيارته هذه كسب سعادة واحتراماً فائقاً وعومل معاملة حسنة تفوق الحد ونفهم من كل هذا أن أمير مكة المكرمة عند فتح مصر كان الشريف بركات.

(2) حيدر جلبي روزنامة سي: منشآت فريدون بك ج 1 ص 439. ويذكر ابن أياس =

المقعد الموضوع بين الوزير الأعظم يونس باشا وقاضي العسكر أما ابن عمه الشريف عرار الذي جاء معه بصفته سفيراً فقد جلس على مقعد في الطرف المقابل.

لقد استمع أبو نمي إلى مداولات الديوان، وبعد انتهاء أعمال الديوان في ذلك اليوم استقبل من قبل السلطان حيث قدم له الهدايا ثم أرسل مرة أخرى مع موكب إلى مقر إقامته. لقد خصص للشريف أبو نمي ومن معه ثلاثين خروفاً يومياً إضافة إلى تأمين احتياجاتهم من المأكولات واللوازم الأخرى. وفي 22 جمادي الآخرة استقبل الشريف أبو نمي من قبل السلطان مرة أخرى حيث ألبس خلعة وقبّل أيادي (السلطان) وودعه[1].

عند عودة أبو نمي، الذي عومل باحترام فائق، إلى مكة المكرمة أرسلت معه خلعة الإمارة ومنشور الإمارة إلى أمير مكة المكرمة. وفيما عدا ذلك أرسل السلطان العثماني 200 ألف قطعة نقدية ذهبية ومقداراً كبيراً من الغلال عن طريق البحر لتوزيعها على أهالي الحرمين الشريفين، وأرسل أحد الأمراء الذين معه وهو الأمير مصلح الدين واثنين من قضاة مصر للأشراف على عملية التوزيع[2]. وفي هذا

- بأن استقبال السلطان للشريف أبو نمي لأول مرة كان في 15 جمادي الآخرة أي قبل يوم واحد من التاريخ الذي أورده حيدر جلبي في الرزنامة، انظر (ابن أياس ج 5 ص 186).

(1) راجع الهامش الخاص بهذا الموضوع في فصل «دخول الحجاز ضمن الإدارة العثمانية» لأن المؤلف كرّر نفس الهامش المفصل هنا نصاً (**المترجم**).

(2) ورد في خلاصة الكلام، ص 51 «.. أول ورود حب الصدقة لأهل مكة سنة 923 هـ ثم وصلت إلى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لأهل مكة فكتب جميع أهل مكة إلى السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولي نظراً ذلك الأمير مصلح.... وعمر الأمير =

الوقت أيضاً عين (السلطان) لأمير مكة مخصصات سنوية من إيرادات مصر[1].

هكذا أصبحت الحجاز تحت الإدارة العثمانية وأرسل القضاة إلى الحرمين وأصبحت الخطبة التي كانت تقرأ باسم سلاطين المماليك تقرأ باسم السلاطين العثمانيين الذين حصلوا على الخلافة أيضاً[2]. وكان اسم أمير مكة المكرمة يذكر بعد اسم السلطان.

توفي الشريف بركات محمد سنة 931 هـ/ 1525 م عن عمر يناهز السبعين وتولى ابنه الشريف أبو نمي بن بركات إمارة مكة من بعده بمرسوم من السلطان العثماني.

الشريف أبو نمي الثاني بن بركات:

كان أبو نمي المولود في آخر شهر من سنة 911 هـ/ أيار 1506 م، في العشرين من عمره عند توليه إمارة مكة المكرمة. وهو أصغر أبناء الشريف بركات الثاني وقد توفي أخويه على وقايتباي في حياة والدهم (الشريف بركات).

كان أبو نمي إدارياً وذو رأي سديد وفي الوقت نفسه محارباً جسوراً. وكانت الدولة العثمانية قد أمنت جانب منطقة (الحجاز) خلال فترة إمارته الطويلة على مكة المكرمة. وفي عهد إمارته أنزل البرتغاليون قوة في سنة 948 هـ/ 1542 م احتلت قلعة جدة. إلا أن

= مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ ثم توجه إلى المدينة المنورة لإجراء الصدقات ثم إلى مصر ثم إلى الروم».

(1) تاج التواريخ ج 2 ص 371 وأوليا جلبي ج 1 ص 177 و(أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الدخلية ـ تصنيف جودت ـ الأرقام 576 و8474 و12348).

(2) انظر ما ذكرناه في هامش سابق بخصوص مسألة انتقال الخلافة إلى السلاطين العثمانيين (المترجم).

مجيء الشريف أبو نمي على رأس القوة البدوية التي جمعها وحمية والي جدة ودفاعه الشديد عن المدينة أجبرا البرتغاليين عن الانسحاب ولقاء موقف الشريف هذا خصصت له نصف إيرادات كمرك جدة[1].

وفي سنة 958 هـ/ 1551 م حصل خلاف بين أبو نمي وأمير الحاج محمود باشا. وبسبب شكوى محمود باشا وتأثيره قام والي مصر علي باشا البدين (سمير علي باشا) بتهيأة فرمان (سمح للولاة البعيدين عن العاصمة بكتابة الفرامين عند الضرورة) عزل بموجبه الشريف أبو نمي من إمارة مكة وعين محله زاير بن محرم، إلا أن» أبو نمي «رفض هذا العزل وأعلن تمرده[2] كما انتفض البدو عند سماعهم نبأ عزل أبو نمي وقاموا بنهب قوافل الحج ولذا لم يعد ممكناً أداء بعض واجبات الحج. وبناء على طلب أهالي مكة المكرمة أعيد أبو نمي مجدداً إلى إمارة مكة المكرمة بموجب فرمان مؤرخ في 959 هـ/ 1551 ـ 1552 م[3].

---

(1) كانت جدة محاطة بسور شيده السلطان المملوكي الملك الأشرف قانصوه الغوري وبعد فترة قصيرة من بنائه دخل البرتغاليون ميناء جده وبدأوا قصف المدينة بالمدافع إلا أنهم انسحبوا منه ولم يحققوا شيئاً بسبب غيرة وشجاعة أهلها والمدفعية المعبأة من قبلهم. ولكنهم عادوا في أواخر سنة 948 هـ/ 1542 م مع ثمانين سفينة ونزلوا إلى البر في مرفأ أبو الدواير «Ebud-devair» وبدأوا هجومهم إلا أن وصول أمير مكة أبو نمي محمد مع قوة البدو والرجال القادرين على حمل السلاح وكذلك غيرة أمير لواء جدة أجبر البرتغاليين على الانسحاب (مرآتي جزيرة العرب ص 182) ونفس المعلومات، موجودة بالعربية في (خلاصة الكلام، ص 53). وبخط المؤرخ عالي Ali حين يذكر بأن تخصيص نصف إيرادات كمرك جدة كان بعد هذا التاريخ.

(2) توجد بهذا الخصوص عريضتين قدمهما والي مصر علي باشا إلى الديوان (الهمايوني تاريخ صفر 959 هـ/ كانون الثاني 1552 م. في (أرشيف طوب قابوسراي ـ الرقم 5952 و5969).

(3) رحلة قطب الدين المكي «سياحتنامة قطبي مكي» الورقة 28 و29. ولا توجد في =

وبعد فترة قصيرة من إعادة تعيينه أميراً استقال أبو نمي من إمارة مكة المكرمة سنة 960 هـ/ 1553 م راجياً تعيين ابنه الشريف أحمد محله وقد استجيب رجاءه هذا[1]. وبسبب وفاة ابنه الشريف أحمد في 961 هـ/ 1553 م عرض أبو نمي تعيين ابنه الآخر الشريف حسن أميراً على مكة المكرمة. وقد عين الشريف حسن أميراً لمكة المكرمة في شوال من السنة ذاتها (أيلول 1554 م)[2]. وفي عهد (الشريف حسن) هذا أرسل أول محمل يمني في سنة 963 هـ/ 1556 م بناءً على تقرير من والي اليمن الوزير مصطفى باشا[3].

= مصادرنا الأخرى أية إشارة إلى هذا التمرد. وعلى أية حال فإن قطب الدين المكي الذي كان الرجل المعتمد لدى أمير مكة يذكر ذلك.

(1) إن ما يذكره صاحب «خلاصة الكلام» وتاريخ الدول الإسلامية، من أن الشريف أبو نمي لم يستقل من منصبه وأن ابنه الشريف أحمد ومن بعده ابنه الآخر الشريف حسن «كان مشاركاً لأبيه بأمر السلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية...» غير صحيح حسب ما يرد في السجلات العثمانية إذ لا نلاحظ في المنشور الذي أرسل بعد وفاة الشريف أحمد أية إشارة إلى المشاركة. انظر الهامش الذي يلي.

(2) ورد في فرمان ذكر في منشآت فريدون بك ج 1 ص 500 «... أن السيد الشريف أبو نمي بن الشريف بركات أدام الله سعده الذي كان أميراً لمكة المكرمة سابقاً أرسل رسالة يعلمنا فيها بارتحال ابنه أمير الكعبة المعظمة المرحوم الشريف أحمد طاب ثراه إلى دار البقاء... واستحقاق ابنه جناب أمار تمآب (أي سيادة من آبت إليه الإمارة ـ المترجم) السيد الشريف حسن دام سعده المفيد من كل وجه لأمور الرياسة وصاحب الدراية... وضبط المملكة والولاية وحفظ ورعاية الرعية... وبهذا الخصوص أيضاً أرسل والي مصر محمد باشا دام إقباله رسالة عرضت على جنابي السلطاني. وعليه أمرت في 22 شوال من سنة 961 هـ الحالية (أيلول 1554 م) بمقتضى الفرمان العالي الشأن بأن يكون السيد حسن المشار إليه دام سعده أميراً على مكة المكرمة بعد اليوم..».

إن هذا الفرمان يظهر بوضوح انسحاب (أو استقالة) أبو نمي من إمارة مكة المكرمة.

(3) رحلة قطب الدين المكي «قطب الدين سياحتنامة سي».

وفي محرم سنة 965 هـ/ أيلول 1557 م أرسل قطب الدين المكي من قبل أبو نمي وابنه حسن إلى اسطنبول بهدف عزل بيري Piri قائد حامية المدينة المنورة الذي حدثت الخلافات بينه وبين أمير مكة. إلا أن قطب الدين المكي لم يفلح في عزل بيري رغم كل جهوده. ذلك أن السلطان سليمان القانوني، الذي وجد أن من غير الملائم أضعاف نفوذه العسكري في هذه المنطقة البعيدة جداً عن مركز الدولة وإقامة نفوذ وسلطة أمير مكة المكرمة، رفض طلب أمير مكة على الفور وأوضح لقطب الدين المكي بأنه سيكون ممكناً فقط استبدال الحاكم العسكري إذا ما أظهر التحقيق الذي ستقوم به هيئة خاصة موجباً لذلك[1].

توفي الشريف أبو نمي في محرم 992 هـ/ كانون الثاني 1584 م في وادي أبار (Vad-ilbar) في جهة اليمن وجلب إلى مكة حيث دفن في المعلى (Mualla) وكان قد تجاوز الثمانين من العمر عند وفاته[2]. أما إمارته الفعلية على مكة المكرمة فكانت ثلاثون سنة. ويذكر المؤرخون العرب أنه اشترك مع ابنه الشريف حسن في إمارة مكة[3]. ونلاحظ إرسال الفرامين إلى (الشريف حسن) عندما كان أميراً لمكة في حياة أبيه، مثال ذلك الأمر السلطاني الموجه إلى الشريف حسن في 972 هـ/ 1564 م[4]. وكانت نسخ بعض الأوامر الموجهة إليه ترسل إلى أبيه في الوقت نفسه أيضاً[5].

---

(1) خلاصة الكلام، ص 55.

(2) يعتمد المؤلف على السنين الهجرية في حساب الأعمار وسنوات الإمارة (المترجم).

(3) خلاصة الكلام، ص 55.

(4) مهمة دفتري، 6، ص 190 سنة 972 هـ.

(5) مهمة دفتري 7، ص 152.

الشريف حسن بن أبي نمي محمد:

عين هذا أميراً على مكة المكرمة في حياة والده أبو نمي. وأن الشرفاء الذين تولوا الإمارة بعد هذه الفترة ينحدرون من الشريف حسن هذا.

كان الشريف حسن قد عين ابنه الأكبر حسين نائباً له وبعد وفاته (أي حسين) عين ابنه الآخر مسعود نائباً له. وبسبب وفاة مسعود هذا أيضاً وجد من المناسب تعيين أكبر أبنائه الباقين وهو الشريف أبو طالب نائباً أول له وابنه الآخر عبد المطلب نائباً ثانياً. وقد وافقت الحكومة أيضاً على تعيين كليهما وكلاء لأبيهما بعد عرض الأمر من قبل أمير الحج.

توفي الأمير الشريف حسن في جمادي الآخرة 1010 هـ/ أيلول 1601 م أثناء خروجه للحرب في أطراف نجد على مسافة 10 أيام من مكة المكرمة. وقد جلب جثمانه إلى مكة ودفن في المقبرة الكائنة في المعلى. ولما كانت ولادته في ربيع الأول 932 هـ/ كانون الثاني 1526 م فإن عمره كان 78 سنة عند وفاته. وكان للأمير حسن ما بين 25 و27 ابناً و17 بنتاً. وفي السنة التي توفي فيها (أي الأمير حسن) توفي أيضاً نائبه الثاني الشريف عبد المطلب. (ومن حوادث عهده) أنه قدم في سنة 995 هـ/ 1587 م عريضة وهدية إلى اسطنبول راجياً فيها تجديد الكسوة الخارجية والداخلية[1] للكعبة وقد استجابت الدولة لذلك[2].

(1) ورد سابقاً بأن الكسوة كانت تجدد سنوياً ويبدو أن هذا الطلب الذي قدمه الشريف حسن قد قدم لسبب لا علاقة له بتجديد الكسوة سنوياً (المترجم).

(2) ورد في تاريخ سلانيكي (النسخة غير المطبوعة ـ الورقة 277) بأن الهدايا التي -

الأمير الشريف أبوطالب بن حسن:

بعد وفاة الشريف حسن عين ابنه ونائبه الشريف أبو طالب أميراً على مكة المكرمة. وبسبب نشوب خلافات بينه وبين إخوانه لجأ اثنان منهم وهما الشريف بشير والشريف إدريس مع أتباعهم البالغ عددهم 20 رجلاً إلى اسطنبول. وقد ألبس هذين الشريفين الخلعة في الديوان (الهمايوني) وخصص لهما الطعام من مطبخ السراي (قصر السلطان). وقد بين هؤلاء عند الاستفسار منهم عن سبب مجيئهم إلى اسطنبول بأنهم يأملون تعيينهم (في منصب الإمارة) عند شغور إمارة مكة المكرمة. وقد خصصت الدولة راتباً لهم من خزينة مصر وأرسلتهم إلى هناك[1].

لقد عرف أمير مكة المكرمة أبو طالب بسداد رأيه ووقاره وشجاعته وبعد وفاته بدأ التنافس بين الشرفاء على منصب إمارة مكة. لقد تولى أبو طالب الإمارة لسنتين فقط وتوفي في جمادي الأخرى 1012 هـ/ تشرين الثاني 1603 م. ولما كانت ولادته في سنة 965 هـ/ 1557 م فإنه كان في السابعة والأربعين من العمر عند وفاته.

الشريف إدريس بن حسن:

إن الشريف إدريس، الذي كان قد توجه إلى اسطنبول واستقر فيها بعض الوقت بعد وفاة والده الشريف حسن، أصبح أميراً على مكة المكرمة بعد وفاة أخيه الأكبر أبو طالب. ولكن بسبب منافسة

- أرسلها كانت أقمشة من الهند والسند تتألف من ألف لفة (طول) مختلفة الألوان من الأطلس والكتان والقماش القطني وغيرها من الأقمشة المنقشة. إضافة إلى خمسين ذراعاً (الذراع هنا ذراع السوق البالغ 68 سم) من قماش العمائم الممتاز وعشر قناطير من خشب الألوة «Odagaci» وفواكه هندية وأنواع من الماسات موضوعة في 65 جرة من الخزف الصيني. وكان يحمل كل جرة ستة رجال.

(1) سلانيكي (النسخة غير المطبوعة) ورقة 288.

أخيه فهيد وابن أخيه الشريف محسن بن حسين أجبر الشريف إدريس على قبول مشاركتهما له في الإمارة بناءً على قرار من الشرفاء. وفي صفر 1013 هـ/ تموز 1604 ورد من السلطان أحمد الأول منشوراً يتضمن أسماء الثلاثة بخصوص إمارتهم المشتركة. وقد أزاح الشريف إدريس أخيه فهيد في سنة 1019 هـ/ 1610 وبقي في الإمارة مع الشريف محسن وحده في الإمارة.

توفي الشريف إدريس في السنة ذاتها بعد مضي ثلاثة أشهر على عزله في جبل شمر (شمال شرق المدينة) وهو في الستين من عمره. وقد عرف بسخائه وكان يكنى أبا عون. وفي عهد الشريف إدريس هذا أرسل السلطان أحمد الأول ميزاب الكعبة المعمول من الذهب والمسمى (ميزاب الرحمة) إلى مكة المكرمة. كما أرسل الماسة التي كان يلبسها والده السلطان محمد الثالث (1595 ـ 1603 م) في إصبعه، والذي كان قد اشتراها بمبلغ 50,000 قطعة نقدية ذهبية، إلى الروضة المطهرة في المدينة المنورة. وقد عرفت هذه الماسة باسم (شب جراغ ـ Scb Cerag)[1] لأنها كانت تنشر الضياء حولها في الليل. وقد أرسلت هذه الماسة بعد أن وضعت على لوحة وزينت أطرافها بـ 220 ماسة ثمينة وعلقت في مكان «**الكوكب الدري**» المعلق على الجدار في الروضة المطهرة. وقد جلب «**الكوكب الدري**» وميزاب الكعبة القديم إلى اسطنبول.

لقد أرسلت ماسة «شب جراغ» بيد أمين الصرة ودفتردار حلب السابق والمعين حديثاً والياً على ولاية حبش حسن باشا[2]. وفي عهد

---

(1) فارسية تعني «مصباح الليل».

(2) نعيماً، ج 1، ص 103 ص 105.

الشريف إدريس أيضاً رممت الكعبة.

الشريف فهيد بن حسن:

كما ذكرنا سابقاً عين فهيد هذا على إمارة مكة المكرمة سنة 1603 م بالاشتراك مع أخيه إدريس وابن أخيه الشريف محسن. وبسبب كثرة جماعة فهيد وتجاوزاته وقيام أتباعه بالسلب والنهب بادر الشريف إدريس إلى جلب قوة من اليمن بواسطة ابن أخيه الشريف محسن وأخرج فهيد من مكة في 1019 هـ/ 1610 م. وقد ذهب فهيد إلى مصر أولاً ثم توجه إلى اسطنبول وتوفي فيها في 1020 هـ/ 1611 م. وأرخت وفاته ببيت من الشعر جاء فيه «... مات بالروم فهيد بن حسن»[1].

الشريف محسن بن حسين:

وهو ابن الشريف حسين الذي توفي عندما كان نائباً لوالده الشريف حسن في إمارة مكة المكرمة. وقد تولى إمارة مكة بالاشتراك مع عميه إدريس وفهيد. وبعد عزل الشريف فهيد بقي مع الشريف إدريس. وبسبب تجاوزات رجال وعبيد الشريف إدريس في إحدى الحملات التي شنوها في شرق شبه الجزيرة العربية وبسبب العداء بينهما وبين عائلة الشريف عبد المطلب بن حسن، نشأ خلاف بين الأمويين كانت نتيجة عزل الشريف إدريس من إمارة مكة المكرمة بقرار من الشرفاء والسادة والعلماء والفقهاء والأعيان. وقد تم إبلاغ اسطنبول بهذا الأمر وقبلت الحكومة إمارة محسن لوحده وأرسلت منشوراً باسمه في ذي الحجة 1034 هـ/ 1624 م.

بقي الشريف محسن بعد هذا أميراً على مكة لوحده حتى سنة

---

(1) خلاصة الكلام ص 65، خلاصة الأثر ج 3، ص 288.

1037 هـ/ 1628 م. وفي هذه الفترة غرقت سفينة كورجي أحمد باشا، المعين والياً على اليمن، قبالة ميناء جدة. وقد طلب من الشريف محسن الرجال والمساعدة واستجاب لذلك الشريف محسن الذي أرسل مجموعة من الهدايا أيضاً إلى أحمد باشا مع مفتي مكة المكرمة عبد الرحمن مرشدي. إلا أن أحمد باشا وقع تحت تأثير منافسي الشريف محسن وعين الشريف أحمد بن عبد المطلب الذي قدم إلى جدة أميراً على مكة المكرمة[1]. وأعلن من جدة عزل الشريف محسن. وقد حصل صدام بين الشريفين كان الإخفاق فيه من نصيب الشريف محسن الذي ذهب مع بعض أتباعه إلى أطراف اليمن. وبعد سنة توفي في صنعاء في 1038 هـ/ 1629 م وهو في الرابعة والخمسين من العمر.

الشريف أحمد بن عبد المطلب:

هو ابن الشريف عبد المطلب بن حسن الذي أصبح في الفترة الأخيرة من إمارة والده حسن نائباً له وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها والده. وفي عهد إمارة الشريف محسن على مكة المكرمة كانت عائلة عبد المطلب إحدى عائلات «أبو نمي» المعتبرة.

وكما لاحظنا في القسم الخاص بالشريف محسن فإن الشريف أحمد كان قد ذهب إلى جدة وعين أميراً على مكة بدلاً عن الشريف محسن من قبل كورجي أحمد باشا الذي كان في طريقه إلى اليمن التي

---

(1) إذا كان قد ورد في (نعيما تاريخي ج 3، ص 147) بأن أحمد باشا قد عزل شريف مكة اليمني وعين أحمد أميراً عليها فإن ذلك يعني بأن المقصود باليمني هنا هو الشريف محسن. ومن المحتمل أيضاً أن نعيماً قد أخطأ وذكر الشريف نامي Nami بن عبد المطلب، الذي نشط من أجل تولي منصب الإمارة، باسم «يمني».

عين والياً عليها (1627 م). وقد رفض الشريف محسن هذا الأمر وقاومه، إلا أن الفشل كان نصيبه في المصادمة التي وقعت بينه وبين الشريف أحمد الذي دخل مكة المكرمة في رمضان 1037 هـ/ أيار 1628 م.

لقد تصرف أمير مكة الجديد أحمد بطيش وأظهر شدة لا لزوم لها فقد قتل مفتي مكة عبد الرحمن مرشدي بتهمه تأييده الشريف محسن وقتل آخرين واعتقل آخرين غيرهم الأمر الذي دفع مؤيدي الشريف محسن إلى التواري عن الأنظار. وحاول أيضاً قتل منافسه على إمارة مكة مسعود بن إدريس إلا أن مسعود هرب إلى ينبع ولجأ إلى قانصوه Kansu باشا العائد من اليمن.

وبعد مجيء قانصوه باشا إلى جدة دبر خطة استدرج بها الشريف أحمد إلى هناك حيث خنقه ليلاً في خيمته بعد أن أخذ هداياه، ثم ألبس الشريف مسعود بن إدريس خلعة إمارة مكة وأعلن إمارته في صفر 1039 هـ/ أيلول 1629 م. وكانت إمارة الشريف أحمد سنة واحدة وأربعة شهور.

الشريف مسعود بن إدريس:

هو ابن أمير مكة الأسبق الشريف إدريس. وقد وقف ضد عمه أمير مكة الشريف محسن لبعض الوقت ثم تصالح معه، واستقر في مكة بضمانة شرفائها ومع وصول كورجي أحمد باشا إلى جدة تفاهم الشريف مسعود والشريف أحمد بن عبد المطلب وذهبا سوية إلى جدة وهناك تم اختيار أحمد ليحل محل محسن في إمارة مكة المكرمة. وقد رأى أمير مكة الجديد أحمد أن الشريف مسعود يمثل منافساً له ولذا أراد قتله إلا أن مسعود هرب ولجأ إلى قانصوه باشا وحصل

بواسطته على إمارة مكة المكرمة (صفر 1039 هـ/ أيلول 1629 م) وفي عهد مسعود هذا أغرقت (السيول) المسجد الحرام وهلك كثير من الناس وقد توفي الشريف مسعود في ربيع الأول 1040 هـ/ تشرين الثاني 1630 م ومدة إمارته على مكة سنة واحدة وثلاثة أشهر. وقد عرف أيضاً بكرمه وشجاعته وحسن تدبيره ورعايته لرجال العلم.

الشريف عبد الله بن حسن:

هو جد الشرفاء العبادلة «Abadile» الذين تولوا إمارة مكة في القرن التاسع عشر. وكان عبد الله هذا في النصف الأول من القرن السابع عشر أكبر أفراد عائلة الشرفاء عمراً وأكثرهم احتراماً. ولم يتورط في النزاع على الإمارة مثلما فعل أخوته وأبناء أخوته، وأن الأحداث التي وقعت في حياته هي التي أوصلته إلى منصب إمارة مكة المكرمة الذي لم يكن راغباً فيه. فبعد وفاة أمير مكة الشريف مسعود اتفق جميع الشرفاء والسادة على ترشيح عبد الله لإمارة مكة، وقد وافقت الدولة على هذا الترشيح وأرسلت له مرسوما بهذا الخصوص ولكن عبد الله تخلى عن الإمارة بعد تسعة أشهر من ترشيحه (ربيع الآخر 1040 ـ صفر 1041 هـ/ تشرين الثاني 1630 ـ آب 1631 م) لابنه محمد والشريف زيد بن محسن (ابن أمير مكة السابق الشريف حسن) الموجود في اليمن. وورد من الحكومة مرسوم بخصوص إمارتهما المشتركة.

وبعد مضي ثلاثة أشهر ونصف على استقالته من الإمارة توفي الشريف عبد الله في جمادي الآخرة 1041 هـ/ كانون الثاني 1632 م مخلفاً ورائه أبناءً كثيرين.

الشريف محمد بن عبد الله والشريف زيد بن محسن:

تولى الشريف محمد إمارة مكة بعد وفاة والده بالاشتراك مع الشريف زيد بن محسن. وفي عهد هذين الشريفين بدأ تسلط أئمة الزيدية في اليمن وتمردهم ضد قانصوه باشا[1]. وأن القوة التي انسحبت من هناك وهي في حالة فوضى وتهور في طريقها إلى مصر اجتمعت في كونفو Konfu تحت قيادة شخص يدعى كور محمود «محمود الأعور». وبتشجيع من الشريف نامي بن عبد الله سارت هذه القوة نحو مكة. وقد أبلغوا أميري مكة بأنهم يرومون الدخول إلى مكة إلا أن الأميرين اللذان تخوفاً من احتمال قيام هذه القوة بأعمال السلب والنهب رفضا ذلك. ونتيجة لذلك قررت قوة كور محمود الدخول إلى مكة عنوةً. وعلى الرغم من المساعدة التي قدمها والي جدة مصطفى بك إلى الشرفاء في المعركة التي وقعت بينهم وبين كور محمود فإن النصر كان حليف كور محمود. وقد أصيب الشريف محمد نفسه بشظية إطلاقة في هذه المعركة (شعبان 1041 هـ/ آذار 1632) توفي على أثرها. وعندما توجه كور محمود لدخول مكة هرب أمير مكة الآخر الشريف زيد بن محسن. وقد بادر كور محمود إلى توجيه إمارة مكة المكرمة إلى كل من الشريف نامي بن عبد المطلب، الذي كان يسعى منذ أمد طويل لمنصب الإمارة وجاء بكور محمد إلى مكة، والشريف عبد العزيز بن إدريس بصورة مشتركة[2]. لقد استمرت إمارة

---

(1) نجح الزيديون في تحديد سلطة والي اليمن بحيث أصبحت تشمل مدينة زبيد وأطرافها فقط أما صنعاء ومعظم المناطق الداخلية فقد أصبحت تحت سيطرة الأئمة الزيديين في 1631 م. (المترجم).

(2) ورد في (فذلكة كاتب جلبي، ج 2، ص 147) بأن العسكر الذين أرسلوا سابقاً مع قانصوه باشا إلى اليمن قد قطعوا علاقتهم مع اليمن وجاؤوا إلى مكة ودخولها في 25 شعبان. وقد خرج والي جدة مصطفى بك للدفاع عن أهل مكة إلا أن -

الشريف محمد والشريف زيد مدة سبعة أشهر فقط. وسنعطي فيما بعد معلومات أخرى عن الشريف زيد.

الشريف نامي والشريف عبد العزيز:

إن الشريف نامي الذي أبدى نشاطاً ملحوظاً من أجل تولي إمارة مكة المكرمة هوأخ أمير مكة الشريف أحمد (الذي قتل من قبل قانصوه باشا) وابن الشريف عبد المطلب بن حسن بن أبو نمي. وقد بادر بعد توليه إمارة مكة في شعبان 1041 هـ/ آذار 1632 م إلى شن حملة عسكرية على ميناء جدة وقد تمكن من احتلالها كما قتل واليها مصطفى بك وقام بأعمال مؤذية فيها.

إن الشريف زيد بن محسن الذي هرب من مكة ذهب إلى المدينة المنورة وكتب إلى والي مصر خليل باشا عن الحالة طالباً المساعدة منه. ومع مجيء قوات عسكرية من مصر هرب الشريف نامي وأخيه وكور محمود إلى قلعة تربة «Turbe» في وادي العباس. وبعد مقاومة قليلة هناك بدأوا يعانون من العطش ثم استسلموا بعد أن صدقوا وعود منحهم «ديرلك ـ dirlik»[1]. ولكنهم اعتقلوا فور خروجهم من القلعة وقدموا للمحاكمة. وبسبب قتل الشريف نامي لوالي جده مصطفى بك فقد صدرت فتوى بإعدامه هو وأخيه (محرم 1042 هـ/ آب 1632 م)[2].

= عساكر الشريف تشتتوا في المعركة وسقط كل من مصطفى بك والشريف محمد في المعركة. ثم دخل العسكر بالسيف إلى مكة ونهبوها وأغاروا (على أهلها) ونصبوا الشريف نامي الذي جاء معهم شريفاً لمكة...».

(1) الديرلك في اللغة يعني «الرزق» وفي الاستعمال الرسمي العثماني يعني الدخل الذي تخصصه الدولة لفرد لقاء خدمة يؤديها للدولة، وغالباً ما تكون هذه الخدمة عسكرية. **المترجم**.

(2) نعيماً تاريخي ج 3، ص 153 وخلاصة الكلام، ص 74.

أما الشريف عبد العزيز إدريس شريك الشريف نامي في الإمارة فقد هرب، بعد انتصار القوات القادمة من مصر، إلى ينبع أولاً ومنها لجأ إلى مصر وتوفي فيها بالطاعون سنة 1063 هـ/ 1653 م.

الشريف زيد بن محسن:

وهو ابن الشريف محسن بن حسين الذي تولى إمارة مكة أيضاً، وكان والده قد هرب إلى اليمن وتوفي في صنعاء سنة 1629 م. وقد بقي الشريف زيد في اليمن حتى سنة 1040 هـ/ 1630 عندما استدعاه الشريف عبد الله بن حسن إلى مكة المكرمة وعينه في إمارة مكة بالاشتراك مع ابنه محمد بن عبد الله. ولما كان الشريف زيد مولوداً سنة 1016 هـ/ 1605 م فإنه كان في الرابعة والعشرين من عمره في إمارته الأولى هذه على مكة المكرمة. وكما ذكرنا سابقاً فعندما سارت قوات الشريف نامي وكور محمود على مكة وأصيب الشريف محمد بشظية إطلاقه لم يتمكن الشريف زيد من مواجهتهم ومع مقتل بعض الشرفاء وحوالي 200 من أهالي مكة انسحب الشريف زيد إلى وادي مر الظهران «Merrez-Zahran» وأعقب ذلك دخول قوات كور محمود إلى مكة المكرمة التي أعلنت كلاً من الشريف نامي والشريف عبد العزيز أمراءً على مكة المكرمة (1041 هـ/ 1632 م).

وبعد (وصوله) وادي مر الظهران أخفى كل شيء له. وثم أرسل من موقع بدر رسالة بيد سيد متوجه إلى مصر اسمه السيد علي إلى والي مصر خليل باشا شرح فيها كل شيء عن المتمردين. وبناءً على هذا أرسل والي مصر قوات عسكرية براً وبحراً وأرسل خلعة إمارة مكة إلى الشريف زيد بن محسن. لقد استقبل الشريف زيد القوات المرسلة بحراً في ميناء ينبع وبعد أن لبس خلعة الإمارة المرسلة إليه

التحق هو ومن معه من البدو بقوات مصر القادمة بقيادة قاسم بك وتوجه معهم إلى مكة المكرمة[1]. وبعد دحر العصاة وقتل أغلبهم دخل إلى مكة المكرمة (ذي الحجة 1041 هـ/ حزيران 1632 م)، ومن الجدير بالذكر أن محمل مصر كان قد أرسل مع هذه القوات بمناسبة موسم الحج. وبهذا الشكل أصبح الشريف زيد بن محسن أميراً على مكة المكرمة لوحده هذه المرة.

وبعد أداء الشريف زيد وأتباعه والقوات المرسلة من مصر فريضة الحج توجهوا إلى تربة الكائنة في وادي العباس والتي تحصن فيها المتمردين وفرضوا عليها الحصار ثم ألقوا القبض على الشريف نامي وأخيه وكور محمود وعاقبوهم[2].

---

(1) ورد في فذلكة كاتب جلبي، ج 2، ص 147، وخلاصة الكلام، ص 73 أنه «عند وصول خبر نصب الشريف نامي أميراً على مكة المكرمة أرسل والي مصر جيشاً بقيادة قاسم بك عن طريق البر وقوة بقيادة يوسف الفرنك عن طريق البحر، ونصب الشريف زيد بن محسن محل الشريف المقتول محمد وأرسل إليه الخلعة عن طريق البحر وعند وصول يوسف إلى ينبع كان في استقباله الشريف زيد مع جماعة من البدو وقد ألبس زيد الخلعة...» ويذكر المصدر الأخير أن القوات المرسلة من مصر براً كان تعدادها 3000 جندي والقوة المرسلة بحراً 500 جندي.

(2) بعد انتصار القوات المصرية عليهم لجأ كور محمود والشريف نامي مع ما يتراوح بين 300 و400 شخص من أتباعهم إلى قلعة تربة في وادي العباس. ولأجل التنكيل بهم توجه الشريف زيد والقوات المصرية إلى هذه المنطقة وحاصروا القلعة. وقد خدع الشريف نامي وأخيه بوعود منحهم ديرلكات وخرجوا من القلعة. أما كور محمود فقد خرج من القلعة وتوجه مع أتباعه نحو البصرة ولكنه أسر في الطريق من قبل البدو الذين جلبوه إلى مكة المكرمة مع بعض رجاله. وبعد التشهير به وهو على ظهر جمل (في طرقات مكة المكرمة) كسرت أيديه وأرجله وترك في المعلى. أما الشريف نامي وأخيه فقد أعدما كما ذكرنا بعد أن سجل لدى قاضي مكة المكرمة قيامهم بقتل والي جدة مصطفى باشا.
نعيما، ج 3، ص 153، وخلاصة الكلام، ص 74.

اعتباراً من القرن الثامن عشر تولى أغلب عائلة الشريف زيد إمارة مكة ومن هنا كانت تسمية «**ذوي زيد**» أما الشريف زيد نفسه فقد بقي في إمارة مكة المكرمة حتى محرم 1077 هـ/ تموز 1666 م أي لأكثر من 35 سنة وبعد وفاته حل محله ابنه الأصغر الباقي على قيد الحياة الشريف سعد في إمارة مكة المكرمة.

كان الشريف زيد في الحادية والستين من العمر عند وفاته. وقد كتب مؤلف «**خلاصة الأثر**» عنه بأنه كان إنساناً صبوراً وقوياً ذا أخلاق وشفقة وكان الأمن والاستقرار قد استتب في الحجاز في عهده.

الشريف سعد بن زيد (الشريف الأفضل) والشريف أحمد بن زيد:

إذا كان الشريف سعد بن زيد قد تولى إمارة مكة المكرمة في الأشهر الأولى بالاشتراك مع منافسه حمود بن عبد الله الذي ادعى أحقيته بإمارة مكة المكرمة فإن خلعة الإمارة أرسلت بعد ستة أشهر، في رجب 1077 هـ/ كانون الأول 1666 م، إلى الشريف سعد فقط. وقد عارض حمود هذا الأمر وأصبح مسلطاً على مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة. وقد حاول أمراء حاج الشام ومصر إصلاح ذات البين بين الشريفين ولكنهم لو يوفقوا، كما أن الشريف حمود الذي رغب لبرهة من الوقت الخروج من الحجاز مع أمير حاج الشام قد تراجع عن ذلك واستقر في ينبع واستمر في معارضته. ولما كانت الحكومة قد التزمت الشريف سعد فإن معارضة حمود كانت عبثاً[1].

---

(1) إن الشريف حمود، الذي استمر في المعارضة من ينبع، تغلب على القوات المصرية التي أرسلت ضده. وقد أدرك سوء عاقبة عمله هذا ولجأ إلى بدو شرق الحجاز، وفي سنة 1081 هـ/ 1670 م تصالح مع الشريف سعد وانسحب إلى الطائف حيث توفي فيها سنة 1085 هـ/ 1674 م.

وبعد فترة من الزمن، بالتحديد في سنة 1080 هـ/ 1669 م، عين أخ الشريف سعد وهو الشريف أحمد بن زيد أميراً على مكة المكرمة بالاشتراك معه (مع الشريف سعد)[1].

كان الشريف سعد إنساناً مفعماً بالنشاط وجريئاً وكانت جميع الأمور في يده ولم يكن أخوه أحمد إلا أميراً بالاسم فقط، ولكنه استغل حسن معاملة الدولة وتساهلها. فقد اغتصب بضائع التجار وصادر الصرة المرسلة من اسطنبول كما جلب قوة من إمام اليمن واحتل جدة، كما استغل نفوذه على البدو ونهض معارضاً (الدولة).

لقد تدهورت علاقة الشريف سعد مع حسن باشا الذي عين والياً على جدة سنة 1669 م وجاء إلى مكة المكرمة لتعمير الكعبة وتوزيع الصرة وأثناء أداء (حسن باشا) شعائر الحج في منى هجم عليه (الشريف سعد) وكانت نتيجة الصدام مقتل حسن باشا ورجاله البالغ عددهم 200 رجل.

وفيما عدا ما سبق تدهورت حالة الأمن في الحجاز تماماً نتيجة لتشتت القوات المصرية التي كانت قد أرسلت ضد الشريف حمود في ينبع.

فور وصول أخبار الحجاز إلى اسطنبول صدر الأمر بتعيين والي الشام صاري حسين باشا قائداً عسكرياً «**سردار**». وقد توجه هذا إلى مكة على رأس قوات الشام، والتحقت به قوة مرسلة من مصر تحت

---

(1) في منشآت فريدون بك ج 2، ص 6 صورة منشور الإمارة الموجه إلى الشريف سعيد والشريف أحمد ورد في المنشور بأنه عرض على السلطان جعل إمارة مكة المكرمة مشتركة بينهما وبأن السلطان وجد ذلك مناسباً ولذا أرسل لهما منشور الإمارة كما أرسل لكل منهما خلعة عبارة عن ثوب فاخر. . .

قيادة أوزبك «Ozbek». كما اصطحب معه حجاج مصر والشام.

لم يبادر حسين باشا إلى عزل أمير مكة المكرمة الشريف سعد بل جلب له خلعة الإبقاء (في منصب الإمارة). إلا أن الشريف سعد الذي أدرك العاقبة الوخيمة لأعماله لم يقابل[1] حسين باشا ولم يأت الخلعة بل أرسل مساعده (كتخداه) مع اعتذارٍ. وقد قبل حسين باشا الهدايا التي أرسلها الشريف وأعاد مساعده. وفي الحال أخذ (حسين باشا) قسماً من رجاله ونزل على حين غرة في محل إقامة الشريف وقبض على أمير مكة المكرمة وهو في بيته.

لقد تملك الخوف الشريف سعد مما حدث إلا أن حسين باشا هدأ من روعه وشرب قهوته[2]، وأوصاه بالمجيء إلى خصمه في اليوم التالي للبس الخلعة المرسلة إليه من السلطان. ولكن الشريف سعد لم يأت في اليوم التالي إلى حسين باشا ولم يكن بين مستقبليه عند دخوله إلى مكة المكرمة. حينئذٍ أوصى قادة الجيش بعزل الشريف سعد وجعل الإمارة في أخيه الشريف أحمد لوحده، إلا أن حسين باشا لم يأخذ بهذه التوصية بل أخذ الكتاب السلطاني والخلعة وذهب بمعية 80 من رجاله إلى بيت الشريف سعد وقدم له الكتاب والخلعة وأراد تهدئة مخاوفه. إلا أن الشريف سعد الذي لم يعتمد على مجاملات حسين باشا، لم يغير موقفه. وأكثر من ذلك فإنه أراد قطع مياه مكة المكرمة ليحل العطش بقوات حسين باشا. ولكن نيران أسلحة قوات

---

(1) وردت في الأصل استقبل «Karsılyarak» ويبدو من سياق الفقرة أن هناك خطأ مطبعي وأن الصحيح لم يستقبل «Karsilamiyark» (المترجم).

(2) شرب القهوة لدى الخصم هنا دلالة على تسوية الخلافات وفتح صفحة جديدة في العلاقات بينهما. وهذه العادة ما تزال قائمة حتى الآن في أنحاء متفرقة من الوطن العربي. (المترجم).

حسين باشا كانت في انتظار الشريف وأتباعه والقوات اليمنية المؤيدة له، ذلك إن حسين باشا كان قد احتاط من أمير مكة المكرمة ووضع المياه تحت حمايته لمواجهة أي احتمال.

لقد هرب الشريف سعد أخيراً من مكة المكرمة. ومع أن قادة القوة المرسلة من مصر اقترحوا على حسين باشا تعيين الشريف أحمد إلا أن حسين باشا لم يجد الاقتراح ملائماً باعتبار أن الشريف أحمد لا يختلف عن أخيه من حيث تفكيره. ولذا عزل حسين باشا الشريف أحمد الذي كان شريكاً لأخيه الشريف سعد في الإمارة ونصَّب الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي أميراً على مكة المكرمة، ثم ختم باب بيت الشريف سعد ووضع يده على ما فيه[1].

بناءً على ما سبق دخل الأمير الجديد إلى مكة المكرمة وسط موكبٍ وجلس في الحرم الشريف أسفل المنبر النبوي بثلاثة أقدام حيق قبل بيعة جميع الشرفاء والسادة العلماء والشيوخ وغيرهم وأعقب ذلك احتفالات لثلاثة أيام بلياليها (ذي الحجة 1082 هـ/ نيسان 1672 م)[2].

---

(1) ورد في سلحدار تاريخي ج 1، ص 577 وزبدة الوقائع، الورقة 10 أن الشريف سعد «الملقب بالشريف الأفضل «Yeyrek Serif» وأخيه أحمد اللذان توليا منصب شرافة مكة بصورة مشتركة كانوا سبباً لحدوث الاضطراب ولذا عزلوا وهربوا بسبب ما قاما به من أعمال. وقد عين محلهما في الإمارة من الشرفاء العظام آل حسين السيد بركات. وقد ألبس (بركات) الخلعة في حضور صاري حسين باشا...».

(2) كان (الرحالة التركي) أوليا جلبي قد جاء إلى الحجاز مع صاري حسين باشا وكان شاهد عيان لما حدث وكتب ما شهده في (ج 9 ص 678 ص ـ 721). وقد أوجزت هنا ما ذكره أوليا جلبي. وهناك معلومات أيضاً عن هذا الموضوع في «خلاصة الكلام» أيضاً (الصفحات 86 إلى 90).

بعد عزله بفترة استسلم الشريف سعد وأخيه إلى الحكومة، وقد توجه إلى اسطنبول حيث صدر العفو عما ارتكبه وخصصت له (إيرادات) لوائي ويزه Vize وقرق كليسه «Kirkkilise» بمثابة معاش «ديرلك»[1]. وبعد عزل أمير مكة المكرمة الشريف محسن بن حسين، الذي تولى الإمارة سنة 1101 هـ/ 1689 م، بسبب فشله في السيطرة على أشقياء وحماية الحجاج أصبح من الضروري تعيين شخص قوي له تأثير على البدو أميراً على مكة المكرمة. وقد استدعي الشريف سعد لهذا الغرض إلى أدرنه (كان السلطان موجوداً في أدرنه آنئذٍ) حيث منح أولاً (متصرفية) المعرة أي ألوية حمص وحماه وأرسل إلى سوريا[2]. ووجهت إمارة مكة المكرمة مؤقتاً إلى ابنه الشريف سعد.

إن الشريف سعد الذي ذهب إلى سوريا بناءً على ما سبق قد توجه إلى مكة المكرمة مع قافلة الشام سنة 1103 هـ/ 1692 م حيث أصبح أميراً عليها للمرة الثانية محل ابنه (آب 1692 م)[3].

وفي سنة 1105 هـ/ 1694 م عزل الشريف سعد بتأثير من والي مصر محمد باشا[4]. وقد أرسل فرمان خالي من الاسم إلى والي

---

(1) يكتب المؤلف هنا بصيغة المفرد بينما نفهم من الصفحات التالية أن إيرادات اللوائين خصصت للأخوين الشريف سعد والشريف أحمد. (**المترجم**).

(2) «. . . إن الراتب السنوي لأمير مكة السابق الشريف سعد كان يدفع من خزينتي [أي خزينة السلطان]. ومقابل هذا وجهت إليه متصرفية لواء المعرة مع راتبها البالغ أربعة آلاف قرش لأجل أن يذهب إليها ويضبط أمورها. .» ويوجد مع هذا توقيع السلطان محمد الرابع: (أرشيف رئاسة الوزراء ـ تصنيف جود ـ وثائق الداخلية ـ الرقم 100).

(3) سلحدار تاريخي، ج 2، وراشد تاريخي ج 2 ص 175، 559.

(4) ورد في أمر hukum تاريخه أواسط رجب 1105 هـ مرسل إلى والي الشام وأمير الحج شاهين محمد باشا (مهمة دفتري، الرقم 105، ص 2).

الشام ليعين (بمعرفته) شخصاً مناسباً من الشرفاء[1]. وقد عين الشريف عبد الله بن هاشم أميراً على مكة. إلا أن الشريف سعد عارض هذا العزل ودخل إلى مكة بمساعدة القوات التي أخذها من اليمن وبمساعدة مؤيديه، واضطر الشريف عبد الله بن هاشم إلى الهرب إلى مصر. لقد اتصل الشريف سعد بالحكومة موضحاً لها بأنه ليس متمرداً عليها وتعهد بأنه سيسهر على الصدقات (كذا). وقد اضطرت الحكومة إلى تعيينه أميراً لمكة المكرمة في ربيع الآخر 1106 هـ/ تشرين الثاني 1694 م[2]. لقد غضت الحكومة النظر عما حدث (في الحجاز) لأنها

(1) مهمة دفتري، الرقم 105، ص 3 ـ 4.

(2) إن الحادثة التي أدت إلى عزل الشريف سعد وردت في «نصرتنامة» أي الجزء الثالث من سلحدار تاريخي كالتالي:

«إن قسماً من قبيلة بني حرب التي تعيش بين ينبع والمدينة المنورة كانت مكلفة بنقل الجراية المرسلة من مصر إلى المدينة المنورة لتوزع على فقرائها. وكانت تنقل هذه الجراية بالجمال (من ينبع) إلى المدينة المنورة، كما كانت تحرس تلك المنطقة في الوقت نفسه. ومقابل هذه الخدمة خصصت لهم الدولة صرة سنوية. ولأسباب معينة انتفض هؤلاء ضد أمير مكة المكرمة. وقد أراد سعد تدبير دسيسة ليؤدبهم بها، ولم يولي الرسالة من والي مصر «ترك علي باشا» أية أهمية بل قام في أواخر رمضان 1106 هـ/ نيسان 1695 بسحق هذه القبيلة وأحرق قراهم بخيلهم ونهب الأرزاق المخصصة لفقراء المدينة المنورة من ينبع. وقد عرض شيخ حرم المدينة المنورة كل ما يتعلق بأمير مكة على الدولة. وعلى الفور تم تعيين والي الشام جلبي إسماعيل باشا أميراً للحج وجعلت ألوية (أعتقد أن المقصود بالألوية هنا القوات العسكرية ـ **المترجم**) نابلس والقدس تحت إمرته وكلف باعتقال أمير مكة وابنه وإرسالهما إلى اسطنبول. وفيما عدا هذا وضع متصرف جده ووالي ولاية حبش تحت أمرة إسماعيل باش كما أرسلت قوات من مصر براً وبحراً. ولم يتجاسر أمير مكة سعد على مقاومة قوات إسماعيل باشا بل انهزم. وبناء على ذلك فإن إسماعيل باشا. وباتفاق رأي جميع الشرفاء، جلب أمير مكة السابق عبد الله بن هاشم وألبسه خلعة الإمارة. وفي هذه الأثناء حاول الشريف سعد، من بيته المتصل بالحرم الشريف، التعرض لأمير مكة الجديد وأتباعه ولكنه لم يوفق فهرب هو وابنه من مكة إلى اليمن. =

كانت مشتبكة في حرب مع أربع دول أوروبية[1].

بقي الشريف سعد في إمارة مكة حتى نهاية سنة 1113 هـ/ أيار 1702 م. وبسبب شيخوخته قدم التماساً بتنصيب ابنه الشريف سعيد محله. ولما كان قاضي مكة مصطفى أفندي ابن شيخ الإسلام فيض الله أفندي قد رفع توصية بهذا الخصوص فقد أبلغ (الشريف سعد) بكتاب سلطاني تاريخه جمادي الآخرة 1114هـ/ تشرين الثاني 1702م بالموافقة على التماسه كما خصص له، بمثابة راتب تقاعدي مبلغ العشرين ألف قرش التي كان يقدمها متصرف جدة لإكمال الصرة[2].

لقد ساءت علاقة أمير مكة المكرمة الشريف سعيد بن سعد مع الشرفاء في سنة 1115 هـ/ 1704 م واستحفل هذا الأمر. وبعد تغلب

= وبعد سفر إسماعيل باشا بعد الحج هجم الشريف سعد على مكة وقد فشل متصرف جدة محمد باشا في صد الهجوم كما وقفت قوات مصر إلى جانب الشريف سعد. وبذلك عاد الشريف إلى الإمارة وهرب الأمير عبد الله وأمير مكة السابق أحمد بن غالب إلى ينبع. وفي هذه الأثناء تولى مصطفى الثاني السلطنة. وقد ورد في أمر أرسله إلى والي مصر أنه بسبب خروجه (أي السلطان) على رأس حملة عسكرية ولأن الشرفاء والناس أرادوا الشريف سعد لتجنيب الحجاز المصائب وأن توجيه الإمارة إليه يؤدي إلى تجنب المصائب، وبعد توصل والي الشام إسماعيل باشا ووالي مصر في اجتماعهما إلى نتيجة واحدة (كذا وربما المقصود توصلهما إلى النتيجة ذاتها ـ **المترجم**) فقد قبلت الحكومة الأمر الواقع وأرسلت منشور الإمرة إلى الشريف سعد.. (راشد تاريخي ج 2، ص 284 و304 ومهمة دفتري، الرقم 105، ص 141 سنة 1106 هـ).

(1) الإشارة هنا إلى حرب الدولة العثمانية مع النمسا وحليفاتها والتي بدأت في 1683م وانتهت بفرض معاهدة كارلوفتز المذلة على العثمانيين في 1699 ـ **المترجم**.

(2) جاء في الكتاب السلطاني «لكونكم من الداعين بخالص الجنان لأسرتنا الحاكمة فقد خصصت مبلغ العشرين ألف قرش الذي كان يخصصه متصرفو جدة قبل هذا لإكمال الصرة بمثابة معلوم «malum» (راتباً تقاعدياً ـ المترجم) لكم..» (نامة همايون دفتري، الرقم 5، ص 171).

ابن أخيه (أي ابن أخ سعد) الشريف عبد المحسن بن أحمد زيد على قوات عمه بمساعدة متصرف جدة دخل إلى مكة المكرمة في ربيع الأول 1116 هـ/ تموز 1704 م. وعلى أية حال فإن منشور مكة المكرمة وصل بعد تسعة أيام باسم الشريف عبد الكريم بن محمد.

بعد هربه من مكة المكرمة عاد الشريف سعيد إليها على رأس القوة البدوية التي جمعها والده الشريف سعد وذلك في شوال 1116 هـ/ شباط 1705 م وتغلب على قوات أمير مكة الشريف عبد الكريم، التي وقفت ضده. وأصبح (الشريف سعد) أميراً على مكة للمرة الرابعة. وقد قتل حوالي 600 شخص في القتال الذي دار بين الطرفين. وورد في أحد المصادر أن العدد كان 1200 شخص، وبأن رؤوس القتلى قد جمعت في المعلى أمام نبع السلطان مراد على هيئة تل صغير[1].

بقي الشريف سعد في إمارته الأخيرة هذه 18 يوماً فقد توفي في ذي القعدة 1116 هـ/ شباط 1705 م. وإذا كان ابنه سعيد قد انتخب (من قبل الشرفاء) ليحل محله فإن الحكومة أعطت إمارة مكة المكرمة إلى الأمير السابق عبد الكريم بن محمد ثانيةً.

إن **(الرحالة العثماني)** أوليا جلبي الذي كان قد رأى الشريف سعد بنفسه وصفه بأنه شخص متوسط الطول أسمر اللون، كريماً ذا عزم وحرص وذا نفوذ كبير على البدو. وكانت مدة إمارته الأولى ست سنوات والثانية سنتين والثالثة سبع سنوات ونصف والرابعة 18 يوماً، وبهذا فإنه تولى حوالي 16 سنة. وكان في الرابعة والستين من العمر عند وفاته. **وفي إمارته الثالثة أسندت إليه أيضاً متصرفيه الإحساء**

(1) مرآتي جزيرة العرب، ص 93.

بموجب فرمان تاريخه ذي الحجة 1109 هـ/ حزيران 1698 م[1].

الشريف أحمد بن زيد:

تولى هذا إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع أخيه سعد بن زيد سنة 1080 هـ/ 1669 م وعزل في ذي الحجة 1082 هـ/ نيسان 1672 م. وبعد عزل سعد أيضاً توجه الأخوان عبر الشام إلى أدرنة أولاً ثم إلى اسطنبول في 1086 هـ/ 1675 م. وقد خصصت إيرادات لواء قرق كليسة للشريف أحمد وإيرادات لواء ويزة للشريف سعد[2].

بعد وفاة أمير مكة المكرمة الشريف بركات عين محله ابنه الشريف سعيد بن بركات سنة 1093 هـ/ 1682 م. وقد ظهرت خلافات بينه وبين الشرفاء، وبسبب استمرار هذه الخلافات أصبح على الدولة تسويتها في أقرب وقت. ولذا فإن السلطان محمد الرابع الذي كان آنئذٍ في أدرنة استدعى الشريف أحمد وعينه أميراً على مكة المكرمة وأرسله إليها على عجل وعزل الشريف سعيد بن بركات الذي لم يكن على اتفاق مع الشرفاء[3].

توفي أمير مكة المكرمة الشريف أحمد في جمادي الأولى 1099 هـ/ آذار 1688 م. وباتفاق (آراء الشرفاء) وجد من المناسب أن يحل محله ابن أخيه الشريف سعيد بن سعد. وتم إبلاغ اسطنبول بهذا الأمر (ولحين ورود موافقتها) نصب الشريف سعيد بن سعد قائمقاماً (أي أميراً لمكة المكرمة وكالة ـ **المترجم**). وفي هذه الأثناء كان متصرف جدة محمد بك أبو الشوارب «Ebu Sevarib» قد حصل

(1) نامة همايون دفتري، الرقم 5، ص 296.
(2) انظر ما سبق في موضوع الشريف سعد بن زيد (**المترجم**).
(3) خلاصة الأثر، ج 1، ص ص 190، 196.

على بضعة آلاف قرش ذهبي من الشريف أحمد بن غالب ووزع قسماً منها على القادة العسكريين في مصر. وبقرار من هؤلاء اقترح إعطاء إمارة مكة المكرمة إلى أحمد بن غالب.

لقد افتعل أبو الشوارب حادثة لقائمقام أمير مكة المكرمة الشريف سعيد بواسطة فرمان مزور ودفعه إلى الهرب من مكة ثم عين الشريف أحمد بن غالب في إمارة مكة وكالة[1]. وبسبب توصية أبو الشوارب أرسلت براءة إمارة مكة باسم الشريف أحمد بن غالب بعد مدة من الزمن.

الشريف بركات بن محمد:

بعد عزل الشريف سعد والشريف أحمد من إمارتهما المشتركة عين الشريف بركات بن محمد أميراً لمكة المكرمة في 1083 هـ/ 1672 م من قبل صاري حسين باشا وقد عرض صاري حسين باشا الأمر على الدولة، وفي بداية سنة 1082 هـ/ نيسان 1672 م ورد منشور الإمارة.

---

(1) إن الشريف أحمد بن زيد الذي تولى شرافة مكة المكرمة قد توفي في سنة 1099 هـ وباتفاق واتحاد حمله أبناء أخوته ثم تنصيب قائمقام لحين ورود الخبر (أو ورود رأي ـ **المترجم**) من الدولة العلية... كما ورد محضر من أهل الحرمين الشريفين يتضمن رضا كل واحد منهم عنه (أي عن القائمقام الشريف سعيد ـ **المترجم**) ولكن قبل انقضاء زمن (ورود الخبر من الدولة) كان متصرف جدة محمد بك أبو شوارب الذي أخذ بضعة آلاف قرش ذهبي من أحمد بن غالب ووزع قسماً منها على أعيان مصر (أي كبر موظفي ولاية مصر ـ **المترجم**) والتمس من الدولة إسناد الإمارة إلى أحمد بن غالب. ولكن عند ورود الخبر من الدولة العلية، فإنه أبرز فرماناً مزوراً (جاء فيه أن القائمقام الشريف سعيد ـ **المترجم**) فتسبب في إحداث فتنة عظيمة وبذلك دفعه إلى الهرب إلى ولاية اليمن ثم أخذ يعمل (أي أبو الشوارب) على ترجيح الكفة لصالح أحمد بن غالب...» راشد تاريخي، ج 2، ص 178.

إن الشريف بركات، الذي كان عهده بلا مشاكل، بقي في الإمارة أكثر من عشر سنوات لحين وفاته في ربيع الآخر 1093 هـ/ نيسان 1682 م. وبعد وفاته عين ابنه الشريف سعيد بن بركات محله[1]. لقد كان الشريف بركات ذا إدارة حسنة وإنساناً مدركاً مخلصاً للدولة كريماً للشرفاء وراعياً للشرفاء وقد استتب الأمن في طريق الحج خلال إمارته.

الشريف سعيد بن بركات:

عين الشريف سعيد بن بركات أميراً لمكة محل والده. ولم يكن على وفاق مع الشرفاء وقد حدثت بينه وبينهم خلافات عديدة. وكان كل من الطرفين يكتب إلى الدولة ضد الطرف الآخر. وأخيراً عزل الشريف سعيد بن بركات الذي اتضح فشله في الإدارة وعين محله الشريف أحمد بن زيد الذي أرسل من أدرنة إلى الحجاز في شوال 1095 هـ/ تشرين الثاني 1684 م. أما الشريف سعيد بن بركات فقد خرج من مكة في ذي القعدة 1095 هـ/ أيلول 1684 م وذهب إلى مصر حيث استقر فيها وكانت مدة إمارته سنة وسبعة أشهر.

الشريف أحمد بن غالب:

بعد وفاة أمير مكة المكرمة أحمد بن زيد في إمارته الثانية وجد الشرفاء بالاتفاق، كما ذكرنا، أن ابن أخيه الشريف سعيد بن سعد هو الشخص المناسب للإمارة. ولكن باقتراح من متصرف جده الذي أخذ رشوة من الشريف أحمد بن غالب أصبح الأخير أميراً لمكة وكالة.

(1) ليس صحيحاً ما ذكره مؤلف «خلاصة الكلام» نقلاً عن كتاب «خلاصة الأثر» بأن وفاة الشريف بركات كانت سنة 1094 هـ/ 1683 م.

لقد كان الشريف أحمد بن غالب طامحاً في الإمارة كما كان شخصاً غادراً. فقد بادر فور تولية منصب الإمارة وكالة، وقبل أن يصل منشور تعيينه أميراً بالأصالة، إلى اغتصاب غلال وصرة أهالي الحرمين الشريفين كما استولى على غلال عشائر العرب المسماة «**صاحب درك**» والمكلفة بنقل الغلال من ينبع إلى المدينة المنورة وحراسة تلك الأطراف. وأكثر من ذلك فإنه مد يده، بحجة الاقتراض، إلى مجوهرات الروضة المطهرة. وبسبب هذه الأعمال تخوف من انفعال الشرفاء المتذمرين ومن الحكومة ولذا تسلل في إحدى الليالي من مكة المكرمة متوجهاً إلى اليمن. وقد بادر الشرفاء إلى تنصيب الشريف محسن بن حسين أميراً بالوكالة والتمسوا من الحكومة تعيينه أميراً بالأصالة. ولكن قبل وصول التماسهم إلى العاصمة كان منشور إمارة أحمد بن غالب الذي رشحه أبو الشوارب[1] قد أرسل. إلا أن حسين باشا زادة الذي جلب منشور إمارة الشريف أحمد بن غالب سمع بخبر (هروب الشريف أحمد) عند وصوله إلى مصر فإنه عرض الأمر على اسطنبول[2]. وبناءً على ذلك أرسلت خلعة الإمارة إلى الشريف محسن

---

(1) جناب **أمار تمآب** أيالت نصاب... الشريف أحمد بن غالب. ليكن معلوماً عند وصول كتابي الشريف السلطاني هذا بأننا فوضناكم وقلدناكم إمارة وحكومة مكة المكرمة لكونكم أشرف وأقدم إشراف السادة. كما أنعمنا عليكم بثوب خنعة سلطانية من خلعنا الفاخرة. وقد عينا المدعو سليمان زيد مجده وهو من الخاص سلاحشورية لمهمة تبليغكم بهذا. وقد أرسلنا لكم ملاطفتنا المقرونة (أي الخنعة) مع الكتاب السلطاني...» تحريراً في أوائل رمضان (نامة همايون دفتري، الرقم 5، ص 41).

(ملاحظة: يبدو من سياق الفقرة الواردة في المتن أن الرسول المدعو سليمان لم يرسل لسبب ما وإن منشور الإمارة أرسل بيد حسين باشا زادة..) **المترجم**.

(2) ورد في سلحدار تاريخي ج 2، ص 530 وراشد تاريخي ج 2 ص 179 أن الشريف أحمد بن غالب قد بادر «بحجة تجهيز حملة ضد عربان البرية (كذا) إلى -

بن حسين، مثلما التمس الشرفاء، في رجب 1101 هـ/ نيسان 1690 م. وأرسل منشور الإمارة باسمه في ذي القعدة 1101 هـ/ آب 1690 م.

إن الأمير المغتصب الشريف أحمد بن غالب قد استقر في مصر بعد عزله (من الإمارة)، ثم جاء إلى اسطنبول مع عبد الله بن هاشم في 1111 هـ/ 1700 م[1]. وعن طريق شيخ الإسلام فيض الله أفندي استقبلهم السلطان وأكرمهما بأن أنعم على كل منهما بخلعة من فرو السمور الخاصة بكبار رجال الدولة «erkan Samur Kurk» كما خصص أماكن لإقامتهم، وقد توفي (أحمد) بعد شهر واحد من ذلك. لقد كانت مدة إمارته على مكة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام. وبعد وفاته في اسطنبول دفن في أسكودار في المحل المسمى «حفرة الشريف ـ Serif Kuyusu» نسبة إليه بالقرب من تكية المساكين. أما صديقه عبد الله بن هاشم فقد (توفي في اسطنبول أيضاً) ودفن في جامع عتيق علي باشا «Atik Ali Pasa».

= اغتصاب أموال وأملاك أهالي وتجار مكة وأكثر من هذا فإنه مد يده إلى الدنانير والمجوهرات المحروسة في المدينة المنورة بحجة الاقتراض. ولما كان هذا التجاوز والفساد مدعاة لمعاقبته من قبل الدولة فإن ذلك سلب راحة وثبت الشريف أحمد بن غالب الذي فر في إحدى الليالي إلى ديار اليمن..».

(1) **أمر إلى والي مصر..**

إن السيد أحمد بن غالب أمير مكة المكرمة سابقاً والسيد عبد الله بن هاشم وأمير حاج الشام السابق السيد يحيى أدام الله شرفهم والذين ما زالوا يقيمون في مصر هم أصحاب عيال وأولاد وأنساب وأقارب كثيرين وأن الراتب «علوفة» المخصص لهم من خزينة مصر لا يكفي لنفقاتهم الضرورية. ولما بلغ مسامعي أنهم يعيشون في ضيق ويرومون المجيء إلى طرف دولتي العلية... فلأجل ترفيه حالهم ولصدور أمري بمجيئهم إلى طرف دولتي العلية فإن عليك إرسالهم إلى دار السعادة اسطنبول بواسطة سفن الدولة الموجودة هناك (في مصر)..».

مهمة دفتري رقم 111، ص 66 أوائل S (صفر!) سنة 1111 هـ..

الشريف محسن بن حسين بن زيد:

عين أميراً لمكة المكرمة سنة 1101 هـ/ 1690 بناءً على طلب الشرفاء بعد هرب الأمير أحمد بن غالب. إن حسين باشا زادة الذي جلب منشور الإمارة (أي إمارة أحمد بن غالب كما ذكر سابقاً بعد انتهاء موسم الحج قد بقي في مكة المكرمة لأجل أن يحج في السنة التالية. ومع إكماله مناسك الحج عاد بعد أن شهد صراعاً جديداً على إمارة مكة المكرمة. ذلك أن الشريف سعيد بن سعد، الذي كان الشرفاء قد نصبوه أميراً بالوكالة بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد ثم اضطره الشريف أحمد بن غالب على الهرب إلى اليمن، دخل إلى مكة مع القوات التي جمعها وأزاح الشريف محسن وتولى إمارة مكة بالقوة. وقد اضطرت الدولة إلى قبول إمارته نتيجة قيام البدو بضرب قوافل الحج وتعهده (أي الشريف سعيد) بأنه سيضمن الأمن والاستقرار وقد أرسلت الدولة منشور الإمارة إليه ومنحته رتبة الوزارة[1] في الوقت نفسه (محرم 1103 هـ/ أيلول 1691)[2].

لقد كانت إمارة الشريف محسن على مكة المكرمة سنة واحدة فقط، وقد توفي سنة 1107 هـ/ 1695 م في المدينة المنورة.

الشريف سعيد بن سعد:

هو ابن الشريف الكبير الشهير سعد بن زيد. وقد انتخب لإمارة مكة وكالة بعد وفاة عمه الشريف أحمد سنة 1100 هـ/ 1688 م. وقد أرسل كتاب إلى الحكومة بشأن تعيينه أميراً ولكن باقتراح من متصرف جدة أعطيت الإمارة إلى أحمد بن غالب وخرج سعيد من مكة

(1) المقصود برتبة الوزارة هنا الباشوية أي منحه لقب باشا (**المترجم**).

(2) سلحدار تاريخي ج 2، ص 530، راشد تاريخي، ج 2، ص 180.

المكرمة متوجهاً إلى اليمن[1]. ثم عاد ودخل إلى مكة في عهد أميرها الشريف محسن وتولى الإمارة بالقوة. وقد غضت الدولة النظر عن ذلك بسبب انشغالها في حرب مع أربع دول منذ سنين طويلة وأرسلت إلى الشريف سعيد منشور تعيينه أميراً على مكة في سنة 1691 م.

بقي الشريف سعيد في إمارته هذه حوالي سنة واحدة ثم عزل في ذي الحجة 1103 هـ/ آب 1691 م وعين محله والده الشريف سعد بن زيد أميراً للمرة الثانية. ثم أعيد تعيين الشريف سعيد أميراً على مكة المكرمة بعد استقالة والده من الإمارة في جمادي الآخرة 1114 هـ/ تشرين الثاني 1702 م. وبقي في منصب الإمارة حتى ربيع الأول 1116 هـ/ تموز 1704 م. وإذا كان متصرف جده قد ساعده في العودة إلى الإمارة وكالة (بانتظار مصادقة الدولة على إعادة تعيينه أميراً) إلا أن الدولة رفضت ذلك وعينت بدلاً منه الشريف عبد الكريم أميراً على مكة المكرمة[2].

في شوال من السنة ذاتها (شباط 1705 م) قام الشريف سعد بن زيد والد الشريف سعيد باغتصاب إمارة مكة المكرمة من عبد الكريم عنوة ثم توفي بعد ثمانية عشر يوماً وعين ابنه الشريف سعيد أميراً على مكة للمرة الثالثة في ذي الحجة من السنة ذاتها.

كانت إمارة الشريف سعيد هذه مليئة بالمشاكل بسبب الخلافات

---

(1) يخطىء مؤلف «خلاصة الكلام» حين ذكره إمارة الشريف سعيد بن سعد بالوكالة هذه على أنها إمارة بالأصالة وبأنها إمارته الأولى. إن تولي الإمارة بالأصالة يتحقق بقبول من طرف الحكومة مع إرسال منشور الإمارة.

(2) إذا كان ِ مباور يذكر أن عبد المحسن بن أحمد قد عين محل الشريف سعيد أولاً ثم جاء بعده عبد الكريم بن محمد فإن الحقيقة هي أن الأول قد أصبح قائمقام أمير مكة وأن منشور الإمارة ورد باسم عبد الكريم.

بينه وبين الشرفاء. وكانت هذه الخلافات ترجع إلى عهد والده. وكان سبب هذا الخلاف والتنافس هو مكانة وسلطة عائلة «ذوي زيد» التي ينتسب إليها الشريف سعيد ولتخوف الحكومة من هذا الخلاف فإنها أمرت أولاً بحماية أمير مكة الشريف سعيد وتقديم المساعدة له من مصر كما طلبت من شيخ الإسلام علي أفندي أن يصلح ما بين أمير مكة المكرمة والشرفاء. وعلى النقيض من هذا التقدير (للأمور من قبل الحكومة) فإن مفتيي المذاهب الأربعة أجازوا معاقبته (أي الشريف سعيد) في الفتوى التي أصدروها وأبلغوا والي مصر بالحالة[1]. وبناءً على هذا الموقف العام المناوىء للشريف سعيد اضطرت الدولة إلى عزله بعد تسعة أشهر من تعيينه. وقد أعلم بذلك في ربيع الآخر 1117 هـ/ آب 1705 بواسطة فرمان (أرسل إليه) كما أعلم بالفرمان المرسل إلى والي مصر بخصوص تعيين راتب تقاعدي له[2].

لقد عين الشريف عبد الكريم بن محمد أميراً على مكة المكرمة للمرة الثانية بدلاً من الشريف سعيد. وفي أواسط ربيع الآخر 1123 هـ/ جزيران 1711 م صدر فرمان عين بموجبه الشريف سعيد محل الشريف عبد الكريم أميراً على مكة للمرة الرابعة وقد أمر الشريف السابق بالسكن في مصر[3].

---

(1) نامة همايون دفتري، الرقم 6، جمادى الآخرة سنة 1116 هـ، راشد تاريخي، ج 3، ص 147.

(2) خصص لأمير مكة السابق الشريف سعيد راتب سنوي قدر 40 كيس أقجة تؤخذ من متصرفي جدة كما خصصت 5 أكياس أقجة، تستحصل من أعشار السفن الهندية القادمة إلى ميناء جدة، للمدعو جوهرة الذي هو من أتباعه. (نامة دفتري، الرقم 6، ص 142. فرمان تاريخه نهاية جمادى الأولى سنة 1118 هـ وص 106 ص 107).

(3) نامة همايون دفتري، الرقم 6، ص 124 ص 215.

كان الشريف سعيد مقيماً في المدينة المنورة عندما عين أميراً للمرة الرابعة. وقد باشر عمله في منصب الإمارة في أواسط ذي القعدة 1123 هـ/ كانون الأول 1711 م بواسطة فرمان جلبه نصوح باشا. بقد بقي الشريف سعيد في منصب الإمارة حتى وفاته في محرم 1129 هـ/ كانون الأول 1711 م. وكانت مدة إمارته في المرات الأربع، حوالي 10 سنوات ونصف. وكان في الرابعة والأربعين من العمر عند وفاته.

الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد:

عين هذا أميراً محل سعد بن زيد في رمضان 1105 هـ/ أيار 1694 م. وفي ذي الحجة من السنة ذاتها ألبس خلعة (الإمارة) من قبل أمير حاج الشام إسماعيل باشا وبعد فترة قصيرة من سفر قوافل الحج الشام ومصر عزل الشريف عبد الله بعد أن تغلب عليه الشريف سعد بن زيد الذي تولى إمارة مكة مجدداً (ربيع الآخر 1106 هـ/ 1696 م).

استلم الشريف عبد الله بن هاشم بعد عزله بهذه الطريقة فرماناً من السلطان العثماني تضمن تمنيات السلطان الطيبة له وبأنه حر في الإقامة في مصر أو أي مكان آخر يختاره. وقد توجه الشريف عبد الله بن هاشم بعد عزله إلى ينبع ومع أن البدو هناك شجعوه على محاربة أمير مكة الشريف سعد إلا أنه رفض ذلك. وبسبب موقفه هذا أرسل إليه كتاب آخر يتضمن امتنان السلطان وشكره[1].

وبحجة قيام الشريف سعد بن زيد بخرق الأمن بسبب شنه حملة

(1) نامة همايون دفتري، الرقم 5، ص 190.

تأديبية ضد قبيلة بني حرب، أرسلت (الدولة) قوة عسكرية ضده وبعد عزله في ذي الحجة 1106 هـ/ تموز 1695 م عين عبد الله بن هاشم أميراً على مكة للمرة الثانية إلا أنه هرب بعد احتلال مكة من قبل الشريف سعد وجاء مع الشريف أحمد بن غالب إلى اسطنبول حيث توفي فيها بوباء الطاعون سنة 1113 هـ/ 1701 م ودفن في باحة جامع عتيق علي باشا[1].

الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى:

أصبح هذا أميراً على مكة المكرمة بعد رفض (الحكومة) تعيين عبد المحسن بن أحمد بن زيد، الذي كان قد تولى الإمارة وكالة في ربيع الأول 1116 هـ/ تموز 1704 م، أميراً عليها. وفي رمضان من السنة ذاتها (كانون الثاني 1705 م) عزل من الإمارة وذهب إلى اليمن بعد دخول أمير مكة الأسبق الشريف سعد إليها. ثم عاد الشريف عبد الكريم في شوال من السنة ذاتها (شباط 1705 م) على رأس قوة إلى مكة المكرمة وأجبر الشريف سعد على الهرب وتولى الإمارة وما لبث أن عزل في نهاية السنة ذاتها. وفي رجب 1117 هـ/ أيلول 1705 م تولى الشريف عبد الكريم الإمارة للمرة الثالثة. وقد استمر صراعه مع الشريف سعد بن زيد. وبسبب سوء علاقة الشريف عبد الكريم مع أمير حاج الشام نصوح باشا رفع الأخير تقريراً (إلى الحكومة) أدى إلى عزل الشريف عبد الكريم ومنح الإمارة للشريف سعيد بن سعد في ذي القعدة 1123 هـ/ كانون الأول 1711 م. وبعد وفاة الشريف سعيد في ربيع الآخر 1129 هـ/ آذار 1717 قام عبد الكريم، الذي

---

(1) أمر إلى قائمقام وقاضي اسطنبول بخصوص وفاة الشريف عبد الله بن هاشم ومخلفاته. (مهمة دفتري، الرقم 112، ص 189).

كان موجوداً في مصر، بحملة من أجل الحصول على إمارة مكة، إلا منشور الإمارة ورد باسم الشريف عبد الله بن الشريف سعيد[1].

إن مدة إمارة الشريف عبد الكريم في المرات الثلاث هي ست سنوات وعشرة أشهر. وبعد إمارته الأخيرة بقي فترة طويلة لدى قبيلة حرب ثم ذهب إلى مصر واستقر فيها لحين وفاته بالطاعون في 1131هـ/ 1719م.

الشريف عبد الله بن سعيد:

الشريف عبد الله هو أكبر أبناء الشريف سعيد بن سعد وقد تولى إمارة مكة المكرمة في محرم 1129 هـ/ كانون الثاني 1717 م. وقد عرف هذا في بداية إمارته بالعدالة والاستقامة والاتفاق مع الشرفاء. إلا أنه سرعان ما تخلى عن هذا وساءت علاقته مع الشرفاء. وبسبب استمرار هذه الخلافات استقال أخيراً بعد سنة واحدة وثلاثة أشهر وخرج من مكة المكرمة متوجهاً إلى اليمن. وقد تم انتخاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد أميراً على مكة المكرمة وكالةً كما تم إبلاغ الحكومة بالأمر.

لقد تولى الشريف عبد الله إمارة مكة المكرمة مجدداً في ربيع الآخر 1136 هـ/ كانون الثاني 1724 م بعد عزل يحيى بن بركات من إمارته الثانية على مكة المكرمة. وقد بقي في إمارته هذه لحين وفاته في ذي القعدة 1143 هـ/ أيار 1731 م[2].

---

(1) ورد في كتاب (نصرتنامة) وهو الجزء الثالث من كتاب «سلحدار تاريخي» بأن الشريف عبد الكريم المقيم في مصر قد أصبح أميراً على مكة المكرمة بناءً على رجاء (قدمه إلى الحكومة) والي مصر أرناؤوط عبدي باشا (وقائع ربيع الآخر سنة 1129 هـ).

(2) هناك أمر يحمل تاريخ محرم 1143 هـ/ 1730 م أرسل في عهد أمير مكة -

إن شرفاء مكة المكرمة الذين دفعوا الشريف يحيى إلى الهرب اتصلوا بالشريف عبد الله وأرادوا انتخابه أميراً لمكة المكرمة. إلا أن الشريف عبد الله الذي أدرك بأنه سوف لن يستطيع تصريف الأمور والشرفاء على هذه الحالة من الغطرسة، أبلغهم بأنه لن يقبل الإمارة ما لم تمنح له من قبل الدولة. ومن هنا بادر الشرفاء إلى انتخاب الشريف المتساهل مبارك أميراً على مكة المكرمة وكالةً إلا أن الدولة لم توافق على تعيينه أميراً بالأصالة وبذلك أصبح الشريف عبد الله بن سعيد أميراً على مكة المكرمة للمرة الثانية.

الشريف علي بن سعيد:

عين هذا أميراً على مكة المكرمة محل أخيه الشريف عبد الله بموجب فرمان مؤرخ في شعبان 1130 هـ/ تموز 1718 م. إلا أن هذا التعيين لم يقابل باستحسان من قبل جميع الشرفاء. وفي تلك الآونة جاء إلى مكة المكرمة أمير حاج الشام رجب باشا ولاحظ اتفاق الشرفاء على (تنصيب) يحيى بن بركات ولذا فإنه نصب الشريف يحيى هذا أميراً على مكة المكرمة وعرض الأمر على اسطنبول كما أخرج الشريف علي من مكة المكرمة (ربيع الأول 1131 هـ/ كانون الثاني 1719 م).

لقد ورد في فرمان عزل الشريف علي من الإمارة بأن سبب عزله هو صغره وسوء أخلاقه وطمعه وقيامه بعزل شيخ قبيلة حرب التي تنقل

= المكرمة عبد الله بن سعيد بخصوص عدم إعطاء رسائل توصية بالمساعدة من قبل أمير مكة المكرمة إلى الشرفاء القادمين إلى مصر أو اسطنبول على السواء. ذلك أن بعض شرفاء مكة المكرمة القادمين إلى اسطنبول ينشرون الأقوال والإشاعات التي من شأنها إخلال النظام في الحرمين الشريفين..

(أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 1915).

الغلال من ينبع (إلى المدينة المنورة) بلا مبرر لأمر الذي أدى إلى تمرد هذه القبيلة[1].

إن مدة إمارة الشريف علي سبعة أشهر وكانت وفاته في سنة 1141 هـ/ 1729 م.

الشريف يحيى بن بركات:

هو ابن الشريف بركات بن محمد الذي تولى إمارة مكة المكرمة لأكثر من عشر سنوات (ذي الحجة 1082 هـ ـ ربيع الآخر 1093 هـ/ نيسان 1672 ـ نيسان 1682 م) وكان قد ذهب إلى الشام واستقر بها بعد انقضاء زمن إمارة أبيه وإمارة أخيه. ومع أن الدولة منحته رتبة الوزارة وعينته في 1103 هـ/ 1692 م أمير حاج لحجاج الشام إلا أنه فشل في حماية الحجاج من هجمات البدو عند العودة من الحج[2].

لقد جاء الشريف يحيى في سنة 1130 هـ/ 1718 م مع حجاج الشام وأمير الحاج رجب باشا إلى مكة المكرمة. وباتفاق الشرفاء على (تنصيبه أميراً) وترجيحهم إياه على الشريف مبارك بن أحمد عين آميراً محل الشريف علي بن سعيد في ربيع الأول سنة 1131 هـ/ كانون الثاني 1719 وألبس القفطان (أي خلعة الإمارة).

ولما كان الشريف يحيى قد بقي بعيداً عن الحجاز لمدة طويلة فقد اعتقد بأنه موالي للدولة أكثر من أسلافه. وبسبب انشغال الدولة بالمشاكل الخارجية فإنها أرسلت له فرماناً تاريخه جمادي الأولى 1132 هـ/ نيسان 1720 م ورد فيه اعتماد الدولة عليه ومنحه إمارة

(1) نامة همايون دفتري، الرقم 6، الصفحات 411، 418 و439.
(2) راشد تاريخي، ج 5، ص 180.

مكة المكرمة مدى الحياة وإدارتها بصورة مستقلة «بر وجه استقلال»[1].

بدأ الشريف يحيى بإظهار جشعه حيث استحصل الإيرادات المقررة للدولة (في الحجاز) لحسابه ووضع يده على الصرة المرسلة سنوياً إلى الشرفاء وفيما عدا ذلك كانت هناك شكاوى ضده بأنه يأخذ الأموال من التجار ولا يردها. ومن هنا كان وقوف الشرفاء ضده وانتخابهم الشريف مبارك للإمارة وخروجهم إلى خارج مكة المكرمة. وقد حاول متصرف لواء جدة إبراهيم باشا إصلاح ذات البين بين الطرفين إلا أنه فشل في ذلك. وأخيراً حدثت معركة بين أمير مكة المكرمة والشرفاء المناهضين له في وادي مهنا «Muhenma» خارج مكة المكرمة وكان الفشل فيها من نصيب الشريف يحيى. وبعد ذلك طالب الشرفاء بتعيين الشريف مبارك بن أحمد، الذي سبق لهم انتخابه، أميراً محل يحيى بن بركات. ونتيجة لعرض متصرف جدة الحالة (على الدولة) فقد عزل الشريف يحيى بن بركات وعين محله الشريف مبارك أميراً على مكة (رمضان 1133 هـ/ تموز 1720 م)[2].

---

(1) يوجد في (نامة دفتري، الرقم 6، ص 452) منشور مرسل إلى الشريف (يحيى) بخصوص منحه إمارة مكة قيد الحياة وإدارتها بصورة مستقلة لأجل تحقيق الأمن والإصلاح ما قام به بعض أسلافه من أمراء مكة المكرمة بسبب تعاميهم وتغافلهم وطمعهم وتقاعسهم في موضوع ضبط الأمور والحماية والحراسة وأن يتصدى للمظالم والبدع وكذلك ما قام به بعض الشرفاء من اغتصاب الأموال وقطع الطرق وما عليها من أنواع المفاسد التي تسببت في اختلال أمور الأمن في الحجاز.

ويذكر تاريخ راشد ضمن حوادث سنة 1132 هـ أنه وجد من المناسب إسناد الإمارة بشكل أبدي إلى الشريف يحيى بسبب التقدير والاعتبار الذي يحظى به وكونه أكثر ارتباطاً بالدولة من أسلافه. وأرسل له كتاب سلطاني ومنشور إمارة «نامة وبراءة» (ج 5، ص 194».

(2) ورد في فرمان تاريخه أواخر رمضان 1132 هـ/ آب 1720 م بخصوص الشريف =

جاء الشريف يحيى، الذي غلب على يد أعدائه، إلى المدينة المنورة ثم إلى مصر ومنها إلى اسطنبول عبر الشام. وعرض ما حدث من وجهة نظره. وقد وجد من المناسب تهيأة مكان له في أطراف أيوب ليسكن فيه[1].

لقد حاول الشريف يحيى بكل جهده إعادة مكة المكرمة لنفسه دون أن يمس الشريف مبارك الذي كان على علاقة ودية مع شرفاء مكة. وبعد أن فقد الشريف يحيى أمله في الحكومة لتحقيق هدفه هذا طلب إذناً بالسماح له بالاستقرار في الشام وقد منح هذا الإذن كما قابل السلطان لأجل توديعه.

لقد استقبل السلطان أحمد الثالث الشريف يحيى في حديقة الترسانة «Tersane bahcesi» بواسطة الصدر الأعظم الداماد إبراهيم باشا. وقد سمح السلطان للشريف يحيى بالجلوس في حضوره وأكرمه بالبخور والشربت والقهوة كما أنعم عليه بخلعة من فرو السمور. ومن ثم قدم الداماد إبراهيم باشا باسم السلطان مبلغ 2500 قرش إلى الشريف يحيى

- يحيى بن بركات بأنه فيما عدا سوء سيرته وطمعه الشديد الوخيم العاقبة واستحصال الإيرادات المقررة للدولة فإنه أخذ الأموال من التجار كما أنه لم يعطي للشرفاء المال المخصص لهم «المعلوم» من الصرة ومن هنا حدث نزاع بينه وبين الشرفاء الذين ساروا إلى خارج مكة المكرمة. ومع أن متصرف جدة الوزير إبراهيم باشا وقاضي مكة المكرمة مولانا مصطفى وسائر العلماء الكرام قد سعوا إليّ واهتموا بإبداء النصح (للشريف يحيى كما يبدوا) فإن ذلك كان عديم الفائدة حيث خرج إليهم الشريف يحيى واشتبك معهم في قتال دار في المحل المسمى «مهنا» ومع اندحار الشريف يحيى تولى الشريف مبارك بن أحمد إمارة مكة المكرمة وكالة. وقد عرض إبراهيم باشا الأمر على الدولة. وبهذا الصورة تم تعيين الشريف مبارك أميراً بالأصالة وأرسل له فرمان ومنشور إمارة.

نامة همايون دفتري، 6، ص 466، وأرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت ـ الرقم 1347، مسودة فرمان يحمل تاريخاً مماثلاً.

(1) راشد تاريخي، ج 5، ص 304.

كما قدم لأبنائه ولاثنين من أبناء أخوته ولمساعده «كتخداه» مبلغ 500 قرش لكل واحد منهم. وهذه عطية لم تمنح لأي أمير سابق من أمراء مكة المكرمة لحين مجيء الشريف يحيى إلى اسطنبول[1].

لقد عين الشريف يحيى متصرفاً للقدس في سنة 1133 هـ/ 1721 م. ومع حصوله على حظوة لدى والي الشام بسبب ما عمله هناك ضمن لنفسه منشور إمارة مكة المكرمة وأصبح أميراً عليها للمرة الثانية محل الشريف مبارك في 1134 هـ/ 1732 م.

وبسبب تجربته السابقة مع الشرفاء أخذ الشريف يحيى يتحرك هذه المرة بحذر وبناءً على اقتراح من أمير الحاج ووالي الشام علي باشا، الذي تولى في الوقت نفسه ولاية الرقة «Rakka» وكلف بإصلاح أمور الحجاز، صدر فرمان يقضي بإقامة الشرفاء المعزولين من إمارة مكة المكرمة في مصر أو اسطنبول مع تخصيص راتب معين لهم لأن وجودهم في مكة المكرمة يسبب المشاكل. وقد أرسلت نسخة من هذا الفرمان الذي يحمل تاريخ رجب 1134 هـ/ نيسان 1723 م إلى أمير مكة المكرمة الشريف يحيى[2] والي الأمراء السابقين أيضاً[3].

---

(1) المصدر نفسه، 304 أيضاً.

(2) مما ورد في الفرمان «لقد أمرت بأن المشار إليهم المعزولين من إمارة مكة المكرمة الشريف مبارك بن شريف أحمد والشريف علي بن الشريف سعيد والشريف عبد الله بن الشريف سعيد زيد يجب أن يرسلوا إلى مصر أو إلى اسطنبول حسب رغبتهم وأن يخصص نصف محصول كمرك جدة للذين كانوا قد تولوا إمارة مكة المكرمة وأن يدفع نصف المحصول الباقي وسائر الإيرادات لأمراء مكة وتخصيص النصف الآخر بمثابة «معلوم» لبقية الشرفاء وتوزيعه بينهم بالحق والعدل وحسب استحقاق كل منهم.
(نامة همايون دفتري، 7، ص 54).

(3) مما ورد في الكتاب السلطاني المرسل إلى الأمراء السابقين:
«... منذ عدة سنوات والخلافات والانشقاقات قائمة بين شرفاء مكة المكرمة =

لم يتخلَ الشريف يحيى عن مسلكه الذي كان سبباً لعزله من إمارته الأولى، فقد عاد إلى أخذ الأموال من التجار وعدم إعادتها وأساء إلى سمعة وهيبة المنصب الذي يتولاه كما استمر على خلافه مع الشرفاء كما في السابق. ومع وصول خبر قيام الشرفاء بالهجوم عليه وهربه من مكة المكرمة إلى الشام عزل من منصبه في أوائل ربيع الآخر 1136 هـ/ كانون الثاني 1724 م. وعين محله أمير مكة المكرمة السابق الشريف عبد الله بن الشريف سعيد أميراً على مكة المكرمة للمرة الثانية[1].

جاء الشريف يحيى بعد عزله هذه المرة إلى الشام وكانت وفاته فيها أواخر جمادي الآخر 1138 هـ/ آذار 1725 م. وإذا كان الذين قابلوه قد وصفوه بأنه رجل صالح حسن الأخلاق فإن هذا لا يتفق ما ما يرد في الوثائق[2]. لقد استمرت إمارته الأولى سنة وتسعة أشهر

- بحجة المعلوم (صرة الشرفاء) وقد عانى التجار والزوار والساكنين (في مكة) الكثير من ذلك ولأجل تجنب هذا الخلاف والشقاق والاضطراب بين الشرفاء وتنظيم أمور الحرمين الشريفين وجدة والطائف والأنحاء الأخرى من البلاد الحجازية. ولذا لا يجوز إقامة جنابكم المعزولين من الإمارة في تلك الأنحاء (أي مكة المكرمة وبقية أنحاء الحجاز) في هذه الأيام. وقد كلفنا والي الرقة والشام وأمير الحج وزيرنا علي باشا بتنفيذ أمري الشريف هذا. ولما كان توسيع أرزاقكم وترفيه أحوالكم موضع اعتبار من قبل دولتنا العلية فقد أوصينا ونبهنا الوزير المشار إليه بأمرنا هذا بإرسالكم إلى مصر أو اسطنبول حسب رغبتكم..» (نامة همايون دفتري، الرقم 70).

(1) ورد في (نامة دفتري، الرقم 7، ص 69) أن أمير مكة المكرمة الشريف يحيى قد عزل في أوائل ربيع الآخر 1136 هـ بسبب أخذه الإيراد المقرر (للدولة) وأخذه أموالاً كثيرة من التجار بحجة الاقتراض إضافة إلى استيلائه على مبلغ الـ 25000 قرش التي أرسلت إلى مكة المكرمة لصرفها على نظام المدينة كما أنه لم يوزع صرة الشرفاء بشكل كامل.

(2) راشد ذيلي جلبي زادة، ص 361 سنة 1138 هـ.

والثانية سنتين. وإذا كان زامباور يذكر في كتابه بأن الشريف بركات بن يحيى قد عين أميراً على مكة المكرمة في ذي الحجة 135 هـ/ 1722 م **بعد فرار والده الشريف يحيى إلى الشام فإن هذا غير صحيح بل كان الأمر كالتالي:**

«بسبب كثرة الشرفاء في مكة المكرمة وعدم قناعتهم بـ«المعلوم» (أي مخصصاتهم المالية) الذي يعطى لهم حاول الشريف يحيى إغلاق أفواه هؤلاء الشرفاء ولذا فإنه أخذ الأموال من التجار ووضع يده على الأموال المرسلة مع متصرف جدة لصرفها على الكعبة أيضاً وقد اشمئز الشريف يحيى من شكواهم المستمرة واتصل بوالي الشام وأمير الحج عثمان باشا والتمس منه إعطاء الإمارة لابنه الشريف بركات وإعطائه (أي الشريف يحيى) مشيخة الحرم. وقد قام الوالي المذكور بعرض الأمر على اسطنبول وقبل ورود الموافقة من اسطنبول ولى الشريف يحيى ابنه مقاليد أمور الإمارة ولكن مع رحيل (أو عزل) والي الشام وأمير الحاج عثمان باشا برزت مسألة من يتولى إمارة مكة المكرمة. وأن (قسماً) من الشرفاء ساروا إلى مكة المكرمة ومعهم مرشحهم لإمارة مكة المكرمة الشريف مبارك. وقد أدرك الشريف يحيى وابنه بركات أن هؤلاء قد جاؤوا ضدهم. وقد خرج متصرف جدة إسماعيل باشا وبركات بن يحيى ضد هذه الجماعة المناهضة وتمكنوا من تشتيتهم. وفي الوقت نفسه كان الشريف يحيى قد هرب خوفاً إلى الشام ولذا لم يبق ابنه في مكة المكرمة بل اضطر إلى الذهاب إلى حيث والده[1]».

---

(1) نامة همايون دفتري. الرقم 7 ص 249 وكذلك (أرشيف رئاسة الوزراء. وثائق الداخلية. تصنيف جودت، الرقم 9691) وأثناء وجود الشريف يحيى في الشام صدر أمر بنقله إلى رودس وإقامته هناك بسبب إثارته المشاكل. إلا أن الشريف =

يتضح مما سبق أن ما ورد في كتاب زامباور عن الشريف بركات بن يحيى بوصفه أميراً على مكة المكرمة جاء من اقتراح والي الشام عثمان باشا (بتعيين بركات أميراً على مكة) في حين أنه لم يصبح أميراً عليها فعلاً.

الشريف مبارك بن أحمد:

تولى هذا أولاً إمارة مكة وكالةً بعد هرب الشريف يحيى بن بركات من إمارته الأولى. وفي رمضان 1133 هـ/ تموز 1720 م عين أميراً بالأصالة. وقد بقي في هذا المنصب مدة سنتين لغاية ذي الحجة 1134 هـ/ أيلول 1722 م. وبعد عزله تولى الشريف يحيى إمارة مكة المكرمة للمرة الثانية. وإذا كان زامباور قد ذكر كتاب بأن الشريف مبارك قد تولى الإمارة ثانية مدة خمسة أشهر (محرم ـ جمادي الأولى 1136 هـ/ أيلول 1723 ـ شباط 1724) فإن هذا قد جاء من انتخابه أميراً بالوكالة من قبل الشرفاء بعد هرب الشريف يحيى إلى الشام.

لقد اتفق الشرفاء على تنصيب الشريف عبد الله أميراً بعد هرب يحيى وابنه بركات إلى الشام. ولكن عندما أوضح عبد الله أنه لن يقبل المنصب ما لم يوجه إليه من قبل الدولة انتخب الشرفاء الشريف مبارك بن أحمد أميراً لمكة المكرمة وكالةً إلا أن الدولة لم توافق على تعيين مبارك بل عينت الشريف عبد الله بن سعيد أميراً على مكة للمرة الثانية.

لقد تولى الشريف مبارك بن أحمد إمارة مكة لمدة سنتين فقط

- يحيى ومعيته لم يذهبوا إلى طرابلس الشام (للإبحار منها إلى رودس) بل توجهوا إلى حماه خلافاً للأمر. ولذلك أرسلت أوامر إلى (ولاة) المنطقة بشأن اعتقاله. (مهمة دفتري، الرقم 132، ص 56).

كانت علاقاته طيبة مع الشرفاء خلالها. أن تدخل شرفاء مكة في شؤون أمراء مكة المكرمة قد استمر حتى إمارة الشريف عبد الله الثانية، ولم يتدخل أحد في شؤون الشريف عبد الله الذي حصر الإدارة في يده.

الشريف محمد بن عبد الله:

بعد وفاة والده الشريف عبد الله بن سعيد تولى الشريف محمد إمارة مكة المكرمة في محرم 1144 هـ/ تموز 1731 م باتفاق الشرفاء والأعيان وبناءً على الاقتراح الذي رفعه والي الشام وأمير الحاج عبد الله باشا في أواخر 1143 هـ/ حزيران 1731 م[1].

كان الشريف محمد عديم الخبرة وبتشجيع من مقربيه اتخذ إجراءات غير مدروسة وقد ساءت علاقته مع الشرفاء. وبسبب ذلك فإن الوزير أبو بكر باشا الذي كان يتولى متصرفية جدة ومشيخة الحرم المكي، إضافة إلى ولاية حبش، قام بعزل الشريف محمد من منصبه بقرار من قاضي مكة والشرفاء والسادة وقادة بلوكات مصر السبعة المكلفة بحماية الكعبة. ووجد من المناسب تعيين الشريف مسعود بن سعيد[2]، وهو عم الأمير المعزول، أميراً على مكة المكرمة وعرض الأمر على اسطنبول. وقد جاءت الموافقة بتعيين الأمير الجديد وأرسلت له الخلعة ومنشور الإمارة (شعبان 1145 هـ/ كانون الثاني 1733 م)[3]. وإلى جانب هذا فإن الحكومة، التي أخذت بنظر

---

(1) نامة دفتري، الرقم 7، ص 249 و(أرشيف رئاسة الوزراء - وثائق الداخلية - تصنيف جودت - الوثائق 9691 - 1144).

(2) وردت في الأصل سعد بن سعيد نتيجة لخطأ مطبعي كما يبدو.

(3) نامة دفتري، الرقم 7، ص 290.

الاعتبار انقسام أهل مكة المكرمة بخصوص الشرفاء، أرسلت مع منشور إمارة الشريف مسعود منشوراً آخر، على سبيل الاحتياط، إلى الشريف محمد. وبهذه الصورة بقي الشريف محمد بن عبد الله في الإمارة، وكان منشور الإمارة الذي أرسل إليه يحمل تاريخ ذي القعدة 1145 هـ/ نيسان 1733 م[1].

لقد عزل الشريف محمد في رمضان 1146 هـ/ شباط 1734 م وعين محله مرة أخرى عمه الشريف مسعود وقد أرسل إليه في ذي الحجة من السنة ذاتها كتاب سلطاني «**نامة همايوني**» (المقصود هنا منشور الإمارة ـ **المترجم**)[2].

كانت إمارة الشريف محمد سنة واحدة وخمسة أشهر في المرة الأولى وسنة واحدة وثمانية أشهر في المرة الثانية. وبوساطة من الشرفاء تصالح مع عمه الشريف مسعود في سنة 1151 هـ/ 1738 م وأمضى بقية عمره في عيشة هادئة لحين وفاته في 1169 هـ/ 1756 م وهو عائد إلى مكة المكرمة بعد زيارة الروضة المطهرة. وكان في الثانية والأربعين من العمر عند وفاته.

الشريف مسعود بن سعيد:

نصب الشريف مسعود بن سعيد بن زيد أميراً على مكة المكرمة أول مرة في سنة 1145 هـ/ 1733 م محل ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد[3]، إلا أنه أجبر على ترك الإمارة لابن أخيه محمد بن عبد الله مجدداً بعد ثلاثة أشهر فقط. وفي ذي الحجة 1146

(1) نامة دفتري، 7، ص 392 ص 304.

(2) نامة دفتري، الرقم 7، ص 371.

(3) وردت في الأصل الشريف عبد الله والصحيح محمد بن عبد الله (**المترجم**).

هـ/ أيار 1734 م تولى الشريف مسعود إمارة مكة مرة ثانية وبقي في منصبه هذا لأكثر من 18 سنة لحين وفاته.

وبسبب حاجة الشريف إلى بعض المصاريف اللازمة لأمور الحجاز وإيفاء ديونه الخاصة فقد منح مبلغ 20,000 قرش بواسطة والي الشام وأمير الحج الوزير سليمان باشا[1]، وقد صدر من السلطان أمر أيضاً إرسال الهدايا التي كان أمراء مكة المكرمة يرسلونها إلى السلطان والوزراء وبعض رجال الدولة الآخرين. وقد أبلغ الشريف مسعود بهذا الأمر بواسطة فرمان تاريخه 1148هـ/ 1735م[2].

لقد أرسل الشريف مسعود عريضة إلى الحكومة في 1162 هـ/ 1749 م **أشار فيها إلى وجود شخص من أهالي العيينة، وهي إحدى قرى نجد، يدعى محمد بن عبد الوهاب يصدر اجتهادات**. وقد ردت الحكومة على عريضة الشريف بكتاب جوابي في سنة 1163 هـ طلبت منه فيه إقناع هذا الشخص[3]. وأمرت والي ولاية حبش ومتصرف جدة وشيخ الحرم المكي عثمان باشا بأن يعمل بنشاط مع أمير مكة المكرمة بهذا الخصوص[4].

(1) نامة دفتري، الرقم 140، ص 336 سنة 1147 هـ.

(2) صبحي تاريخي، الورقة، 67 ب.

(3) يذكر المؤلف هنا وجهة نظر الحكومة العثمانية بشأن محمد بن عبد الوهاب حيث اتهمته بغير وجه حق، بإصدار اجتهادات مخالفة للمذاهب الأربعة وتضليل الناس. وواقع الحال أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا للعودة إلى الإسلام الصحيح كما كان عليه في أيامه الأولى وتنقيته مما علق به من بدع وممارسات لا علاقة لها به.

(4) أمر إلى أمير مكة المكرمة حالياً الشريف مسعود دام سعده.

توفي الشريف مسعود بن سعيد في يوم الجمعة 2 ربيع الآخر 1165 هـ/ 18 شباط 1752 م. وقد ورد خبر وفاته إلى اسطنبول بعد شهر ونصف. واستناداً إلى موافقة شيخ الحرم المكي ومتصرف جدة الصدر الأعظم الأسبق محمد باشا وقاضي مكة المكرمة والشرفاء وإخوانه رشح أخيه مساعدين سعيد للإمارة. وقد قبلت الحكومة هذا الترشيح وصادقت عليه.

الشريف مساعد بن سعيد:

رشح هذا للإمارة بقرار الأغلبية وقد صادقت الحكومة على تعيينه أميراً وأرسلت له فرماناً بهذا الخصوص في جمادي الآخرة 1165 هـ/ نيسان 1753 م[1]. وقد انتفض ضده ابن أخيه أمير مكة

- .. لقد ظهر شخص سيء المذهب «bed mezheb» في العيينة وهي إحدى قرى نجد في جهة الشرق وقام بإصدار اجتهادات باطلة ومخالفة للمذاهب الأربعة ونشر الظلالة والترغيب بها. وبناء على إعلامكم إيانا واقتراحكم السابق فإن عليكم المبادرة إلى زجر وتهديد المفسد المذكور وأتباعه بمقتضى الشرع المطهر وإمالتهم إلى طريق الصواب أما إذا أصروا على معلنتهم فإن عليكم إقامة وتنفيذ الحدود الإلهية الواجبة شرعاً وقد أصدرت إليكم يا شريف مكة المشار إليه أمري هذا خطاباً. ولما كنتم قد أبلغتم الدولة العلية في كتبكم الواردة إلى دار السعادة (اسطنبول) بحاجتكم إلى الإمدادات والمعونات بسبب تمكن الملحد من كسب سكان تلك المناطق إلى جانبه بكل الحيل بحيث لم يعد ممكناً التقرب من تلك الأطراف فإن التقاعس بخصوص هذا الشخص المذكور (محمد بن عبد الوهاب) سيؤدي إلى ظهور حاجة إلى قوات أكثر عدداً لمحاربة الشخص المذكور.

لقد صدر أمر السلطاني بخصوص سيركم ضد الشخص المذكور واستئصاله. وأن إيذائهم بسيف الشريعة وتطهير الأراضي المقدسة (منهم) يعتبر عقوبة «سياست» لهم وواجباً يفرضه الدين. ولأجل تسديد مصاريف رواتب ومؤن العساكر الذين ستقومون بتسجيلهم لهذه المهمة فقد أنعمت عليكم بمبلغ 25 كيس رومي من الأقجات من إرسالية مصر لسنة 1163 هـ... (أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية تصنيف جودت ـ الرقم 6716 أواسط شوال 1164 هـ).

(1) ورد في «تاريخ عزّي» ورقة 27 خلاصة الفرمان المرسل إلى الشريف مساعد في =

المكرمة الأسبق محمد بن عبد الله الذي احتل الطائف وهجم على مكة المكرمة مرتين بهدف احتلالها إلا أن الشريف مساعد تغلب عليه فيهما. وقد تصالح الطرفان فيما بعد وخصص (للشريف محمد) راتب كافٍ له[1]. وكان الشريف مساعد قد أبلغ الحكومة بكل ما حدث. وقد كتبت الحكومة إلى كل من والي الشام ومتصرف جدة بخصوص تقديم المساعدة لأمير مكة المكرمة عند الحاجة[2].

بقي الشريف مساعد في إمارته الأولى هذه حتى نهاية 1172 هـ/ آب 1759 م. وقد عزل مساعد بسبب توتر علاقته ببعض التجار الذين بادروا إلى تقديم أموالٍ إلى أمير حج مصر المدعو كشكش

- جمادى الآخرة 1165 هـ/ نيسان 1752 بخصوص قبول تعيينه أميراً على مكة المكرمة بالشكل التالي:

... إن أخيكم الشريف مسعود بن سعيد الذي كان منذ فترة أميراً على مكة المكرمة قد توفي رحمه الله تعالى في 2 ربيع الآخر من هذه السنة المباركة. ولما كان نصب أحد الشرفاء على مسند الإمارة من الأمور الواجبة فإن والي جدة وزيري الصدر الأعظم الأسبق محمد باشا وقاضي مكة وجميع السادات والشرفاء والقبائل وأهالي مكة المكرمة قد تشاورو واختاروكم من بين الجميع وبرضى أخوتكم. وأن تنصيبكم أميراً على مكة قد عرض من طرفكم كما ورد أيضاً ضمن المحضر الذي رفعه أهالي البلدتين المحترمتين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وقد عرض هذا الأمر على جنابنا السلطاني بواسطة وزيري الأعظم الحالي محمد أمين باشا. وبموجب هذا أرسل منشور الإمارة.

(نامة دفتري، الرقم 8، ص 196).

(1) خلاصة الكلام، ص 196.

(2) جاء في الرسالة التي وردت من طرف أمير مكة الشريف مساعد وقوف محمد بن الشريف عبد الله الساكن في مكة المكرمة ضده بتحريض من البعض وزيادة جسارة بعض الشرفاء الذين التحقوا به وهجومه مرتين على مكة مع قوات البدو التي جمعها من أطراف الطائف واندحاره في كلا الهجومين. وورد في الرسالة ذاتها ذكر ندم الشريف محمد بن عبد الله على فعلته وعودته (إلى مكة المكرمة) مع الشرفاء الذين كانوا قد التحقوا به. (تاريخ عزّي، ص 385).

حسين باشا وتحريكه ضد مساعد. **وكانت حادثة عزله بالشكل التالي:**

«أراد كشكش حسين باشا، المدفوع من قبل التجار ضد الشريف مساعد، عزل الشريف مساعد بحجة ما فور وصوله إلى مكة المكرمة. إلا أن مساعد قاومه ورفض العزل. وبسبب ذلك وقعت مصادمة بين الجانبين هزمت فيها قوات مصر التي لم تتقبل هذه الهزيمة وأوضحت بأن الحجاج المصريين لن يتوجهوا إلى مكة المكرمة في حالة بقاء الشريف مساعد في منصبه. ولذا فإن فرمان عزل الشريف مساعد وتعيين أخيه جعفر محله قد أرسل مع والي الشام وأمير الحج جتجي عبد الله باشا[1].

جاء عبد الله باشا إلى مكة المكرمة وأراد تجنب حدوث مشكلة فيها ولذا فإنه بادر كالمعتاد إلى دعوة أمير مكة بحجة قراءة فرمان إبقاء الشريف (مساعد) في منصبه. وعندما اجتمع الجميع قرىء فرمان عزل مساعد وتعيين أخيه جعفر محله. وقد فوجىء الشريف مساعد بالأمر ولم يكن بمقدوره المعارضة فاضطر إلى قبول العزل»[2].

وكان للشريف مساعد نفوذ قوي لدى البدو، ومع أنه قبل قرار عزله وانسحب إلى موقع أم عابدة «Umm-i abide» على مسيرة ساعة

(1) ورد في الفرمان الخاص بعزل الشريف مساعد ما يلي:

«...لما وصل إلى مسامعنا اختلال أمن ونظام ذلك القطر المبارك (أي الحجز) بسبب سوء سلوك أمير مكة السابق الشريف مساعد وأفعاله الرديئة، وكذلك زوال أمن وراحة الشرفاء الكرام وسائر المجاورين والتجار والساكنين (في مكة) وشعورهم بالأذى والأسى منه. فإن الشريف المشار إليه عزل من مسند الإمارة. وطبقاً لتوصية والي الشام وأمير الحج عبد الله باشا عين أخيه الشريف جعفر بن سعيد أميراً على مكة المكرمة وأرسلت إليه الخلعة ومنشور الإمارة.. أواخر رمضان سنة 1172 هـ» (نامة دفتري، الرقم 8، ص 410).

(2) واصف تاريخي، ج 1، ص 167 (طبعة اسطنبول ـ 1219 هـ).

من مكة المكرمة إلا أنه لم يتحمل في قراره نفسه عزله بهذا الشكل. وكخطوة أولى لاستعادة الإمارة طلب إذناً بالسماح له بالعودة إلى مكة والسكن فيها وقد تم له ذلك بموافقة متصرف جدة سعد الدين باشا وبعض الشخصيات المتنفذة الأخرى.

كان مؤيدو الشريف مساعد من ذوي الخبرة والتجربة في حين كان الرجال المحيطين بالشريف جعفر يفتقرون إليها. وعند سماع الشريف مساعد نبأ عودة قافلة الحج وعبور جتجي عبد الله باشا المدينة المنورة أدرك أنه لم تعد هناك قوة تهدده فاتصل بأخيه الشريف جعفر طالباً منه التنازل عن الإمارة له. ولما كان جعفر يفتقر إلى القوة التي يمكن بواسطتها مواجهة أخيه فإنه وافق على طلب أخيه مساعد وتنازل له عن الإمارة[1].

بعد توليه الإمارة بهذه الصورة رفع مساعد عريضة (إلى الحكومة) اشتكى فيها من جتجي عبد الله باشا[2]، وذكر فيهاأيضاً بأن ما قيل ضده لا أساس له من الصحة بل أن مبعث ذلك هو جشع وفساد أمير حاج مصر. كما ذكر أن أخيه تنازل له عن إمارة مكة وبأنه (أي مساعد) مطيع للدولة إلا أنه لا يأمن جانب والي الشام عبد الله باشا وقد أرفق بالعريضة محاضر مفتيي المذاهب الأربعة وأرسلها سراً

(1) واصف تاريخي، ج 1، ص 175.

(2) كان جتجي عبد الله باشا وزيراً ذا مكانة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وقد عرف عنه رجاحته وكماله وعدالة إدارته ونجاحه. وأثناء توليه ولاية الشام وإمارة الحج شن حملة تأديبية ضد بدو بني حرب المتسلطين على الحجاج وكان نجاحه في ذلك موضع تقدير وكان ذو خط جميل وقد ترك في الولايات التي تولاها لوحات تتضمن نماذج من خطه الجميل وختمه. وله مؤلف بعنوان «أنهار الجنان من ينابيع آيات القرآن». وقد توفي في قصبة جرمك «Cermık» سنة 1174 هـ/ 1760 م أثناء ولايته الخامسة على ديار بكر.

إلى اسطنبول عن طريق بغداد لكي لا تقع بيد عبد الله باشا.

ومع وصول العريضة والمحاضر وبسبب أهميتها أيضاً اجتمع السلطان مصطفى الثالث مرتين في غرفة أرسلان خانة «Arslan hane» في السراي مع هيئة ترأسها بنفسه وضمت في عضويتها كلاً من الصدر الأعظم وشيخ الإسلام والنيشانجي وقضاة عسكر (الأناضول والرومللي) ونقيب الأشراف وآغا الإنكشارية ورئيس حرس السلطان الخاص «سكبان باشي ـ Sekban basi». ومنعاً لظهور غائلة أخرى وقبولاً للأمر الواقع أعطي الحق للشريف مساعد ونقل والي الشام عبد الله باشا إلى منصب والي حلب ومن ثم إلى والي ديار بكر. وتقديراً لخدمات عبد الله باشا فقد جرى إبلاغه بأن هذا التغيير قد فرضته الضرورة[1].

استناداً إلى القرار السابق عين الشريف مساعد أميراً على مكة

---

(1) ورد في الفرمان المرسل بهذا الشأن إلى والي حلب جتجي عبد الله باش الذي كان والي الشام سابقاً:

«. . . لم يبدر منك أي تقصير في شؤون الحج وأنني على علم بمساعيك الحسنة في إعادة الحجاج المسلمين [وطبيعي] إن هذا لا يقتضي نقلك إلى منصب آخر. ولكن وردتنا رسائل بأن أمير مكة المكرمة الشريف جعفر قد تخلى طوعاً عن الإمارة وأن الأمير السابق الشريف مساعد دام سعده قد تولى الإمارة بـاختيار الجميع. وفي أعقاب هذا وردتنا من الشريف المشار إليه رسائل عن طريق بغداد جاء فيها نفوره منك بسبب عزلك إياه وبأنه لم يعد يأمنك ويثق فيك. ومن هنا فإذا كان من اللازم ذهابك مع الحجاج هذه السنة فإن هذا قد يؤدي إلى ظهور خلاف أو انشقاق في مكة المكرمة يستغله البدو عن سوء قصد للأضرار بالحجاج في ذهابهم وإيابهم. ولذا فإنه طلب في الرسائل إسناد إمارة الحج إلى شخص آخر. ولما كان ضرورياً فإنني، وباتفاق الآراء في مجلس الشورى المنعقد للمرة الثانية في حضوري، فوضت ولاية الشام وإمارة الحاج إلى والي طرابلس السابق جليك محمد بش «Celik.M.Pasa» (أرشيف رئسة الوزراء ـ وثائق الداخلية، تصنيف جودت ـ الرقم 581).

المكرمة للمرة الثانية في جمادي الأولى سنة 1173 هـ/ كانون الثاني 1760 م وأرسلت إليه الخلعة ومنشور الإمارة[1].

أصاب الغرور الشريف مساعد وبدأ يتجاوز صلاحياته ويتدخل في شؤون متصرفي جدة. ولعدم وجود من يعارضه في تلك الأطراف ولأن الدولة غضت النظر عنه بسبب موقعها المتردي، وبصورة خاصة بعد الحرب مع روسيا، فإن مساعد استمر على هذه الحال وأوصل الأمر إلى حد العصيان.

في سنة 1182 هـ/ 1768 م جاء الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات المقيم في مصر، وهو من ذوي بركات وذوي زيد أي الأسرة التي ينتسب إليها مساعد، مع قافلة حج مصر بهدف أخذ إمارة مكة المكرمة. إلا أن الشريف عبد الله خسر المعركة التي وقعت بينه وبين الشريف مساعد وهرب عائداً إلى مصر.

توفي الشريف مساعد في 27 محرم 1184 هـ/ أيار 1770 م. ومع أنه أوصى قبل وفاته بأن يحل أخيه عبد الله بن سعيد محله فإن هذا لم يحصل لأن إمارة مكة المكرمة أعطيت إلى أخيه الآخر أحمد

---

(1) «. . . أنت الذي هو الشريف المشار إليه في تقارير بعض موثوقي الكلام من خدم دولتي العلية العائدين من الحج. لقد أصبح معلوماً لدي اختلال نظام تلك الأطراف (أي الحجاز عموماً) بسبب سلوككم غير اللائق. واستناداً لذلك أصبح من الضروري عزلكم من الإمارة (سابقاً). أما الآن فقد وردتني العريضة التي أرسلتموها عن طريق بغداد والتي ترجون وتستعطفون فيها ارتقاء مسند الشرافة وتوجيه إمارة مكة المكرمة إليكم كما في السابق. وبناء على التماس وطلب الجميع فقد عينتك مكرراً أميراً على مكة المكرمة وأرسلت (إليك) الخلعة ومنشور الإمارة مع والي الشام وأمير الحاج جليك محمد باشا. . . نهاية جمدي الأول سنة 1173 هـ.

(نامة همايون دفتري، الرقم 8، ص 419).

بن سعيد الذي رفع بحقه (إلى الحكومة) محضراً تضمن رجاءً بتعيينه[1].

كانت إمارة الشريف مساعد 19 سنة وثلاثة أشهر. وكان يوقع الكتب التي يرسلها إلى الدولة بعبارة «**الداعي إلى دولتكم العلية مساعد بن سعيد**».

الشريف جعفر بن سعيد:

انتخب هذا لإمارة مكة المكرمة من قبل والي الشام وأمير الحاج جتجي عبد الله باشا في سنة 1172 هـ/ 1759 م بعد عزل الشريف مساعد من إمارته الأولى. وإذا كان منشور إمارته قد أرسل في محرم 1173 هـ فإنه كان قد أجبر على التخلي عن منصبه للشريف مساعد قبل استلام المنشور. وقد أمضى الشريف جعفر بقية حياته في بيع وشراء البساتين والحدائق «**باغ وباغجة**» في الطائف. وكانت وفاته في 1178 هـ/ 1763 م.

الشريف أحمد بن سعيد:

بعد وفاة الشريف مساعد رفض الشريف أحمد بن سعيد قبول وصيته بتعيين أخيه عبد الله بن سعيد أميراً. وقد تم انتخاب أحمد للإمارة من قبل بقية أخوته كما تم إبلاغ اسطنبول بهذا الأمر. وقبل ورود منشور الإمارة والخلعة برز له منافس هو الشريف عبد الله بن حسين آل بركات المقيم في مصر.

---

(1) واصف تاريخي، ج 2، ص 110. إن مساعد الذي أوصى بترشيح أخيه عبد الله بن سعيد أميراً على مكة المكرمة بعد وفاته أخذ له البيعة من الشرفاء أيضاً في الوقت نفسه. إلا أن أخيه الآخر الشريف أحمد لم يعترف بذلك بل فرض انتخاب نفسه أميراً على مكة المكرمة وحصل على الخلعة ومنشور الإمارة.

إن علي بك بلوط قابان، الذي استغل هزائم الحرب العثمانية ـ الروسية التي بدأت سنة 1182 هـ/ 1768 م وأعلن التمرد في مصر ضد الدولة، عزل الشريف أحمد المنتخب للإمارة مستخدماً في ذلك فرماناً مزوراً وعين محله عبد الله بن حسين في ربيع الأول 1184 هـ/ حزيران 1770 م بدعم من قوات لواء جدة التي كانت بقيادة محمد بك أبو الذهب[1]، وأجبر الشريف أحمد على الهرب.

بقي الشريف عبد الله بن حسين، الذي تولى الإمارة بفرمان مزور، مدة ثلاثة أشهر فقط في منصب إمارة مكة المكرمة. ففي تلك الآونة ورد منشور إمارة الشريف أحمد وكشفت الحقيقة. وبناءً على ذلك فإن الشريف أحمد بادر، بعد عودة قوات مصر، إلى محاربة الشريف عبد الله بواسطة قوة البدو التي جمعها ووضعها تحت قيادته. وقد أنزل أحمد الهزيمة بالشريف عبد الله وتولى مقاليد الإدارة بيده في جمادى الآخر من السنة ذاتها (أيلول 1770 م).

وبعد فترة قصيرة من تخلص الشريف أحمد من منافسة الشريف عبد الله برز له منافس آخر وهو الشريف سرور ابن أخيه الشريف مساعد. وقد تصادم الشريف سرور مع عمه عدة مرات من أجل نيل منصب الإمارة. وفي أواخر سنة 1186 هـ/ كانون الثاني 1773 م دخل [الشريف سرور] إلى مكة المكرمة وفرض انتخاب نفسه أميراً عليها وعرض الأمر على اسطنبول من أجل إرسال منشور الإمارة إليه. ومع أنه حصل فعلاً على منشور الإمارة إلا أنه لم يفرض سيطرته على شؤون الحجاز تماماً، فقد استمرت المصادمات بينه وبين عمه أحمد وقد وقع بينهما 15 صداماً[2]. وقد أسر الشريف أحمد وأبنائه في

(1) شمعداني زادة، مرئي التواريخ، حوادث سنة 1187 هـ.
(2) خلاصة الكلام، ص 207 ـ ص 214.

الصدام الأخير الذي وقع في جمادي الأولى 1193 هـ/ أيار 1779 م. وقد سجن الشريف سرور عمه في ينبع أولاً ثم في جدة وأنزل به الكثير من الأذى، وبقي الشريف أحمد في سجنه لحين وفاته سنة 1195 هـ/ 1781 م. وكانت مدة إمارته على مكة المكرمة سنتين[1].

الشريف عبد الله بن حسين:

هو من آل بركات وقد أرسل من قبل علي بك بلوط قابان في سنة 1184 هـ/ 1770 م ليتولى إمارتها بواسطة فرمان بدلاً من الشريف أحمد بن سعيد الذي كان قد انتخب لتولي إمارة مكة المكرمة محل الشريف مساعد.

نزل الشريف عبد الله إلى الحجاز عن طريق ينبع وجاء مع قوات جدة[2] التي كانت بقيادة محمد بك أبو الذهب واحتل مكة المكرمة وأعلن نفسه أميراً عليها بواسطة فرمان مزور (18 ربيع الأول 1184 هـ/ تموز 1770 م). ومع أن القوات المصرية أنزلت مظالم كثيرة بالناس إلا أن الشريف عبد الله لم يبد ممانعته لذلك. وبعد عودة القوات المصرية توجه أمير مكة الأصلي الشريف أحمد على رأس قوة البدو التي جمعها إلى مكة المكرمة وأجبر الشريف عبد الله على الهرب وتولى إمارة مكة المكرمة بعد مضي ثلاثة أشهر على إمارة الشريف عبد الله عليها. ولم يهدأ الشريف عبد الله بعد ذلك بل أخذ يثير المشاكل باستمرار. ولما كان الشريف عبد الله مسنوداً من قبل علي بك بولط قابان فإن الحكومة أرسلت فرمانا تاريخه رمضان 1184 هـ/ كانون الأول 1770 م إلى والي الشام وأمير الحج الوزير عثمان

---

(1) خلاصة الكلام، ص 215.

(2) جاء معه قوات من مصر أيضاً (المترجم).

باشا أمرته فيه بتقديم المساعدة للشريف أحمد[1].

إن الشريف عبد الله الذي لم يوفق في مسعاه هرب إلى مصر واعتقل هناك في سنة 1193 هـ/ 1779 م بعد إخماد تمرد علي بك بلوط قابان وأمر بالإقامة في جزيرة أغريبوز Agriboz[2]. ثم نقل فيما بعد إلى أدرنة[3]، وقد هرب منها بدون إذن مسبق إلى مصر عن طريق

---

(1) خلاصة ما ورد في الفرمان المؤرخ بداية رمضان 1184 هـ والمرسل إلى عثمان باشا هو إقامة الشريف عبد الله مع ألف من المشاة والخيالة في مكة المكرمة وإقامة حسن بك في جدة وسعي [عثمان باشا] إلى تنظيم الأمور بالاتصال بأمير مكة المكرمة الشريف أحمد الذي يضايق هو وأتباعه الشريف أحمد. وأن يبقى [عثمان باشا] يقظاً إزاء احتمال إرسال علي بك بلوط قابان جنوداً مع حجاج مصر لغرض إبقاء الشريف عبد الله [في الإمارة] وإزاء احتمال تشجيع علي بك لظاهر العمر واتفاقهما على مد يدهما إلى أطراف غزة والرملة.

(أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 13085).

(2) أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 8243. وقد ورد في تاريخ كاتب الوقائع «وقعة نويس» [أي المؤرخ الرسمي] أديب أفندي ضمن وقائع سنة 1203 هـ/ 1788 م (ص 37) بخصوص الشريف عبد الله بن حسين الذي أثار ضجر الحكومة ما يلي:

«تولى سابقاً مسند الشرافة [أي الإمارة] لفترة من الزمن وبسبب سلوكه عزل باتفاق الجميع وجاء إلى الدولة العلية حيث خصصت له راتباً من خزينة الدولة وبسبب عدم الفته وعدم كونه إنساناً معاشراً في المحل الذي خصص لإقامته فقد أرسل مرة إلى مصر وأخرى إلى أدرنة وإلى بورصة وآيدين وأغريبوز. وقد ارتفعت أصوات أهالي المناطق التيجاء إليها بالشكوى من جوره وأذاه. وقد وجد من المناسب أخيراً إقامته في أسكودار إلا أنه استمر على جنونه وطالب بإخلاء سبيله للذهاب إلى الحجاز. وفي أسكودار أيضاً وصل نبأ ضربه أهل المحلة الواحد بالآخر وهجومه بالسلاح على الناس إلى واسطة «usta» أسكودار (رئيس أوجاغ البوستانجية المشرف على حديقة أسكودار). وبعد ورود خبر فراره هو وأولاده وجواريه [من أسكودار] إلى جبزة «Gebze» صدر الأمر بإقامته في جزيرة ليمني Limni وأرسل إليها بواسطة سفينة».

(3) أمر إلى الشريف عبد الله أمير مكة السابق الذي أمر بالإقامة في أدرنة حالياً وإلى قاضي أدرنة وبستانجي باشي أدرنة والمبشر Mubasir المعين من قبل الباب العالي =

غاليبولي إلا أنه لم يهدأ هناك أيضاً. عندما سمعت [الحكومة] نبأ عودته من الإسكندرية إلى اسطنبول بحراً أرسلت بتاريخ ذي القعدة 1193 هـ/ كانون الأول 1779 م إلى قائد حامية أغريبوز الوزير محمد باشا بخصوص إقامته [الشريف] في أغريبوز. وبناءً على ذلك اعتقل [الشريف عبد الله] وأسكن في محل مناسب في قلعة أغريبوز[1]. وقد نقل فيما بعد إلى الأناضول وبسبب احتمال هروبه من محل إقامته في قزل حصار «آيدين» فقد حول منفاه إلى بورصة وفيما بعد أرسل إلى ساقز «Sakiz» في سنة 1200 هـ/ 1786 م. ومن ثم هرب من محل إقامته في أسكودار [التي كان قد نقل إليها] إلى جيزة Gebze في سنة 1203 هـ/ 1788 م لأجل الذهاب إلى الحجاز. وقد اعتقل أثناء وجوده فيها [أي في جيزة] وأرسل إلى جزيرة «ليمني Limin» أولاً إلى أزمير[2] وكانت وفاته فيها.

- [والمدعو]..... زيد مجده لإيصال الشريف المشار إليه إلى أدرنة:
«أنت أيها الشريف السابق المشار إليه. إن إقامتك في داري العالية [اسطنبول] أصبحت ملزمة. ولكن بسبب ما ورد في رسائل أمير مكة المكرمة الحالي الشريف سرور بن مساعد من كون إقامتك في أطراف الآستانة (اسطنبول) مثار حديث البلبلة بين أهالي وبدو الحجاز والحرمين الشريفين فإن إقامتك في محل آخر أصبحت أوجب وألزم. ولما كان رفاه حالك وراحة بالك هو ما أرومه أنا السلطان فإني لم أجد من المناسب سوقك إلى بلاد بعيدة ولما كانت أدرنة المحروسة هي أحسن البلدان والأمصار من حيث الماء والهواء فقد أصدرت أمراً حسب الاقتضاء بذهابك إليها والسكن فيها.....».
(مهمة دفتري، الرقم 173، ص 114).

في أواسط ربيع الآخر سنة 1190 هـ

(1) مهمة دفتري، الرقم 178، ص 60 واخر ذي القعدة سنة 1193.
(2) أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت الأرقام 7936، 8243، 8073، 9546، وتاريخ أديب أفندي، ص 37. «ومع أن الأمر السلطاني بنفي الشريف عبد الله المقيم في أسكودار إلى الجزيرة قد صدر فإنه لم يكن من -

الشريف سرور بن مساعد:

مع احتلاله مكة المكرمة في ذي القعدة 1186 هـ/ شباط 1773 انتخب الشريف سرور لإمارة مكة وهو في الثامنة عشر من عمره بدل عمه الشريف أحمد. وقد قبلت الحكومة إمارته وصادقت على ذلك.

أمضى الشريف سرور السنوات السبع التي أعقبت توليه الإمارة في صراع مع عمه الشريف أحمد، وبعد إلقاء القبض عليه وسجنه شن حملة تأديبية على البدو والذين قدموا المساعدة للشريف أحمد وأخضعهم. لقد أثار نجاح الشريف سرور ضغينة معارضيه الذين أرادوا التقليل من شأنه وعزله عن الإمارة إلا أن الحكومة تحركت بحذر ولاطفت الشريف سرور[1].

وعلى الرغم من كونه شاباً فإن الشريف سرور كان ذو تدبير وإدارة جيدة. وفي عهده استتب الأمن في طريق الحج. وقد شن عدة حملات تأديبية ضد قبائل بني حرب وقبائل بني هذيل القاطنة في الجبال بين مكة المكرمة والطائف وبعض القبائل الأخرى المتمردة[2].

= المناسب إرساله جبراً إلى هناك لكونه من الشرفاء ولبين ذهابه بحراً [كذا] فقد نفي إلى أزمير وخصص له راتب من كمرك أزمير..» انظر البيان السامي «خط همايون» الذي أصدره السلطان سليم الثالث بهذا الخصوص (الرقم 15567).

(1) اشتكى الناس بخصوص الشريف سرور قائلين بأنه أنزل ظلماً بالمدينة [المنورة] إلا أن الحقيقة هي أنه قام بتأديب وحبس بعض المعارضين له وأبلغ اسطنبول بذلك وقد أبلغ والي الشام وأمير الحج محمد الحاج محمد باشا، الذي جاء إلى مكة المكرمة في موسم الحج وقابل الشريف سرور لغرض تسوية هذا الموضوع، بأن مبعث الشكوى هو تأديب بعض المفسدين [كذا]. واستناداً إلى ذلك تضمن الكتاب [السلطاني] المرسل إلى الشريف سرور توصية بإطلاق سراح المعارضين الذين اعتقلهم وبقائه موالياً للدولة.

(نامة همايون دفتري ـ الرقم 9، ص 123).

(2) ورد في تاريخ أديب أفندي، القسم الأول، ص 29 بأن الشريف سرور» الذي

بقي الشريف سرور في إمارة مكة لحين وفاته بسبب الإرهاق في 12 ربيع الآخر 1203 هـ/ كانون الثاني وهو في الخامسة والثلاثين من العمر. وكان يوقع كتبه المرسلة إلى الدولة العثمانية :

«الداعي للدولة العلية بالمحامد بن الشريف مساعد».

ونقش على ختمه بخط التعليق عبارة: «دفع الشرور جاء السرور»

كانت إمارة الشريف سرور خمسة عشر سنة ونصف ولما كانت إدارته حسنه فإن وفاته كان مبعث أسى بالنسبة للجميع. وقد ورد في تاريخ الجبرتي بأن الشريف سرور كان ينظر بنفسه في جميع الأمور ولم يكن يغفل أياً منها وكان يعمل على أساس العدل وقد ساد الأمن طريق الحج في زمانه، وعهده عهد سعد.

الشريف عبد المعين بن مساعد:

تولى الشريف عبد المعين وهو أخ الشريف سرور إمارة مكة المكرمة لبضعة أيام بعد وفاة آخيه، ذلك أن الشرفاء اتخذوا قراراً بأن من الأنسب إعطاء إمارة مكة المكرمة لأخيه غالب بن مساعد واقترحوا [على الحكومة] قبول تعيينه أميراً أصالةً[1].

وعلى أية حال فإن الشريف عبد المعين بقي في مكة المكرمة

تولى إمارة مكة المكرمة وفاق أسلافه في حماية وحراسة الحجاج وتأديب أشقياء البدو وتأمين الطرق والمسالك، فقد توفي بأمر الله. ويندر وجود مثيل له بين أسلافه..».

(1) ورد في تاريخ أديب أفندي ص 29، «.. مع وصول خبر وفاة الشريف سرور وصعود أخيه حضرة الشريف سرور [إلى مقام الإمارة] باتفاق آراء أهل الحرم إلى مسامع السلطان في أواسط شعبان المعظم، كتب إلى المشار إليه منشور إمارة مكة المكرمة.. وحسب المعتاد أرسل له مع [المدعو] نساب Neccab ثوب من قماش السراسر إضافة إلى فرو السمور...».

وأصبح وكيلاً لأخيه الشريف غالب الذي انسحب منها إلى جدة في 1218 هـ/ 1803 م بسبب تهديد آل سعود لها ودون أن يبدي أية مقاومة.

وتجنباً للقتل العام الذي قد يحدث في حالة دخول آل سعود إلى مكة المكرمة عنوةً فإن الشريف عبد المعين دعا الأمير سعود[1] وسلمه المدينة[2].

إن ما يرد في كتاب زامباور من كون عبد المعين متولياً للإمارة مرتين قد جاء من اعتبار [زامباور] بقاءه في مكة وكيلاً لأخيه بمثابة فترة إمارته له عليها.

الشريف غالب بن مساعد:

تولى هذا إمارة مكة المكرمة سنة 1202 هـ/ 1788 م بعد أن تولاها أخيه عبد المعين لبضعة أيام[3]. وفي ذي القعدة من السنة ذاتها (نهاية آب) أرسل له من اسطنبول منشور وخلعة الإمارة بواسطة [الرسول المدعو] «نجاب Neccab»[4].

---

(1) المقصود هنا الأمير سعود الذي تولى إمارة الدولة السعودية الأولى بعد وفاة عبد العزيز بن محمد بن سعود (1765 ـ 1803 م). وقد استمرت إمارة سعود من 1803 إلى 1814 م (المترجم).

(2) ورد في فرمان مرسل إلى والي الشام عبد الله باشا عظم زادة في 1218 هـ/ خبر تحرير ابن سعود لمكة المكرمة وتنظيمه جميع أماكن الزيارة فيها مع الحرم الشريف ومقام إبراهيم ﷺ. وبأنه ألبس الشريف عبد الله أخ الشريف غالب الخلعة ونصبه أميراً على مكة المكرمة.

(أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت، الرقم 1369).

(3) وردت في الأصل ليوم واحد «Bir Kun» والصحيح لبضعة أيام «Bir Kac Kun» وقد نتج الخطأ، كما يبدو، من سقوط كلمة بضعة «Kac» من الطبع خطأ (المترجم).

(4) لم يوضح ماهية نجاب Neccab هذا ولكن يبدو من سياق الفقرة أنه رسول السلطان الذي جلب منشور الإمارة وخلعتها إلى أمير مكة المكرمة. وقد وردت في الأصل جملة بعد ذلك وهي «بناءً على سنة 1788 علماً بأن الوهابيين دخلوا مكة المكرمة في 1803 م (المترجم).

وإذا كان الشريف غالب قد أخذ الإمارة من أخيه عبد المعين بسهولة فإنه دخل في صراع مع الشرفاء الذين وقفوا ضده وبعد ذلك دخل في صراع طويل مع ابن أخيه الشريف عبد الله بن سرور. ومع أن صراعه مع الشرفاء قد انتهى بالمصالحة في 1203 هـ/ 1789 م بعد وساطة قاضي مكة المكرمة ومفتيي المذاهب الأربعة إلا أن صراعه مع الشريف عبد الله بن سرور[1]، الذي كان في الثانية عشر من عمره ووقف ضد عمه بتشجيع من بعض مقربيه، قد اشتد. وفي نهاية صفر 1204 هـ/ تشرين الثاني 1789 م وقعت معركة بين الطرفين داخل مكة استمرت أربعة أيام واستخدمت فيها المدافع والبنادق. وقد انكسر جزء من الحجر الأسود بواسطة الشظايا المتطايرة. وبعد تدخل الناس والشرفاء وافق الطرفان على نقل القتال إلى خارج مكة المكرمة. وكانت الهزيمة من نصيب الشريف عبد الله بن سرور في القتال الذي دار خارج مكة المكرمة. إلا أن الشريف عبد الله ومؤيديه ساروا إلى الطائف واحتلوها بمساعدة قبيلة هذيل[2].

---

(1) طبقاً لما ورد عبد الشكور أفندي والسيد [زيني] أحمد دحلان (مؤلف خلاصة الكلام) واللذين كتبا عن تاريخ أمراء مكة المكرمة بالعربية كن الخلاف بين الشريف غالب وبين ابن أخيه يرجع إلى يحيى سلطون وهو باش آغا bas aga [ربما تعني رئيس أتباعه] الشريف سرور. وأن يحيى سلطون هذا الذي كن من معارضي الشريف غالب قد حبس في زنزانة تحت الأرض [أي سرادب] لفترة من الزمن من قبل الشريف غالب ثم هرب من حبسه واختبأ لدى أبناء الشريف سرور. وبتحريضه للشريف عبد الله أصبح سبباً لحوادث دامية.

(2) نتيجة للمعركة التي استمرت أربعة أيام بلياليها داخل مكة المكرمة بسبب وقوف الشريف عبد الله ضد الشريف غالب ورد في الفرمان المرسل إلى الشريف غالب في أوائل شوال 1204 هـ/ حزيران 1790 ما يلي:

ورد إلى مسمعي السلطاني حدوث خلاف وقتال داخل مكة المكرمة مرة وخارجها مرة أخرى لبضعة أيام إلى درجة عدم إمكان أداء الصلوات الخمس المفروضة لثلاث أو أربعة أيام في المرة الأولى (أي أثناء القتال داخل مكة المكرمة) كما لم =

وقد توجه منها إلى مكة المكرمة على رأس القوات التي التحقت به، إلا أن الشريف غالب دحره في الموضع المسمى وادي ريان «Vadi-r Reyyan» وأسر كلاً من الشريف عبد الله وأخيه الشريف محمد.

لقد عامل الشريف غالب ابني أخيه معاملة حسنة وعفى عنهما وخصص لهما راتباً. أما المدعو يحيى سلطون الذي تسبب في هذه

= يرفع الآذان الشريف إضافة إلى قتل عدد وافر من الرجال وتخويف بعض المنازل. ولما كان من غير اللائق بأي شكل من الأشكال ابتلاء أهالي وسكنة البلد الحرام بهذا الأمر فإني أأمرك يا شريف مكة المشدر إليه... أن أمور البلد الحرام عائدة لكم وعليكم تأديب أرباب الفساد الذين تسببوا في ذلك.. (أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 3863) وكان قد ورد في الرسائل المرسلة من قبل والي جدة وشيخ الحرم (إلى الحكومة) في ربيع الآخر 1204 هـ/ كنون الأول 1789 م ما يلي:

«... إن كنتم تسألون عن أحوال مكة المكرمة فإن حدث فيها قتال كثير بين الشريف غالب وابن أخيه الشريف عبد الله داخل مكة في 29 صفر. وبسبب إطلاقات البنادق والمدافع المضروبة من القلعة لمدة ثلاثة أيام لم يكن أداء الصلاة في 18 وقت ولم يرفع الآذان أيضاً. وأكثر من ذلك، والعياذ بالله، فقد سقطت قطعة بحجم ثلاثة أصابع من الحجر الأسود بسبب إصابتها بإطلاقة. وقد ألصقت في محلها بعد انتهاء القتال. ثم أن أهل الولاية (أي مكة المكرمة) اجتمعوا وذهبوا إلى الشرفاء وأوضحوا لهم أن القتال الدائر بينهم أدى إلى هلاك بعض الناس بسبب إصابتهم بالأطلاقات إضافة إلى نهب البيوت وتهديم بيوت أخرى بالمدافع وطلبوا منهم الخروج من الحرم الشريف والقتال في مكان آخر. بناءً على توسل الأهالي ذهب الشريف عبد الله مع عساكره إلى قبيلة هذيل حيث عزز عساكره بجماعة كبيرة منهم وتوجه مرة أخرى إلى مكة المكرمة ونزل في محل يسمى «المؤيدة Muayade» ويقع بين أبطح والمعلى. وقد توجه إليه الشريف غالب وحدث بينهما قتال عظيم قتل فيه أكثر من 300 رجل. وإلى الآن لم تحدث مصالحه بين الطرفين. إن الشريف عبد الله احتل الطائف وأقام فيها. أما الشريف غالب فهو مقيم في مكة. ليجعل الله العظيم الخاتمة خيراً..».

(أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 3271) ووردت نفس المعلومات بخصوص رسالة عثمان باشا في خلاصة الكلام ص 226 ـ ص 227 وفي جودت تاريخي ج 5، ص 36.

الفتنة فقد هرب إلى الشام. لقد حاول [يحيى سطون] تنصيب الشريف عبد الله بن سرور أميراً على مكة المكرمة إلا أنه منع من تحقيق ذلك.

وحال سماع الحكومة بالقتال الذي حدث بين الطرفين، وبصورة خاصة المعركة التي حدثت داخل مكة المكرمة، فإنها أرسلت فرماناً إلى والي الشام وأمير الحاج إبراهيم بخصوص ضمان سلامة أهالي مكة المكرمة وتقديم النصح للطرفين وإصلاح ذات البين بينهم[1]. وعلى أية حال فإن الشريف غالب كان قد حسم الأمر.



في عهد إمارة الشريف غالب بدأ الوهبيون، الذين كثر مؤيديهم وتوسعت ممتلكاتهم. بالتوجه غرباً نحو الحجاز. وأخذ زعيمهم ابن سعود[2] يهدد أمير مكة المكرمة الذي بادر إلى عرض خطورة الموقف على الحكومة وطلب المساعدة منها. ولما كن الشريف غالب غير قادر على دفع الدعوة الوهابية، حتى في حالة محاربته لهم، فإنه بدأ ينظر بقلق إلى توجههم نحو الحجاز بنجاح وببطء، ولكن بصورة مستمرة[3]. ولأجل شرح الخطر الوهابي للحكومة أرسل الشريف غالب شخصاً يدعى الشيخ أحمد تركي إلى اسطنبول في سنة 1212 هـ/ 1796 م[4] إلا أن اختلال التوازن الأوربي في هذه الفترة بسبب

(1) توجد معلومات بخصوص المعارك بين الطرفين. جودت تاريخي، ج 5، ص 36 (طبعة المطبعة العثمانية).

(2) هو الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود (1765 ـ 1803 م) المترجم.

(3) وقع أكثر من 50 صداماً مهماً وغير مهم بين قوات أمير مكة المكرمة الشريف غالب وقوات الأمير ابن سعود. وقد استغرقت هذه المصادمات 15 سنة (1205 ـ 1220 هـ/ 1790 ـ 1805 م).

(4) جودت تاريخي ج 6، ص 353، خلاصة الكلام، ص 299.

ظهور نابليون بونابرت، وخطر تمرد بازوند أوغلو «Pazvandoglu» في ودين «Vidin» على حدود الدولة العثمانية وأخيراً احتلال بونابرت لمصر لم يترك للدولة مجالاً للنظر في شؤون الحجاز.

وبسبب هذا الموقف اضطر الشريف غالب، الذي لم يحصل على المساعدة من الدولة، إلى عقد الصلح مع أمير الوهابيين عبد العزيز بن محمد بن سعود في جمادى الأولى 1213 هـ/ أيلول 1798 م. إلا أن الحرب بدأت مجدداً بينهما بعد قيام ابن مسعود سراً بتحريك قبائل الحجاز ضد الشريف.

إن ابن سعود، الذي وجد المجال مفسوحاً أمامه بسبب هذه الظروف، وجه قواته مراراً إلى مكة المكرمة إلا أنه لم يوفق [في تحريرها]. لقد وجد الشريف غالب أن الخطر وصل بابه ولذا طلب المساعدة من كل من متصرف جدة وأمراء حج الشام ومصر في سنة 1217 هـ/ 1802 م، وقد أدرك أيضاً أنه لن يستطيع الحفاظ على مكة المكرمة لحين ورود الجواب منهم ولذا فإنه أخذ عائلته وذهب إلى جدة بعد أن نصب أخيه عبد المعين وكيلاً عنه في مكة المكرمة. ولم يكن بإمكان عبد المعين أيضاً الوقوف بوجه الوهابيين ولذا أرسل وفداً إلى ابن سعود يدعوه دخول مكة المكرمة لتجنب حدوث قتل عام فيها، وبهذه الصورة دخل الوهابيون مكة المكرمة في 1218 هـ/ 1803 م.

وبعد فترة من الزمن سار الشريف غالب، الذي كان قد انسحب إلى جدة، مع متصرف جدة شريف باشا سويةً إلى مكة المكرمة. وبمساعدة من الشريف عبد المعين في الداخل تمكن من ضرب وتشتيت الوهابيين واسترداد مكة المكرمة بعد إجبار ابن سعود على الهرب. إلا أن ابن سعود ما لبث أن عاد وفرض الحصار على مكة

المكرمة ثانية. ومع أن مكة صمدت بوجه الحصار مدة طويلة إلا أنها استسلمت لابن سعود أخيراً بعد توسط وإصرار أحد علماء الوهابيين وهو عبد الرحمن بن نامي «Nami».

وبعد استرداد مكة المكرمة فرض ابن سعود قراءة رسالة المذهب الوهابي في الحرم الشريف ونزل في بيت الشريف غالب الكائن في المعلى وألبس الخلعة لأمير مكة الشريف غالب، الذي أصبح تابعاً له، وأبقاه في الإمارة[1].

بقي الشريف غالب في منصبه لحين استرداد مكة المكرمة وأطرافها من قلب والي مصر محمد علي باشا[2]. وكانت [الدولة العثمانية] قد منحت محمد علي باشا صلاحية مطلقة وكلفته برد غائلة الوهابيين واسترداد الحجاز. وقد اعتبر محمد علي باشا الشريف غالب مذنباً لأنه سلك مسلكاً مخالفاً للإمارة ولم يظهر حمية وغيرة بصدد مسألة الوهابيين إضافة إلى طمعه ولذا عزله في ذي القعدة

---

(1) ورد في عاصم تاريخي ج 1، ص 306 ـ ص 307 أن حكيم أوغلو علي باش زادة سعيد بك الذي عين قاضياً للمدينة المنورة جاء إلى مكة المكرمة والتقى بالشريف غالب الذي استفسر منه فيما إذا كانت الدولة سترسل قواتاً إلى الحجاز في تلك السنة أم لا. وقد أجابه سعيد بك بأنه علم أثناء وجوده في مصر بأن ملك أحمد باش ومعه عدد من الوزراء سيأتون مع قوات كاملة، إلا أن الشريف غالب لم يصدق ذلك. وبين سعيد بك أيضاً بأن سكرتير والده السلطان «Valide Sultan Kethudasi» سيصل إلى الحجاز وأن هذا دليل على استعدادات الدولة. وقد ابتسم الشريف لذلك. وبعد مدة استولى الوهابيون على مكة المكرمة.

(2) كان السلطان محمود الثاني (1808 ـ 1839 م) قد طلب من محمد علي باش في سنة 1811 القضاء على الوهابيين في شبه الجزيرة العربية. وقد حقق محمد علي باش ذلك فيما بين 1811 و1818 م بعد ثلاث حملات عسكرية كانت الأولى بقيادة ابنه طوسون بك (1811 ـ 1813 م) والثانية بقيادته هو (1813 ـ 1815 م) والثالثة بقيادة الآخر إبراهيم باش (1816 ـ 1818 م). المترجم.

1228 هـ/ تشرين الثاني 1813 م وأرسله إلى مصر[1]. وقد أبلغ اسطنبول بذلك وطلب موافقتها على عزل الشريف غالب، وكان له ما أراد.

وبناء على اقتراح والي مصر عين محل الشريف غالب الشريف يحيى بن سرور ابن الأمير الأسبق الشريف سرور بن مساعد وأرسل إليه منشور وخلعة الإمارة في ربيع الأول 1229 هـ/ شباط 1814 م[2].

لقد أخرج محمد علي الشريف غالب من مكة المكرمة بعد عزله وأرسله هو وأبنائه وعوائلهم إلى مصر وسورية. ولم يكن كل ما كتبه محمد علي باشا بشأن الشريف غالب مطابقاً للحقيقة. لقد أخذ محمد علي باشا بنظر الاعتبار تعيين شخص يفيده [في إمارة مكة] وقد

---

(1) يذكر شاني زادة (ج 2 ص 214) عند الحديث عن عزل الشريف غالب بأنه نقل إلى مصر بواسطة فرمان من والي مصر...

(2) ورد في الكتاب السلطاني المرسل إلى الشريف يحيى بن سرور:

«... أصبح معلوماً لدى جنابنا السلطاني بأن سلفكم أمير مكة السابق الشريف غالب بن مساعد قد سلك مسلكاً يخالف مقتضيات الإمارة إضافة إلى طمعه وتقاعسه وبصورة خاصة عدم وقوفه بحزم ضد الخارجين (الوهابيين)...

إن عزل الموما من منصب الإمارة وانتخاب ونصب أحد الشرفاء المحترمين محله يرجع إلى والي مصر في الوقت الحاضر. إن محمد علي باشا دام إجلاله مكلف بواسطة فرمان عالي بالنظر في تسوية الأمور الحجازية. وبمقتضى ذلك بادر (محمد علي باشا) بعد وصوله إلى البلد المنيف إلى عزل المومى إليه الشريف غالب بن مساعد من منصب الإمارة وأرسله إلى مصر. ولما كنت أنت (أيها الشريف يحيى) معروفاً بحسن السيرة بين الشرفاء فإن الوزير المشار إليه (أي محمد علي باشا) قد انتخب جنابكم، باتفاق آراء العلماء والشرفاء ومعرفتهم، لمنصب الإمارة ومسند الشرافة. واستناداً إلى ما كتبه واقترحه الوزير المشار إليه فقد وجهت إليك إمارة مكة المكرمة بموجب البيان السامي الذي أصدرته...».

(نامة همايون دفتري، الرقم، 10، ص 165)

استجابت [الحكومة] لطلبه بهذا الخصوص بسبب الصلاحيات الواسعة الممنوحة له كما كتبت إليه بعدم إجراء معاملة إعدام الشريف غالب[1].

منذ هذا التاريخ فصاعداً وضع والي مصر محمد علي باشا الحجاز تحت نفوذه. ولأكثر من 25 سنة كان أمراء مكة يعينون ويعزلون حسب أهوائهم ورغباتهم وإضافة إلى ذلك كان محمد علي باشا يعين قادة حامية مكة المكرمة أيضاً. وبسبب ما سبق لم يعد للدولة العثمانية نفوذ في الحجاز.

أرسل [السلطان العثماني] فرماناً تاريخه ربيع الأول 1229 هـ/ شباط 1841 م إلى محمد علي باشا بيد كاتب التبليغات «تلخيصجي ـ telhisci» الأسبق مصطفى بك[2] الذي كلف أيضاً بجلب الشريف غالب من مصر إلى سلانيك حيث وجدت الدولة أن من المناسب له أن يقيم فيها. كما أرسلت في الوقت نفسه سفينة لنقل الشريف غالب[3].

---

(1) بناءً على إبلاغي من قبل أحد رجالكم وهو نائبكم في العاصمة «قابو كتخداسي» بعزل أمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد ونصب أحد الشرفاء محله.... وطبقاً للبيان السامي الصادر بهذا الخصوص لا يجوز إجراء معاملة إعدام الشريف المومء إليه. إن أخذ وحبس ونفي (الشريف غالب) ونصب من هو الأصلح والأرشد من السلالة الطاهرة محله ليس معلقاً على إذن من اسطنبول فقد صدر أمراً سابقاً بترك هذا الأمر لكم...» (هذا كتاب موجه من السلطان محمود الثاني إلى والي مصر محمد علي باشا ـ المترجم).

(أرشيف رئاسة الوزراء، دفتر الخفايا ـ الرقم 3، ص 48 في 28 ـ Ca (جمادى) سنة 1228 هـ).

(2) في ربيع الآخر 1229 هـ/ شباط 1814 م أرسل رئيس بوابي الباب العالي المدعو مصطفى بك لنقل وإحضار الشريف السابق (غالب) من مصر إلى سلانيك. كما أرسل منشور الإمرة والخلعة بواسطة قبوجي باشي (كبير حراس بوابة) آخر إلى الشريف اللاحق (يحيى) (شاني زادة، ج 2، ص 214 ـ ص 215).

(3) الوثيقة المرسلة من قبطان البحر «Kaptani Derya» خسرو محمد باشا إلى الصدر الأعظم (المحفظة 108، رقم الوثيقة 27498) وجاء في الكتاب السلطاني =

وفي نهاية ربيع الآخر 1229 هـ/ نيسان 1814 م صعد الشريف غالب وأفراد عائلته إلى طراد متصرف جزيرة رودس حسين بك زادة وأوتي به إلى سلانيك حيث سكن في المحل المخصص له. وقد خصصت [الحكومة] مبلغ 7500 قرش شهرياً من إيرادات سلانيك له ولمعيته الكثيرين.

توفي الشريف غالب بن مساعد في سلانيك في سنة 1232 هـ/ 1817 م[1]، وكانت مدة إمارته على مكة المكرمة 26 سنة.

الشريف يحيى بن سرور:

عين أميراً على مكة المكرمة في أواخر ذي القعدة 1228 هـ/ تشرين الثاني 1813 م من قبل والي مصر محمد علي باشا محل عمه الشريف غالب بن مساعد وقد أرسل له منشور إمارة يحمل تاريخ ربيع

- المرسل في أوائل ربيع الأول 1228 هـ إلى الشريف غالب المعزول من إمارة مكة المكرمة ما يلي:

«. . . أنت الذي هو الشريف السابق المشار إليه. لقد أخذت الإمارة من عهدتكم هذه المرة حسب الاقتضاء، وأحيلت إمارة مكة المكرمة إلى الشريف يحيى بن الشريف سرور من سلالة هاشم وأجلس المشار إليه في مقام الشرافة في حين تم إرسالكم مع أولادكم ومتعلقاتكم إلى مصر. . . ولما كانت الإقامة هنك متعبة لكم بسبب وخامة هوائها ولما كانت سلانيك من مناطق بلادي المعتبرة ولوجود والي فيها يراعي احترامكم. . . ولأجل أمنكم وراحتكم أصدرت أمراً سلطانياً بنقلكم أنت وعيالك وأولادك ومتعلقاتكم من مصر إلى سلانيك وإقامتكم فيها. كما أرسل طراد من الأسطول الهمايوني (السلطاني) إلى الإسكندرية وعين القيوجي باشي المومى إليه مصطفى بك لنقلكم معززين من مصر إلى سلانيك (نامة همايون دفتري، الرقم 10، ص 116).

(1) وردت وفاته في (كتاب) «سجل عثماني» على أنها في سنة 1232 هـ وفي «تاريخ الدول الإسلامية» في سنة 1230 هـ، وفي «خلاصة الكلام» في سنة 1231 هـ/ 1816 م.

الأول 1229 هـ/ شباط 1814 م مع خلعة الإمارة[1]. ولما كان الشريف يحيى بسيطاً وطيباً فإن والي مصر وجده مفيداً [بالنسبة له] أكثر من أخيه عبد الله الذي لم يرفع إلى منصب الإمارة بسبب نشاطه وحيويته. وقد أبلغ [محمد علي باشا] الحكومة بالسبب بواسطة نائبه في العاصمة «قابو كتخداسي» نجيب أفندي[2].

---

(1) (أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ رقم الوثيقة 6966).

(2) إن الرسالتين المؤرختين 11 صفر 1236 هـ وشوال 1242 هـ اللتين أرسلتا من قبل والي مصر محمد علي باشا إلى نائبه في العاصمة نجيب أفندي بحثتا مسألة التعيين بالشكل الآتي: يقول في الرسالة الأولى:

«...مع صدور الأمر العالي بخصوص عزل الشريف غالب وتنصيب أحد أبناء الشريف سرور محله لم تعهد إمارة مكة المشرفة إلى الشريف عبد الله بن سرور الذي أصبح من المؤكد والمعلوم ابتلائه بأطوار رديئة، ولما كان أخوه حضرة الشريف يحيى من أهل الصلاح والصفوة ومشهوراً بالعفة بين الشرفاء فقد فوضت إليه مسند الإمارة. أما الشريف عبد الله فقد أرسل إلى مصر لمدة من الزمن عسى أن يهدىء ذلك من طبعه...».

نفهم من هذه الرسالة بأن الحكومة كانت قد طلبت من محمد علي باشا جعل الشريف عبد الله أميراً على مكة المكرمة إلاّ أن محمد علي لم يأبه لهذا الطلب بل نصب الشريف يحيى بن سرور الذي يلائم أغراضه [أي أغراض محمد علي] انظر (المحفظة 106، رقم الوثيقة 26890) ويذكر محمد علي باشا بهذا الخصوص في رسالته الثانية ما يلي:

«في سنة ثمان وعشرين [ومائتين وألف] وأثناء عزمنا على التوجه إلى الحجاز صدرت إرادة سلطانية بخصوص عزل الشريف غالب ونصب أحد أفراد قبيلة [المقصود عائلة] ذوي زيد أميراً على مكة المكرمة. إن قبيلة ذوي زيد من قبيلة الشريف سرور وهي تضم 17 قبيلة عدا تلك القبيلة المذكورة. وإذا كان [الشريف] الأكبر من الشريف يحيى في القبيلة المذكورة هو الشريف عبد الله. وإذا أصبح [وردت في الأصل لم يصبح olummasa ولكن يبدو من سياق الجملة أن الصحيح إذا أصبح oluras ـ المترجم] شخص متجبر مثله أميراً على مكة فإنه سيميل إلى المسلك الذي سلكه الشريف سرور والشريف غالب. ولما رأينا أن أخيه يحيى إنسان نقي فقد فوضنا إليه الإمارة..».

(المحفظة 108، رقم الوثيقة 24421)

لقد كان الشريف عبد الله أخ أمير مكة المكرمة الشريف يحيى يمتاز بالنشاط والحيوية، كما ذكرنا، مع ميله إلى المشاكسة. وقد أثار الاضطراب باستمرار من أجل تولي إمارة مكة. ومع أن مبلغ 600 قرش شهرياً قد خصص له من خزينة مصر وكذلك مبلغ 1500 قرش شهرياً، عدا تعييناته، من أخيه يحيى بن سرور فإن الشريف عبد الله الذي كان يتحرق شوقاً إلى تولي الإمارة لم يقنع بذلك[1].

أظهرت الحكومة كرماً إزاء الشريف يحيى فقد زادت المبالغ المرسلة له سنوياً من مصر كما خصصت رواتب ومخصصات كافية من كمرك جدة لجماعته وأتباعه البالغ عددهم 600 فرد. ولم تهمل له طلباً وكانت ترسل له من مصر كل ما يريده، بل وحتى أرسلت له 1000 قطعة نقدية ذهبية فرنسية «Fransiz altini» في سنة 1231 هـ/ 1816 م. وقد أدت هذه المعاملة الكريمة إلى غطرسته[2] إلا أن الحكومة غضت النظر عن بعض تجاوزاته.

---

(1) كان الشريف عبد الله قد دخل في صراع مع عمه الشريف غالب وقد تمكن الأخير من أسره وإيقافه عند حده. وأثناء وجود الشريف غالب في جدة بسبب مسألة الوهابيين هرب [الشريف عبد الله] إلى اسطنبول وبدأ يعمل هناك ضد عمه إلا أنه لم يلاقي تشجيعاً هناك. ثم جاء بعد ذلك إلى الشام ومنها إلى مكة المكرمة حيث أراد تحريض زعيم الوهابيين ولكن عبثاً. وبعد ورود خبر محاولته إثارة تمرد البدو الذي بمعية الوهابيين التي قبض عليه وقيد بالسلاسل ثم صدر عفو بحقه بناءً على رجاء عمه الشريف غالب.

وفيما بعد بدأ الشريف عبد الله العمل ضد أخيه الشريف يحيى أمير مكة المكرمة الذي قدم شكوى بحقه إلى والي مصر في كتاب تاريخه نهاية 1235 هـ/ أيلول 1820 م (المحفظة 106، رقم الوثيقة، 26943). وقد أسكن محمد علي باشا الشريف عبد الله في مصر لمدة من الزمن وقد هرب منها ولكن ألقي القبض عليه. وفيما بعد سمح له بالسكن في مكة المكرمة بعد أن وعد بأنه سيلزم الهدوء. وما لبث أن هرب من هناك إلى الشام بواسطة جمل الحج «Hecin devesiyle» بعد يوم واحد من عودة حجاج الشام.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الصندوق (الصندوق 106، رقم الوثيقة 26825).

كانت بين الشريف يحيى وبين الشريف شنبر بن مبارك المنعمي «El munimi» خصومة. وكان شنبر هذا شيخاً في الثمانين من العمر محبوباً ومحترماً بين الشرفاء كما كسب ثقة والي مصر محمد علي باشا. وبسبب هذه الخصومة توجه الشريف يحيى وجماعته [ذات يوم] إلى الحرم الشريف حيث قتل الشريف شنبر وهو يؤدي صلاة المغرب[1]. وقد أبلغ محمد علي باشا اسطنبول بهذا الأمر بكتاب تاريخه شوال 1242 هـ/ أيار 1827 م. وبناء على ذلك عزل الشريف

---

(1) أوضح الشريف يحيى في الرسالة التي بعث بها إلى محمد علي باشا في رمضان 1242 هـ/ نيسان 1827 م أن بعض معارضيه كانوا ينوون إثارة الفتنة وأنه قتل الشريف شنبر لكونه [أي الشريف شنبر] من أكبر مثيري الفتنة (الصندوق 108، الوثيقة رقم 27462). أما محافظ [أي قائد حامية] مكة أحمد باشا وهو ابن أخ محمد علي باشا فقد كتب إلى [عمه] والي مصر بهذا الخصوص ما يلي:

«في يوم الإثنين 28 شعبان جاء الشريف يحيى بن سرور من العبيدية ubeydıye، الكائنة بجوار مكة المكرمة، إلى مكة المكرمة ولم يذهب إلى مقره بل توجه مع 15 أو 20 رجلاً من أتباعه إلى بيت الله الحرام. ولأجل أداء صلاة المغرب جاء إلى ما بين الأعمدة الكائنة في طرف باب الصفا وهناك لمح الشريف شنبر وهو يؤدي الصلاة مع الجماعة. ثم هجم هو وأعوانه على الشريف شنبر الذي كان جالساً على سجادته بعد أداء الصلاة وجرحوه أكثر من عشرين جرحاً بواسطة الخناجر «Cenbiyyier» التي في أيديهم وتسببوا في وفاته، بل أن الشريف يحيى لم يكتف بذلك بل ضرب الميت بالعصا ثم توجه إلى مقره. إن الأشخاص التسعة عشر الذين شهدوا الحادثة هناك أفادوا بالشيء نفسه...».

لقد تخوف أحمد باشا من حدوث مشكلة بسبب هذه الحادثة ووضع جنوده في حالة تهيؤ وأرسل إلى أمير مكة يستفسر منه عن سبب هذا العمل الوحشي. وقد أجاب الشريف يحيى بدون خوف «لقد ضربت الشريف شنبر وقتلته بيدي وخنجري». ولكنه [أي الشريف يحيى] فكر فيما بعد بما ارتكبه وبدأت المخاوف تساوره. ولذا طلب منه أحمد باشا الخروج من مكة المكرمة على الفور وأبلغه بأنه سيهاجمه في مقره إن لم يفعل ذلك. وقد خرج [يحيى] من مكة متوجهاً إلى المدينة المنورة.

(الصندوق 108، الوثيقة رقم 27462) وتوجد عدة وثائق أخرى في الصندوق نفسه.

يحيى من الإمارة في ذي القعدة 1242 هـ/ أيار 1827 م[1].

وبما أن محمد علي باشا لم يذكر الشخص المرشح للإمارة في الكتاب الذي أرسله فقد اتفق الشرفاء وقاضي مكة وقائد حاميتها أحمد باشا على تنصيب الشريف عبد المطلب بن الشريف غالب أميراً لمكة المكرمة وكالةً وكتبوا إلى محمد علي باشا بخصوص تعيينه أميراً بالأصالة. إلا أن محمد علي باشا لم يقبل ذلك ولم يقترح هو ترشيح

---

(1) ورد في الكتاب المؤرخ 7 شوال 1242 هـ/ أيار 1827 م الذي رفعه محمد علي باشا بواسطة نائبه في العاصمة إلى الصدر الأعظم بخصوص عزل الشريف يحيى بن سرور:

«أثناء حملة الحجاز في سنة 1228 هـ عزلنا الشريف غالب من إمارة مكة المكرمة. وطبقاً للإرادة السنية القاضي بتعيين أحد أفراد أسرة ذوي زيد محله وجدنا أن الشريف يحيى هو الأصفى بين الشرفاء ولذا أسندت إليه إمارة مكة المكرمة. ومنذ عدة سنوات بدأ [الشريف يحيى] يصغي لأهل الفساد ويبدي عجرفةً وتكبيراً كما بدأ يميل إلى العادات التي جاء بها الشريف سرور. ومع أننا كنا ننصحه بين اونة وأخرى بواسطة الكتب [التي نرسلها إليه] فإنه لم يأخذ بذلك. وقد أضر هذا الشريف، بسبب عدم لياقته، بمصالح الحجز (التي هي بعهدتي) بل وأكثر من ذلك فإنه قتل الشريف شنبر، وهو شيخ يتراوح عمره بين 80 و90 سنة وذو خبرة وصدقة ودراية، في الحرم الشريف بدون وجه حق. وقد ذهب [الشريف يحيى] إلى المدينة المنورة وكتب إليه [من قبلي] بخصوص إقامته هناك. كما أبلغ قائد حامية المدينة المنورة علي آغا بإقامته [أي يحيى] في المدينة المنورة لحين صدور أمر سلطاني (إرادة سنية) بهذا الخصوص. وإذا كان من الضروري إسناد إمارة مكة المكرمة إلى شخص آخر فإن إسنادها إلى شخص من أسرة الشريف سرور سوف لن يخلو من المضرة والأذى بين آونة وأخرى..».

وقد كتب الصدر الأعظم المطالعة التالية على هامش هذه الوثيقة.

«بناءً على عدم كتابة الوالي [محمد علي باشا] اسم من سيعين محل الشريف يحيى وبسبب اقتراب موسم الحج فإن من الضروري نصب أحدهم أميراً. وقد عرض على السلطان ضرورة تعيين وكيله [يبدو أن المقصود هنا قيام محمد علي باشا، بوصفه وكيلاً للسلطان بتعيين أمير على مكة المكرمة ـ المترجم]. كما طلب الإذن بعقد مجلس (اجتماع) في مقر شيخ الإسلام (المفتي الأكبر) لإصدار قرار بهذا الخصوص. وقد صدرت إرادة سنية (سلطانية) بموجب ذلك».

أي شخص بل اكتفى بإبلاغ الباب العالي بما حدث.

وبسبب اقتراب موسم الحج ولعدم معرفة الدولة بمن سيتولى الإمارة ولاحتمال أن يجد محمد علي باشا مأخذاً على الشخص الذي سينصب أميراً فإن الحكومة أرسلت له فرمان [تعيين أمير على مكة المكرمة] خالياً من الاسم ليقوم هو بتعيين الشريف المناسب أميراً على مكة المكرمة(1).

وبناء على ما سبق وجد والي مصر محمد علي باشا من المناسب تعيين الشريف محمد بن عون وهو من فرع الشرفاء العبادلة «Abadile» المقيمين في مصر، وأدرج اسم الشريف محمد بن عون في الفراغ الموجود في الفرمان وأعلنه أميراً على مكة المكرمة(2).

إن الشريف عبد المطلب بن الشريف غالب، الذي كان يتأمل تولي الإمارة بقرار قائد حامية مكة أحمد باشا وقرار بقية الشرفاء، تأثر كثيراً من ممانعة محمد علي باشا لذلك واتخذ موقفاً مناهضاً من أمير مكة المكرمة الجديد. وقد قام الشريف عبد المطلب، حال سماعه خبر تعيين الشريف محمد عون أميراً على مكة المكرمة، بتحريض أمير مكة

---

(1) إن قرار قيام والي مصر بترشيح شخص للإمارة محل الشريف المعزول يحيى بن سرور، وإرسال فرمان خالي من الاسم إليه كما حدث سنة 1228 هـ عندما عزل الشريف غالب، قد اتخذ في اجتماع. وقد عرض الأمر على السلطان محمود الثاني الذي اطلع على القرار وكتب على التقرير:

وزيري:

«اطلعت أنا جناب السلطان على تقريركم ونظرت فيه. وبسبب عدم معرفتنا فإنه من المناسب من الشرفاء لتولي منصب الإمارة فقد ارتئينا إحالة هذا الأمر إلى الوالي المشار إليه وتفويضك. ووفقاً لما تم بحثه في المجلس يرسل كتاب إلى الوالي المذكور مع منشور إمارة خالي من الاسم...

(الصندوق 106، الوثيقة برقم 26943).

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت، الرقم 1690.

السابق الشريف يحيى بن سرور. وإذا كان [الشريف عبد المطلب] قد توجه مع قوات البدو التي جمعها إلى مكة المكرمة بقصد احتلالها قبل وصول الأمير الجديد فإنه لم يفلح في ذلك بسبب وصول القوات القادمة من مصر لغرض تنصيب أمير مكة الجديد وهرب إلى الطائف.

لقد قرىء منشور إمارة الشريف محمد بن عون، الذي دخل مكة المكرمة تحت حماية القوات المصرية، على الناس حسب العادة. وبعد بضعة أيام توجهت هذه القوات مع أمير مكة المكرمة إلى الطائف. وكان الشريف عبد المطلب قد أقام مدة من الزمن في الطائف ثم هرب مع الشريف يحيى بن سرور إلى عسير بسبب عدم حصوله على القوات التي أراد جمعها من البدو بواسطة أخويه الشريفين علي ويحيى بن غالب[1].

وبعد مدة من التجوال في عسير التجأ الشريف يحيى بن سرور في النهاية إلى والي مصر سنة 1243 هـ/ 1827 م ثم جلب عائلته إلى القاهرة واستقر فيها[2]. وكانت إمارته على مكة المكرمة 14 سنة، وقد توفي في 1254 هـ/ 1838 م.

أما الشريف عبد المطلب فقد عاد إلى مكة المكرمة واستقر بها لبعض الوقت. وخوفاً من أن يؤدي وجوده في مكة المكرمة إلى حادثة فإن والي مصر دبر محاولة لاغتيال عبد المطلب إلا أن الأخير تفادى

---

(1) صندوق الخط الهمايوني 108، الرقم العام 27443 و27446 والكتب المرسلة من محمد علي باشا إلى نائبه في العاصمة في شعبان 1243 هـ ومن قائد حامية مكة المكرمة أحمد باشا إلى والي مصر في رجب 1243 هـ.

(2) من رسالة محمد علي باشا المؤرخة في 1245 هـ (صندوق سجلات الخط الهمايوني 108، الرقم 27494).

ذلك بهروبه من مكة المكرمة إلى اسطنبول عن طريق بغداد[1].

الشريف محمد بن عون:

عندما رفضت الحكومة تعيين الشريف عبد المطلب، الذي تولى الإمارة وكالةً بعد عزل الشريف يحيى بن سرور، أميراً على مكة المكرمة بتأثير من والي مصر[2] [محمد علي باشا] فإنها أرسلت إلى الوالي المذكور منشور إمارة خالياً من الاسم. وقد وجد [محمد علي باشا] أن من المناسب إسناد الإمارة إلى الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الذي كان مقيماً في مصر آنذاك. وقد دعي [الشريف المذكور] إلى القلعة[3] التي فيها الوالي حيث تسلم المنشور الذي تضمن إسناد إمارة مكة المكرمة إليه (صفر 1243 هـ/ آب 1827 م)[4].

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، منشور دفتري (دفتر المناشير) ص 80 وتوجد بخصوص الشريف عبد المطلب وثائق كثيرة جداً للسنوات 1242 ـ 1243هـ في أرشيف رئسة الوزراء، سجلات الخط الهمايوني الأرقام 27446 و27461 من A إلى G.

(2) جاء في الرسالة المرسلة من والي مصر إلى نائبه في العاصمة في 20 شعبان 1245 هـ/ كانون الثاني 1830 م:

«إن الشريف عبد المطلب خدع أحمد باشا مثلما غافل الشريف يحيى بن سرور. فقد اجتمع أحمد باشا وقاضي مكة المكرمة ومتنفذيها وعهدوا الإمارة إلى الشريف عبد المطلب، وأثناء حيرتنا بسبب هذه الحالة ورد من السلطان منشور إمارة خالي من الاسم. وقد أدرجنا اسم الشريف محمد بن عون المقيم في مصر في الفراغ الموجود على منشور الإمارة ومنحناه المنشور وألبسناه الخلعة وأرسلناه إلى مكة المكرمة. وعند وصوله إلى ينبع وردت رسالة [من أحمد باشا] تطلب من الشريف محمد بن عون البقاء في ينبع. وأرسل أحمد باشا في الوقت نفسه رسالة إلى ولاية [مصر] يقول فيها:

لقد وجدنا من المناسب توجيه إمارة مكة إلى الشريف عبد المطلب» إلا أننا لم نأبه لذلك وكتبنا إليه بأن عليه تقديم العون لأمير مكة الجديد [محمد بن عون]».

(3) المقصود هنا قلعة القاهرة التي كانت مقراً لوالي مصر محمد علي باشا (المترجم)

(4) منشور الإمارة المرسل إلى الشريف محمد بن عون (أرشيف رئاسة الوزراء، منشور دفتري، ص 70 أوائل ذي القعدة سنة 1234 هـ).

إن الشريف محمد بن عون من أحفاد الشريف عبد الله بن حسن الذي تولى إمارة مكة المكرمة لفترة قصيرة سنة 1041 هـ/ 1631 م[1]. ونسبة إلى جدة الكبير عبد الله هذا أطلق اسم «العبادلة» على أسرة الشرفاء[2] [الذين انحدروا منه].

لقد جاء الشريف محمد بن عون مع قوات مصرية إلى مكة المكرمة عن طريق ينبع. وبعد قراءة منشور إمارته حسب العادة توجه إلى الطائف حيث الشريف عبد المطلب الذي ناهضه مدعياً أحقيته في الإمارة. وقد تمكن الشريف محمد بن عون من إنزال الهزيمة به وبامير مكة المكرمة السابق الشريف يحيى بن سرور ووضع يده على أموالهم بأمرٍ من محمد علي باشا.

ولما كان الشريف محمد بن عون من الشخصيات التي التزمها والي مصر محمد علي باشا فإن الحكومة أصدرت أمراً بعزله من الإمارة بعد أن تمرد والي مصر عليها وعينت محله الشريف عبد المطلب وأرسلته إلى مكة المكرمة عن طريق بغداد[3]. إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى مكة المكرمة بسبب التمرد[4]. ولذا فإن

---

(1) سلسلة [نسبه] كالآتي:
الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي.

(2) إن شرفاء ذوي عون، الذين استخدمهم محمد علي باشا بوصفهم منافسين لذوي زيد، تولوا إمارة مكة المكرمة لسنوات طويلة. وقد استمر التنافس بينهم على إمارة مكة وانتهت الخصومة التي بينهم في سنة 1299 هـ/ 1882 م بغلبة ذوي عون أو العبادلة.

(3) أوامر إلى القضاة الذين على الطريق [الذي سلكه الشريف] لمساعدة الشريف عبد المطلب المعين أميراً على مكة المكرمة في محرم هـ/ حزيران 1832 م في: (أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، وثائق الداخلية، الرقم 8827).

(4) المقصود هنا بالتمرد وقوف محمد علي ضد الدولة العثمانية وإرساله حملة عسكرية –

الشريف محمد بن عون، شاء أم أبى، بقي في إمارة مكة المكرمة. أما الشريف عبد المطلب فقد اضطر إلى العودة إلى اسطنبول حيث خصص له، كما في السابق، مبلغ 15000 قرش شهرياً ولأخيه الشريف علي 2500 قرش شهرياً.

بقي محمد بن عون في إمارة مكة المكرمة مدة 25 سنة، إلى ما بعد وفاة والي مصر محمد علي باشا بمدة. وقد عزل في سنة 1267 هـ/ 1851 م، وقد جلب هو وولديه عبد الله وعلي إلى اسطنبول بواسطة مركب بخاري «Va Pur». وقد عينت الدولة محله الشريف عبد المطلب بن غالب الذي كانت الدولة قد أرادت تنصيبه أميراً على مكة المكرمة سابقاً. ولحين وصول عبد المطلب إلى مكة تولى الإمارة وكالةً الشريف منصور بن يحيى بن سرور. وعلى أية حال فإن الشريف عبد المطلب قد عزل بعد مدة بسبب حركاته المخالفة للدولة وعين محله الشريف محمد بن عون أميراً على مكة مرة أخرى في ربيع الآخر 1272 هـ/ كانون الثاني 1856 م[1].

توفي الشريف محمد بن عون في شعبان 1274 هـ/ آذار 1858 م. وقد تولى الإمارة من بعده ابنه الشريف عبد الله باشا. والحقيقة أن الشريف محمد بن عون ترك الكثير من الأمور في إمارته الأخيرة لابنه

= بقيادة ابنه إبراهيم باشا في سنة 1831 لاحتلال بلاد الشام. وبحلول 1833 كان إبراهيم باشا قد احتل بلاد الشام وأصبحت قواته تهدد الأناضول (آسيا الصغرى). وقد استمر احتلاله بلاد الشام حتى سنة 1830 ـ1840 م عندما أجبرته الدول الأوربية الكبرى على الانسحاب منها.

(1) ورد في البيان السامي «خط همايوني» المرسل منه [السلطان] إلى الباب العالي [أي الصدر الأعظم] بمناسبة تعيين الشريف محمد بن عون أميراً على مكة المكرمة للمرة الثانية ما يلي:

وزيري... =

علي باشا وصهره عبد الله بن ناصر للنظر فيها. وقد توفي عبد الله بن ناصر قبل وفاة الشريف محمد بن عون بوقت قصير.

كان الشريف محمد بن عون ذكياً حسن التدبير وكان الناس راضين عن إدارته. وقد بقي صادقاً إزاء الدولة العثمانية مع أخذه بنظر الاعتبار كونه تحت حماية والي مصر محمد علي باشا وحاول أن يرضي الطرفين. وبسبب ذلك فإن أبناءه وأحفاده الذين كانوا في خدمة الدولة العثمانية أبقوا إمارة مكة في أيديهم من بعده. لقد كان الشريف محمد بن عون في السبعين من العمر عند وفاته. أما أولاده فهم، حسب العمر، عبد الإله وعلي وحسين وعون والرفيق وسلطان وعبد الإله. وقد أصبحوا جميعاً، عدا علي وسلطان، أمراءً لمكة المكرمة فيما بعد. وقد توفي ابنه سلطان في ذي الحجة 1283 هـ/ أيار 1867 م في مكة، أما ابنه علي، الذي حاز مرتبة الوزارة وأصبح عضو في مجلس شورى الدولة، فقد توفي في اسطنبول في 1287 هـ/ 1870 م عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين ودفن في مقبرة السلطان محمود. وقد خلف علي ولدين هما الشريف حسين والشريف ناصر[1].

الشريف عبد المطلب بن الشريف غالب:

هو ابن الشريف غالب وقد عرف عنه شجاعته وطموحه وميله

= إن عزل أمير مكة المكرمة الشريف عبد المطلب أفندي قد حدث. ولما كان جوهر هدفنا وقصدنا خدمة الحرمين الشريفين وضمان الأمن والنظام في البلدتين المباركتين وأطراف الحجاز. ولما كان مؤكداً أن الشريف محمد بن عون أفندي سوف يبذل مساعيه لتحقيق هذه الأمنية فإن إمارة مكة المكرمة الجليلة تعهد إلى المشار إليه الشريف محمد بن عون اليوم. ويجب إعلان ذلك حسب الأصول المعتادة.

كتب في 26 ربيع الآخر سنة 1272 هـ.

(1) خلاصة الكلام، ص 320، ص 324 ـ325.

للمغامرة والمشاكسه. وبعد عزل والده استقر لبعض الوقت في سلانيك ثم ذهب إلى مكة المكرمة. وبعد عزل الشريف يحيى بن سرور تولى إمارة مكة المكرمة وكالةً لفترة من الزمن[1]. وبسبب رفض تعيينه من قبل والي مصر محمد علي باشا وقيام الأخير بتعيين الشريف محمد بن عون أميراً على مكة المكرمة فإن الشريف عبد المطلب وإخوانه علي ويحيى وأمير مكة السابق الشريف يحيى بن سرور ناهضوا الأمير الجديد [الشريف محمد بن عون] وقاتلوه إلا أنهم هزموا في مكة المكرمة والطائف[2] ومن هناك هرب [الشريف عبد المطلب] إلى عسير ثم عاد إلى مكة المكرمة بوساطة من أمير الحج رؤوف باشا، د إلا أنه بقي موضع شك هناك. وبسبب تدبير محمد علي باشا محاولة لاغتياله فإنه هرب عن طريق الجبل «Cebel»[3] إلى بغداد ومنها إلى اسطنبول[4].

---

(1) وردت وكالة عبد المطلب هذه في كتاب زامباور على إمارة بالأصالة.

(2) صندوق الخط الهمايوني 108، الرقم العمودي 27473 ـ الرسائل المرسلة من قائد حامية مكة المكرمة أحمد باشا إلى والي مصر.

(3) ربما يقصد المؤلف هنا جبل شمر (المترجم).

(4) إن الشريف عبد المطلب الذي وقف مع إخوته وأمير مكة السابق [ضد أمير مكة الشريف محمد بن عون] هرب بعد هزيمته أمام قائد حامية مكة أحمد باش إلى الطائف. وقد أبدى هو وأتباعه الستمائة مقاومة هناك عندما حوصرت الطائف من قبل قوات أحمد باش. وبسبب عدم وصول قوات البدو التي كان يأمل ورودها هرب مع أخويه علي ويحيى وأمير مكة المكرمة السابق الشريف يحيى بن سرور إلى أطراف عسير (1243 هـ/ 1827 م) وفي ذي الحجة 1244 هـ/ حزيران 1829 م خرج الشريف عبد المطلب من عسير ذاهباً إلى شرق الجزيرة العربية أولاً ومنها إلى بغداد في 1246 هـ/ 1830 م ثم إلى الشام. بوساطة من أمير الحج ووالي الشام رؤوف باشا، الذي كان على وشك المجيء إلى مكة، حصلت الموافقة على سكن الشريف عبد المطلب في مكة المكرمة إلا أنه لم يهدأ هناك. ونتيجة تدبير محاولة لاغتياله من قبل محمد علي باشا فإن الشريف عبد المطلب

وبعد وصوله إلى اسطنبول مع أخيه علي طلب الشريف عبد المطلب تسليمه مخلفات والده التي كان أمير مكة المكرمة قد وضع اليد عليها بأمر من والي مصر[1] وكذلك أوقافه وتنصيب أخيه الصغير الشريف يحيى وكيلاً من قبلهم. إلا أن إجابة والي مصر على هذه الطلبات كانت سلبية[2].

لقد طلبت الحكومة من والي مصر محمد علي باشا في أمرٍ أرسلته إليه في سنة 1245 هـ/ 1829 م إجراء مصالحة بين عبد المطلب وأمير مكة المكرمة بواسطة قائد حامية مكة وإسكانه [أي عبد المطلب] في جدة أو الطائف أو الشام. إلا أن محمد علي باشا رد

- الذي وجد حياته في خطر مر على جبل Cebel [كذا] في طريقه إلى بغداد ومن هناك جاء إلى اسطنبول.

(1) جاء الشريف عبد المطلب وأخيه الشريف علي إلى بغداد عن طريق جبل «Cebel» بهدف الذهاب إلى اسطنبول للمطالبة بالأوقاف والأموال التي خلفها والدهم. وبعد تكريمهم وتجهيزهم بلوازم السفر أبلغ والي بغداد داود باشا [الحكومة] بخبر إرسالهم إلى اسطنبول بواسطة كتاب تاريخه ربيع الآخر 1245 هـ/ أيلول 1829 (صندوق خط الهمايوني، 108) [لاحظ التضارب في التواريخ بين هذا الهامش والهامش الذي سبقه ـ **المترجم**]. إن الشريف عبد المطلب الذي جاء إلى اسطنبول منح بدل ملابس قدره 7500 قرش وأعطي لأخيه الشريف علي والشريف سرور بن مسعود مبلغ 4000 قرش لكل واحد منهما. (أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف حودت ـ الرقم 6947).

(2) الرسالة المؤرخة صفر 1245 هـ/ آب 1829 التي بعث بها شكرو بك Sukru beg إلى والده نجيب أفندي، نائب والي مصر في العاصمة، بأمر من والي مصر محمد علي باشا (صندوق خط الهمايون، 180، الوثيقة رقم 27461). وقد رد محمد علي باشا في جوابه المؤرخ شعبان 1245 هـ/ كانون الثاني 1830 على طلبهم بأخذ ما يزيد على 4000 كيس من الأموال وسفينة كبيرة وعقاراتهم وأوقافهم مبيناً بأنه لم يبق شيء من مخلفات والدهم لهم. وأوضح بأن بعض الأشياء الخاصة بهم قد سجلت بمعرفة [قاضي] الشرع وسلمت إلى أمير مكة الجديد الشريف محمد بن عون مدعياً بأن سبب إجراءه هذا هو الخوف من استخدامهم الثروة التي في أيديهم لاستعادة منصب إمارة مكة المكرمة.

على ذلك بأن مجيء الشريف عبد المطلب إلى تلك الأطراف سيكون باعثاً للاضطراب وأوصى بإسكانه في محل مناسب في الأناضول أو الرومللي. وبناءً على ذلك أسكن بورصة وخصص له راتب شهري قدره 30,000 قرش[1].

❀ ❀ ❀

أجرى والي مصر محمد علي باشا إصلاحات [كثيرة] في مصر ووطد مكانته فيها بشكل جيد. ونتيجة لتأييد بعض الدول الأوربية له وقمعه للدعوة الوهابية وثورة المورة بطلب من ولية نعمته [الدولة العثمانية] فإنه ازداد جرأةً وغروراً[2]. وبدأ يحرض [البعض] في الأناضول والرومللي ضد السلطنة العثمانية واستغل مشاكل الدولة العثمانية الخارجية فكشف نواياه الخفية وأعلن تمرده ضد الدولة. ولاحتمال أن يمتد تمرده هذا إلى الحجاز فإن الدولة بادرت إلى عزل أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون، الذي كان تحت حماية محمد علي باشا، وعينت محله الشريف عبد المطلب الساكن في بورصة، وقد أرسل إلى مكة المكرمة عن طريق بغداد لأن قوات

---

(1) دفتر خط الهمايون، الصندوق 108، الوثيقة رقم 26920. وبعد تمرد محمد علي باشا وتعيين الشريف عبد المطلب أميراً على مكة المكرمة صدر أمر بتخصيص أربعة آلاف قرش من هذا الراتب الشهري لعائلته التي تركها في بورصة.

(2) بعد حملاته على شبه الجزيرة العربية تلقى محمد علي باشا، بصفته والياً تابعاً للسلطان اسمياً، أمراً من السلطان محمود الثاني بقمع الثورة في اليونان «المورة» والتي كانت قد اندلعت منذ سنة 1821. وقد أرسل محمد علي باشا حملة بحرية بقيادة ابنه الكبير إبراهيم باشا الذي نجح في قمع الثورة. إلا أن تدخل محمد علي باشا ضد الثورة انتهى بكارثة نافارينو البحرية (تشرين الأول 1827) حيث هاجم أسطول إنكليزي ـ فرنسي ـ روسي مشترك الأسطول المصري ـ العثماني ودمر 57 سفينة وقتل 8000 جندي وبحار.

محمد علي باشا كانت تحتل طريق سوريا (محرم 1245 هـ/ حزيران 1832 م)[1]. ومهما يكن فإن الشريف عبد المطلب لم يصل إلى مكة المكرمة ذلك أن قوات محمد علي باشا احتلت سوريا وانتصرت [على القوات العثمانية] في معركة قونية وبقي أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون في منصبه شاء أم أبى. وبعد وفاة محمد علي باشا وعزل الشريف محمد بن عون في 1267 هـ/ 1851 م عين الشريف عبد المطلب أميراً على مكة المكرمة.

بقي الشريف عبد المطلب في منصبه هذا مدة ثلاث سنوات. وفي هذه الآونة كانت الدولة العثمانية، شأنها شأن بقية دول أوربا، قد منعت تجارة العبيد وعممت ذلك على جميع أنحاء الدولة. وقد لوحظت بعض إشارات التمرد من الشريف عبد المطلب، المشكوك في التزامه بمنع تجارة العبيد منذ البداية، الذي أراد استغلال هذا الموضوع لتنفيذ مآربه. ونتيجة لاقتراح الشريف عبد المطلب إخراج قوات الدولة من مكة المكرمة ومنحه الاستقلال وبدء تجاوزاته وحصوله على قوة مهمة من البدو بادرت الدولة إلى عزله من الإمارة في ذي الحجة 1271 هـ/ آب 1855 م[2]. وعينت بدلاً منه منافسه

---

(1) [ورد في وثيقة رسمية] إعطاء مذكرة خزينة [أو مذكرة صرف] بمبلغ 1600 قرش عن قيمة الراية «سنجق» والقيطان [وردت كذا وربما الصحيح قفطان ـ المترجم] وبقية الأدوات التي أعطيت إلى سيادة الشريف عبد المطلب المعين أميراً على مكة المكرمة بواسطة المنشور العالي... (أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم 7943).

(2) كان الشريف عبد المطلب شخصاً مستبداً يعمل وفق ما يراه ومعتاداً على عدم تنفيذ الأوامر الصادرة إليه وأنانياً وطموحاً. وحال تعيينه أميراً على مكة المكرمة بدأ يتحكم بالولاة وغيرهم، بل حتى أنه أتهم والي جدة أحمد عزت باشا الأرزنجانلي بتدبير محاولة لقتله أثناء التدريبات في الطائف ونجح بذلك في عزله. ومع أن علاقته كانت جيدة في البداية مع الوالي كامل باشا الذي حلّ محله فإنه =

أمير مكة المكرمة السابق محمد بن عون وأرسلته إلى مكة المكرمة. ولحين وصوله إليها عين ابن أخ محمد بن عون وصهره الشريف عبد الله بن ناصر أميراً بالوكالة. وقد كتب إلى متصرف جدة وشيخ الحرم محمد كامل باشا بخصوص إرسال الأمير السابق إلى اسطنبول للسكن فيها[1].

رفض الشريف عبد المطلب أمر عزله وتمرد مع بعض مؤيديه مدعياً بأن الدولة العثمانية قد تنصرت وأقنع بذلك بعض البدو. وبعد أن جمعهم تحت زعامته في الطائف بدأ المقاومة. وقد أرسلت ضده في الحال قوة عسكرية ووقعت مصادمة بين الطرفين اعتقل على أثرها [الشريف عبد المطلب] وأرسل تحت الحراسة إلى اسطنبول ومنها نقل إلى سلانيك[2].

= (أي الشريف) سرعان ما ابتعد عنه وبدأ يتعامل معه بحذر على أساس أن الوالي المذكور يريد اعتقاله. وقد اعتقد الشريف عبد المطلب أن سبب عداوة الولاة له يرجع إلى السيد إسحاق وهو أحد رجال الأمير السابق، ونتيجة ازدياد شكوكه في السيد إسحاق هذا فإنه أرسل قوة إلى هذا المسكين ألقت القبض عليه وجلبته إلى الطائف حيث قام [الشريف] بخنقه. وحال سماعه بذلك أرسل والي جدة كامل باشا تقريراً عن الحالة إلى اسطنبول. وقد أرسل الفريق رشيد باشا [من اسطنبول للتحقيق في الأمر] وكانت النتيجة عزل الشريف عبد المطلب.

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت، الرقم 6190، خلاصة الكلام ص 318. لقد أرسلت قوات من جدة ضد عبد المطلب وأنزلت به الهزيمة بمساعدة من مؤيدي الشريف محمد بن عون. وقد هرب عبد المطلب إلى الطائف وأبدى مقاومة هناك وقد ألقي القبض عليه بصعوبة وأرسل إلى اسطنبول بطريق البحر. وتوجد معلومات مفصلة بخصوص الشريف عبد المطلب وتمرده في تأريخ جودت باشا المنشور من قبل الجمعية التاريخية التركية بعنوان «تذاكر جودت - Tezakir-ı Cevdet» القسم الأول ص ص 101 - 105.

(2) بعد عزل عبد المطلب وقمع تمرده أرسل كتابين سلطانيين، أحدهما بالتركية والآخر بالعربية، يتضمنان الشكر من السلطان عبد المجيد إلى أمير مكة الجديد الشريف محمد بن عون في جمادى الأولى 1273 هـ/ كانون الثاني 1857 م مع =

ومن سلانيك بعث الشريف عبد المطلب رسالة إلى الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا طالباً السماح له بالمسكن في اسطنبول[1] وبناءً على هذا جلب الشريف عبد المطلب إلى اسطنبول واشترط عليه عدم الذهاب إلى مكة المكرمة نهائياً. وقد خصص له راتب معين وبقي فيها لحوالي 25 سنة. وبعد مقتل الشريف حسين باشا، وهو من ذوي عون، في جدة عين الشريف عبد المطلب الذي كان قد بلغ المائة من العمر أميراً على مكة المكرمة مرة ثانية سنة 1297 هـ/ 1880 م بعد الأخذ بنظر الاعتبار رغبة السلطان عبد الحميد الثاني [1876 ـ 1909] وبعض المحاذير السياسية ووجهات نظر الصدر الأعظم وخير الدين باشا ومحمود نديم باشا[2].

– وسام وسيف (دفتر 12، ص 18 ـ 19). وقد ورد في الكتاب التركي اهتمام الدولة بالأمن والنظام في الحجاز وكيف أن حادثة الشريف عبد المطلب أخلت بالأمن وأزعجت أهالي البلدة الطيبة (مكة المكرمة) وإن مبعث هذه الحادثة بعض المصالح الدنيوية والأفكار الذاتية وأن نشر بعض الافتراءات [المقصود هنا ما أشاعه عبد المطلب بأن الدولة قد تنصرت] التي دخلت أذهان بعض الرجال غير المطلعين على حقائق الأمور. إلا أن العدالة الإلهية كشفت هذا الأمر وأن التخلص من محدث هذه الحادثة (أي عبد المطلب) كان مبعث رضا السلطان. ولأن الشريف عبد المطلب من الأسرة الجليلة الشأن [أي من أحفاد الرسول ﷺ] ولأن الدولة العثمانية ترعى هذه الأسرة فقد تقرر جلبه إلى اسطنبول ضماناً لعدم تدخله في أمور الحجاز.. ويختم الكتاب بتوصية [للأمير الجديد] بأن يبذل مساعيه الحسنة من أجل أمور الحجاز...

(1) خلاصة الكلام، ص 320.

(2) إن صورة هذا القرار الجدير بالملاحظة والصادر عن مكتب سعيد باشا كان بالشكل التالي..

«بناءً على وفاة الشريف حسين باشا أمير مكة المكرمة تم بالإرادة السنية مداولة الأفكار بخصوص انتخاب خلف له وأمعن النظر أيضاً في المطالعة المقدمة بحق الأمير الأسبق عبد المطلب أفندي.

من المعلوم أن كون الشخص الموجود في مقام الإمارة ذا رابطة معنوية ومادية =

بقي الشريف عبد المطلب لأكثر من سنتين في إمارة مكة المكرمة (حتى شوال 1299 هـ/ آب 1882 م) عمل خلالها كل ما أراده. وقد تدخل في شؤون ولاة [الحجاز] وعزل كلاً من الوالي ناشد باشا والوالي صفوت باشا الذين كانوا على خلاف معه. كما أنه جعل الحاج عزت باشا الأرز تجانلي، المعين والياً للحجاز لنمرة الثانية محل صفوت باشا، تحت سيطرته. وبعد عزل هذا الوالي أيضاً اصطدام [الشريف عبد المطلب] بوالي الحجاز وقائدها عثمان نوري باشا الذي وقف في وجهه، وقد أراد عزل هذا [الوالي] أيضاً وفرض

= قوية بالخلافة العظمى أمر مهم جداً. وأن هذا الأهمية قد ازدادت كثيراً بحكم الزمن. إن سلطة ووظائف والي الحجاز والموظفين المدنيين جارية بشكل محدود جداً لحد الآن. ومع مراعاة كون الشخص الذي سيتسلم الإمارة ذا اقتدار وإرادة سياسية بدرجة تؤدي إلى ازدياد محظوظية حقوق الخلافة السنية فإن من المفيد أن تكون حال وأفكار الشخص الذي سينتخب للمنصب ملائمة لهذا المقصد. إن هناك كثير من أفراد وفروع الشرفاء الذين يجوز نصبهم في الإمارة. وعند التفكير في تحديد أو عدم تحديد الانتخاب في أسرتي المشار إليهما الشريف عبد المطلب أفندي والشريف عون الرفيق وفي كون الإمارة محصورة في الواقع في فرعين وجد أن تفضيل السلطنة السنية بالرجوع إلى بقية الفروع قد يكون ذا فوائد وتأثيرات جمة ولكن تجربة مثل هذا الأمر مسألة غير مرغوبة لأن نتيجتها مجهولة ويجوز أن تؤدي إلى حدوث غائلة. ولذا فقد تقرر في المناقشة التي جرت حصر الأمر [أي الاختيار] في الشريفين المشار إليهما أعلاه. وبعد الترجيح والتدقيق [اقترح] انتخاب الشريف عبد المطلب أفندي. ومع أن جعل الشريف عون الرفيق باشا في حالة يأس قد يكون غير ملائم لمنافع الدولة... إلا [أننا] أخذنا بنظر الاعتبار، استناداً إلى ميول [الشريف حسين باشا] إلى الأجانب بشكل يضر بالخلافة ويتنافى مع موقعه، إن مجيء شخص آخر من غير الأسرة [أي أسرة حسين باشا] سيزيل هذه المفسدة. وأن ترجيح الشريف عبد المطلب أفندي يرجع إلى كونه في سن الشيخوخة وإلى صلاح حاله وإظهاره الرابطة الوجدانية إزاء الطرف الشريف السلطاني... لإجراء وإعلان مأمورية حسب الأصول».

11 ربيع الآخر سنة 1297 هـ

سعيد، محمود نديم، خير الدين.

سيطرته على الحجاز كلها.

إن مقاصد الشريف عبد المطلب الخفية قد اتضحت فيما بعد. وقد وقعت الاتصالات التي أجراها مع قنصل بريطانيا في جدة ضد الدولة العثمانية، والرسائل التي أرسلها لسوق بعض القبائل البدوية ضد الدولة العثمانية، بيد والي الحجاز عثمان نوري باشا. وبناءً على ذلك تم عقد اجتماع سري برئاسة الوالي المذكور وبحضور قسم من كبار مسؤولي الولاية اتخذ فيه قرار بضرورة عزل الشريف عبد المطلب بسرعة. وقد هيأ الوالي فرماناً مزوراً عزل بواسطته الشريف عبد المطلب بعد محاصرة مقره الكائن في مثنى Mesna في الطائف في منتصف ليلة 18 شوال 1299 هـ/ بداية أيلول 1882 م ولم يجد الشريف الذي أبلغ بقرار العزل مجالاً للمقاومة. وبعد عزله وضع الشريف عبد المطلب تحت النظارة في الطائف أولاً ثم في مقره في مكة المكرمة[1]. وبعد هذه الحادثة أرسل لبيب أفندي [من اسطنبول] للتحقيق في الموضوع. وقد توصل [لبيب أفندي] إلى أن ما نسب إلى الشريف عبد المطلب لا أساس له من الصحة[2].

---

(1) إن جميع الوثائق والتفاصيل بهذا الخصوص موجودة في مجلة الجمعية التاريخية التركية Belleten العدد 39، وانظر أيضاً خلاصة الكلام، ص 329.

(2) عرض عبد المطلب أفندي [على الحكومة] عدم علمه بهذه الوثائق المضرة وقدم استرحاماً بخصوص استمرار معاملته معاملة كريمة ولأجل تسوية الأمور أيضاً رجا نقله إلى حيث ابنه أحمد بك الموجود في اسطنبول (الوثيقة رقم 255 من وثائق عبد الحميد الثاني المنقولة من مكتبة طوب قابو سراي إلى الأرشيف).
وبخصوص التحقيقات التي قام بها لبيب أفندي الذي كان قد أرسل إلى مكة المكرمة لهذا الغرض ورد في العريضة التي كتبت من مقر الصدر الأعظم وأرسلت إلى السراي بأن لبيب أفندي الذي كان قد أرسل إلى الحجاز من أجل التحقيق قدم أوراقه وقد اتضح من هذه الأوراق بأن عبد المطلب وضع تحت النظارة في بيته في مكة المكرمة وهذا غير جائز وبأن القضايا التي أسندت إليه لا أساس لها -

وإذا كان [والي الحجاز] قد نصب الشريف عبد الإله باشا، وهو من أبناء الشريف محمد بن عون، أميراً على مكة المكرمة محل الشريف عبد المطلب بواسطة فرمان مزور أيضاً فإن الدولة لم تصادق على تعيين عبد الإله بل عينت أخيه الكبير الموجود في اسطنبول الشريف عون الرفيق باشا أميراً وأرسلته إلى مكة[1] أما عبد الإله فقد دعي إلى اسطنبول حيث منح درجة الوزارة وعين عضوا في مجلس شورى الدولة.

بعد نقله من الطائف إلى مقره في مكة المكرمة بقي الشريف عبد المطلب تحت النظارة لحين وفاته في سنة 1304 هـ/ 1887 م عن عمر يتجاوز المائة. ومع أنه كان ذو علم وفضيلة فإنه كان طموحاً وشجاعاً وعصبي المزاج وبسبب ذلك لم يوفق في المرتين اللتين تولا فيهما الإمارة[2].



- من الصحة. وقد تضمنت العريضة توصية بالأنعام على الشريف المذكور وعائلته براتب قدره 20,000 قرش. وبسبب ملابسات تأخر وصول عبد الإله باشا إلى اسطنبول فإن العريضة تضمنت استئذاناً بتخصيص راتب كافٍ له وتعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة بدرجة وزير (الوثيقة 626 نفس المجموعة أعلاه).

(1) ورد في كتاب تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية ص 165 ما يلي في القسم الخاص بإمارة عون الرفيق باشا على مكة المكرمة: «.. وكان الوالي عثمان باشا أقام أخاه الشريف عبد الله (عبد الإله) باشا للإمارة استغل [كذا] خوف الفتنة وعرض للدولة ذلك فما أجازت الدولة ذلك ووصل صاحب الترجمة عون الرفيق باشا جدة يوم عرفة... 1299 هـ».

(2) وردت بعد هذه الفترة في المتن فقرة أقحمها المؤلف هنا دون أن تكون لها علاقة بالفقرات السابقة (المترجم) ويذكر في هذه الفقرة بأن السلطان محمود الثاني كان في الفترات الأخيرة يدعو الشريف عبد المطلب الموجود في اسطنبول إليه بين فترة وأخرى لرؤيته. وبأن عبد المطلب كان يستغل هذه الفرص للتحدث ضد عدوه -

وبعد قتل الشريف حسين بن عون في جدة، والذي كان قد اتصل بالإنكليز للعمل ضد الدولة العثمانية بهدف الانفصال عنها. تقرر أخذ إمارة مكة المكرمة من عائلة ذوي عون. ولما كان الأمير السابق الشريف عبد المطلب، الذي كان في اسطنبول حينئذٍ، قد حصل على تفضيل لدى السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن قدم له عريضة أبدى فيها وقوفه ضد رجال الدولة الذين خلعوا السلطان عبد العزيز. وبعد المباحثات التي جرت بينه [أي السلطان عبد الحميد الثاني] وبين الوزراء فإن إمارة مكة المكرمة لم تمنح إلى أسرة العبادلة بعد مقتل الشريف حسين باشا بل منحت إلى الشريف عبد المطلب وهو من ذوي زيد[1]. وفي الوقت نفسه عهدت مسألة حراسة مدحت

- والي مصر محمد علي باشا ويثير غضب السلطان. وبعد التفاهم مع والي مصر بموجب معاهدة صلح كوتاهية دعا السلطان محمود الثاني الشريف عبد المطلب إليه مرة أخرى في أحد الأيام. وأن الباش وكيل [تعني أنذاك الوزير الأول أو رئيس الوزراء أيضاً ـ المترجم] الذي سمع بذلك أرسل مذكرة إلى مشير المابين لاحتمال ارتكاب عبد المطلب حماقة [وإثاره غضب السلطان]... وقد كتب المذكرة بأسلوب بلاغي منمق وكذلك الأمر بالنسبة للهامش الذي كتبه مشير المابين على المذكرة سوى ما جاء في الهامش المذكور بأن الشريف المشار إليه تشرف بمقابلة حضرة السلطان الذي أنعم عليه بعطية سلطانية قدرها 25,000 قرش وعلى أخوته 10,000 قرش..

(أرشيف رئاسة الوزراء ـ وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت، الرقم 7176).

(1) عريضة الصدارة العظمى [أي رئاسة الوزراء] بخصوص أمر توجيه إمارة مكة المكرمة إلى الشريف عبد المطلب أفندي... بأنه تم الاطلاع على البيان السامي «خط همايون» 16000 ربيع الآخر 1297 هـ.

وكان نص الخط الهمايوني كالتالي:

«بناءً على وفاة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا (رحمه الله تعالى) وجهت الإمارة التي أصبحت شاغرةً إلى عهدة الأمير الأسبق الشريف عبد المطلب بحضورنا وأرسل إلى الباب العالي [أي مقر الصدر الأعظم]. وقد أصبح مؤكداً لدينا أن [الشريف] المشار إليه سيبذل المساعي والهمة من أجل إتمام الأمن =

باشا وزملائه المنفيين في الطائف إلى الشريف عبد المطلب مع منحه صلاحيات واسعة[1].

كان للشريف عبد المطلب عدة أبناء هم هاشم باشا وعلي وجابر باشا وفهيد باشا وأحمد عدنان باشا والشريف محمود. وأن الثلاثة الأوائل الذين كانوا برتبة أمير أمراء «بكلربك» توفوا قبل وفاة والدهم. وأن حفيده الشريف مساعد تولى وظيفة «قائمقام الأمير»، التي استحدثت لفترة من الوقت في إمارة عبد المطلب الأخيرة على مكة المكرمة. وأن الشريف علي حيدر باشا الذي كان آخر أمير لمكة في عهد الإدارة العثمانية هو حفيد عبد المطلب وابن علي جابر باشا.

الشريف عبد الله باشا بن محمد عون:

وهو الابن الكبير للشريف محمد بن عون. وبعد وفاة والده في شعبان 1274 هـ/ نهاية آذار 1858 م قام والي جدة نامق باشا بتنصيب أخيه [أي أخ عبد الله] الشريف علي أميراً على مكة المكرمة وكالةً وبلغ اسطنبول بذلك. وبناءً على ذلك عين الشريف عبد الله، الحائز مرتبة الوزرة وعضو «مجلس والاي أحكام عدلية ـ meclis-i

---

- والنظام وزيادة وتعزيز قوة خلافتنا المقدسة في تلك الأنحاء المباركة. ليوفقه الله آمين 15 ربيع الآخر 1297 هـ».

(1) انظر بهذا الخصوص كتابنا «مدحت باشا ومحكومي الطائف» من منشورات الجمعية التاريخية التركية. [نشر الكتاب المذكور بعنوان «Midhat Pasa Ve Yildiz Mahkemesi ـ مدحت باشا ومحكمة يلدز» من قبل الجمعية التاريخية التركية في سنة 1867. ومن المعروف إن مدحت باشا وآخرين اتهموا من قبل السلطان عبد الحميد الثاني بقتل السلطان عبد العزيز 1861 ـ 1876 م. وقد حكم على مدحت باشا بالإعدام ولكن تدخل الدول الأجنبية، وبصورة خاصة بريطانية، أدى إلى استبدال الحكم بالنفي مدى الحياة. وقد نفي مدحت باشا إلى الطائف وتوفي فيها سنة 1883 ويرى البعض أنه مات مخنوقاً. **المترجم**].

«valayi ahkami adiye»[1]، أميراً على مكة المكرمة في رمضان من السنة ذاتها (نيسان 1858 م) وقد جاء الأمير المذكور إليها في ربيع الأول 1275 هـ/ أيلول 1858 م. وكان [السلطان] قد أرسل فرماناً في محرم من السنة ذاتها إلى الوالي نامق باشا بخصوص تعيين الشريف الجديد والقيام ببعض الإصلاحات الجديدة[2].

بقي الشريف عبد الله باشا في إمارة مكة المكرمة أكثر من 19 سنة لحين وفاته في 14 جمادى الآخر 1294هـ/ 26 حزيران 1877م

---

(1) أي المجلس الأعلى للأحكام العدلية وقد تأسس كمجلس تشريعي للتنظيمات [أي الإصلاحات] العثمانية في 1838 ـ 1839 م. وقد قسم في 1867 إلى مجلسين هما مجلس التنظيمات العدلية ومجلس الدولة. (المترجم).

(2) جاء بهذا الخصوص في الفرمان المرسل إلى نظارة «دائرة» الأقطار اليمانية وملحقاتها وإلى والي جدة الوزير محمد نامق باشا ما يلي:

«..منذ مدة حدثت حالات إخلال أمن بين الحرمين سواء في مكة المكرمة وأطرافها المقدسة أو المدينة المنورة وأطرافها المحترمة وهذا يخالف وجداني الملكي. كما ظهرت بين فترة وأخرى حركات كادت أن تغلق الطرق الحجازية وهذا ما أثار أسفي أنا السلطان. وبناءً على إحالة وظيفة إمارة مكة المكرمة الجليلة إلى عهدة أكثر وكلاء الدولة العلية فهما وأعظم وزراء السلطنة السنية واحد الأعضاء الكرام في المجلس الأعلى للأحكام العدلية وهو الشريف عبد الله باشا دام سعده حامل النيشان المجيدي السلطاني... فقد ارتؤي بأن هناك حاجة لإنشاء قوة عسكرية سيارة لإصلاح العربان «البدو» وتربيتهم وأن تتألف عناصر هذه القوة من أبناء الأتراك الذين سكنوا الحجاز مدة طويلة وتعودوا على هوائها وتعيين ضباطها بالانتخاب، وأن تطبق على هذه القوة أنظمة ألوية العساكر العونية «Asakiri Avnıye» وأن تتألف من 1500 شخص 500 منهم من الفرسان و1000 منهم جمالة يركب كل اثنين منهم جملاً. وأن يجري تنظيم هذه القوة بالتشاور مع الأمير المشار إليه أعلاه. واتخاذ قرار بالاتفاق بخصوص استخدام هذه القوة السائرة دائماً لتعقيب أشقياء البدو والتنكيل بهم وحفظ الأمن والنظام في الطرق والأطراف...».

أواخر محرم سنة 1275 هـ

(وثائق الداخلية ـ تصنيف جودت ـ الرقم، 1794)

نتيجة مرض «**عرق النسا**» الذي كان قد ابتلي به منذ تسع سنين. وقد عين محله أخوه الشريف حسين باشا.

كان عبد الله باشا شخصاً عالماً ولوعاً بالمناظرات العلمية. وكان له اطلاع واسع في التفسير والحديث والفقه والأدب وهو أول شريف يحصل على درجة وزير. وكان قد بلغ السادسة والخمسين من العمر عند وفاته. ومع أنه كان يتجاوز صلاحياته عندما تسمح الظروف بذلك إلا أنه لم يكن يذهب إلى حد بعيد في تجاوزه. وفي عهده أصبحت عسير لواءً «سنجقاً» مرتبطاً بالدولة بشكل جيد. وعند وفاته خلف عبد الله باشا ابنين هما علي ومحمد وكان الأول برتبة أمير أمراء «**بكلربك**».

الشريف حسين باشا بن محمد عون:

هو الابن الثالث لأمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون، وبعد تولي أخيه إمارة مكة دعي إلى اسطنبول. وفي شعبان 1291 هـ/ أيلول 1874 م كلف لعضوية مجلس شورى الدولة «Danistay» ولمجلس الوزراء «مجلس الوكلاء» في ذي الحجة من السنة ذاتها (أيار 1875 م)، ثم لعضوية مجلس شورى الدولة مكرراً في ربيع الأول 1294 هـ/ آذار 1877 م. وبعد بضعة أشهر عين لرئاسة دائرة «شواري دولت ملكية ـ Suray-i Devlet Mulkiye»[1]. وعندما كان في وظيفته هذه صدر أمر تعيينه أميراً على مكة المكرمة بعد وفاة آخيه الشريف عبد الله باشا في جمادى الأولى 1294 هـ/ أيار 1877 م. ولحين وصوله إليها تولى أخيه عون الرفيق باشا الإمارة وكالةً.

(1) مجلس الدولة المدني أو الشؤون المدنية.

لقد تولى الشريف حسين الإمارة ثلاث سنوات. وعند ذهابه إلى جده في ربيع الآخر 1297 هـ/ آذار 1880 م اغتيل أثناء دخوله إليها من قبل شخص أفغاني تقدم نحوه متظاهراً بالرغبة في تقبيل يده. وكان الشريف حسين في الأربعين من العمر حينئذٍ.

لقد لفتت دول أجنبية انتباه الحكومة إلى قيام الشريف حسين باشا بإجراء مباحثات مع موظفي إحدى الدول الأجنبية [أي بريطانيا] ضد الدولة العثمانية(1). وبسبب هذا وجد السلطان عبد الحميد الثاني أن أهون الشرين هوأخذ الإمارة من ذوي عون وعدم إسناد الإمارة إلى الشريف عون الرفيق باشا أخ حسين باشا، الذي كان يتوقع إسناد

---

(1) من رئيس كتاب المابين إلى الصدر الأعظم..

«.. علمنا وشعرنا في الاجتماع الذي حدث عند عودة سفير بريطانية من سوريا بتشكيل لجنة ضد الخلافة الكبرى في الخطة الحجازية لإقامة حكومة عربية. وقد جرت محاورة بطريقة ما بهذا الخصوص مع مدحت باشا (كان مدحت باشا والياً على سورية آنئذٍ) إلا أن مدحت باشا لم يُظهر همة وإقداماً على هذا العمل للسفير المشار إليه. وقد أفهم ذلك للطرف الملكي عند اجتماعه به. ولأجل معرفة صحة وحقيقة الأمر والتفكير بمقتضى ذلك فقد أرسل مأمور إلى هناك من قبل السلطان مع صرف مبالغ كثيرة ولكن لم يتم الحصول على أي جواب حتى الآن. إن الرسائل التي وردت هذه المرة تتضمن معلومات وصول اثنين من البريطانيين من لندن إلى جدة وقد دعاهم أمير مكة حسين باشا إلى مكة المكرمة حيث أقاموا عدة أيام في مقر السيد إسحاق في الجاهلية.. وأثناء إقامتهم حدث بينهم تفاهم خفي وهذه الأمور التي حدثت غير معروفة بالطبع. ومهما كان اعتبار قول لايارد [هو هنري لايارد سفير بريطانية في اسطنبول 1877 ـ 1880 م ـ المترجم] غير حقيقي، فقد ثبت وجود نية تشكيل حكومة عربية ضد الخلافة. فهل يمكن مواجهة مثل هذا الخطر بإرسال الشريف عبد المطلب الموجود في اسطنبول ليحل محل حسين باشا أم بالإمكان إيجاد وسيلة بواسطة شخص آخر غيره لتجنب حدوث هذا الخطر. وعلى أي حال فقد تفضل [السلطان] بإصدار فرمان بخصوص معالجة هذه المحاذير في أقرب وقت.....».

8 ربيع الأول 1297

الإمارة إليه، وإسنادها إلى الشريف عبد المطلب بن غالب وهو من ذوي زيد.

الشريف عون الرفيق باشا بن محمد عون:

هو الابن الأصغر من حسين باشا للشريف محمد بن عون. وقد تولى إمارة مكة المكرمة وكان لحين وصول أخيه حسين باشا، الذي عينته الحكومة أميراً على مكة، من اسطنبول إلى مكة المكرمة في شعبان 1294 هـ/ آب 1877. وفي شهر أيلول من السنة ذاتها أرسل الشريف عون الرفيق باشا إلى اسطنبول. وأثناء عضويته في مجلس شورى الدولة وهو بدرجة وزير عين أميراً على مكة المكرمة بعد عزل أمير مكة الشريف عبد المطلب في 1299 هـ/ 1882 م وبعد أن رفضت الدولة تعيين أخيه الصغير عبد الإله باشا الذي كان مرشحاً لإمارة مكة المكرمة من قبل والي الحجاز عثمان نوري باشا. ولحين وصول الشريف عون الرفيق إلى مكة المكرمة تولى أخيه عبد الإله الإمارة وكالةً (ذي القعدة 1299 هـ/ أيلول 1882 م).

لقد توجه الشريف عون الرفيق باشا إلى جدة في 9 ذي الحجة 1299 هـ/ 22 أيلول 1882 م وجاء منها إلى مكة المكرمة حيث بدأ مهام وظيفته التي بقي فيها لحين وفاته في 1322 هـ/ 1904 م. وقد عمل بانسجام مع الوالي أحمد راتب ولم يثر أي اضطراب أو عدم رضى.

وبعد وفاته كلف أخيه الشريف عبد الإله باشا الموجود في اسطنبول بتولي الإمارة ولكن اختلافه مع أحمد راتب باشا أدى إلى تعيين ابن أخيه الشريف علي باشا أميراً على مكة المكرمة.

الشريف علي باشا بن عبد الله باشا:

هو ابن أمير مكة المكرمة عبد الله باشا المتوفى سنة 1294 هـ/

1877 م. وطبقا لمنشور إمارته عين أميراً على مكة المكرمة بعد عون الرفيق باشا في شعبان 1323 هـ/ أيلول 1905 م. وقد بقي في الإمارة مدة ثلاث سنوات لحين عزله في 1326 هـ/ 1908 م.

الشريف عبد الإله باشا بن محمد عون:

إن الشريف عبد الإله باشا المولود في سنة 1261 هـ/ 1845 م هو الابن الأصغر للشريف محمد بن عون. وبعد عزل أمير مكة الشريف عبد المطلب من إمارته الثالثة على مكة عين [الشريف عبد الإله] أميراً على مكة المكرمة وكالةً من قبل الوالي عثمان نوري باشا. وإذا كان الوالي المذكور قد اقترح [على الحكومة] تعيينه أميراً بالأصالة فإن الحكومة لم توافق على ذلك بل عينت عون الرفيق باشا الأكبر منه والمقيم في اسطنبول أميراً (أيلول 1882 م). وبعد وفاة عون الرفيق باشا رفض عبد الإله باشا، الذي سكن اسطنبول، إمارة مكة المكرمة التي كلف بتوليها.

وبعد عزل أمير مكة المكرمة الشريف علي بعد إعلان المشروطية الثانية[1] عين عبد الإله باشا أميراً على مكة المكرمة في 1326 هـ/ 1908 م. وقد أرسل عائلته وقسماً من أشيائه إلى مكة قبله إلا أنه توفي فجأة قبل موعد سفره هو إليها ودفن في حديقة مدرسة مهر شاه والده سلطان «Mihrisah Valide Sultan Mektebi». لقد تميز الشريف عبد الإله من بين أمراء مكة المتأخرين بالجدية والاستقامة والفضيلة وصداقته للدولة العثمانية الأمر الذي أكسبه احتراماً. وأن مقر إقامته

(1) أي إعادة إعلان دستور سنة 1876 بعد ثورة 1908 للمرة الثانية بعد أن كان قد أعلن أول مرة في مطلع حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909 م) والذي ألغاه بعد عدة أشهر فقط. (المترجم).

المطل على البحر في أمير غندة «Emirgnda» [في اسطنبول] والذي كان يعرف باسم «شالية الشرفاء ـ Scrifler Yalisi» قد تحول الآن إلى متحف. أما تاريخ وفاته فهو 2 شوال 1326 هـ/ 28 أيلول 1908 م.

الشريف حسين باشا بن علي:

من شرفاء ذوي عون العبادلة وهو حفيد الشريف محمد بن عون وابن الشريف علي باشا المتوفى سنة 1870 م[1]. وعندما كان الشريف حسين عضواً في مجلس شورى الدولة بدرجة وزير تم تعيينه أميراً لمكة وأرسل إليها بعد وفاة الشريف عبد الإله المفاجئة في 1326 هـ/ 1908 م. ولما كانت ولادته في 1270 هـ/ 1853 م فإنه كان في السادسة والخمسون من العمر عند تعيينه أميراً لمكة المكرمة.



إن افتتاح قناة السويس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وضعف الدولة العثمانية وسفاهة خديوية مصر أدى إلى تغلغل النفوذ البريطاني في مصر. ولأجل تأمين طريق الهند فإن البريطانيين سعوا إلى نشر نفوذهم في منطقة البحر الأحمر وقد أدى سعيهم هذا وتشجيعهم أمراء مكة المكرمة على الاستقلال عن الإدارة العثمانية إلى حدث مضاد للدولة العثمانية [في الحجاز].

---

(1) الشريف علي باشا هو الابن الثاني لأمير مكة المكرمة محمد بن عون. وقد دعي إلى اسطنبول بعد وفاة والده. وفي سنة 1278 هـ/ 1862 م أصبح عضواً في «مجلس والاي» بدرجة بكلربك «أمير أمراء» روملّي. وقد توفي في 1870 م ودفن في حديقة مقبرة السلطان محمود (ورد هنا بعض الاضطراب في مقابلة التواريخ الهجرية والميلادية في المتن والهامش كما ذكرت وفاة علي باشا في الهامش بأنها في سنة 1867 وقد ثبتنا التاريخ المضبوط للوفاة وهو سنة 1870 م ـ المترجم).

وهكذا فإن البريطانيين الذين أرادوا استغلال هذه الحالة بدأوا نشاطهم السياسي وبصورة خاصة منذ نهاية إمارة الشريف محمد بن عون كما حاولوا التفاهم مع الشريف حسين باشا الأول والشريف عبد المطلب الذي أعقبه في الإمارة.

إن أمير مكة المكرمة الأخير الشريف حسين باشا الثاني، الذي اقترح على الدولة العثمانية إرسال ولاة جيدين إلى الحجاز من أجل تنفيذ الإصلاحات فيها، إلا أن تركز السلطة والنفوذ بيد أمراء مكة المكرمة كان يؤدي إلى عزل الولاة الذين يخالفونهم ولو قليلاً. ولذا فإن الولاة القادمين [إلى الحجاز] التزموا الصمت بحجة المصلحة الإدارية وغضوا النظر عن تجاوز الأمراء على صلاحياتهم وطلب من البريطانيون حمايته، ثم توصل إلى تفاهم مع الحكومة البريطانية في سنة 1915 بعد نشوب الحرب العالمية الأولى. وبموجب هذا التفاهم وعدت الحكومة البريطانية الشريف حسين بالاعتراف به حاكماً على بلاد العرب (بضمنها فلسطين وسوريا والعراق)[1]، مقابل وقوفه ضد الدولة العثمانية التي كان تابعاً لها[2]. وقد ثار [الشريف حسين] في

(1) تبادل الشريف حسين مع المندوب السامي البريطاني في مصر السير هنري مكماهون رسائل سرية بين 14 تموز 1915 و16 آذار 1916. وقد وعد البريطانيون في هذه الرسائل تحقيق حلم العرب الكبير في بناء دولة عربية واحدة تشمل الأقطار العربية في آسيا وتتمتع بكامل الاستقلال. واستناداً إلى ذلك أعلن الشريف حسين الثورة في 10 حزيران 1916، وفي 6 تشرين الثاني من العام نفسه أعلن نفسه ملكاً على العرب، (المترجم).

(2) فرض الشريف حسين سيطرته أولاً على مكة المكرمة التي كان مقيماً فيها فانسحب والي الحجاز وقائدها غالب باشا إلى الطائف وبعد فترة من المقاومة هناك اضطر إلى الاستسلام مع قوته البالغ عددها 2000 رجل إلى الشريف عبد الله بن الشريف حسين (حاكم الأردن فيما بعد) وبعد هذا استهدف الشريف حسين المدينة المنورة التي دافع عنها بصري باشا «Basri Pasa» أولاً ثم عمر فخر الدين باشا

1334 هـ/ 1916 م وأعلن نفسه ملكاً[1] [على البلاد العربية]. وبناءً على ذلك صدر قرار بعزل الشريف حسين في شعبان 1334 هـ/ حزيران 1916 وعين محله الشريف حيدر باشا الذي كان وكيلا للرئيس الأول لمجلس الأعيان [في البرلمان العثماني] بدرجة وزير[2].

= بصفته القائد العام للجيش. وعلى الرغم من نواقصه استطاع فخر الدين باشا الصمود مدة سنتين ونصف أمام القوات العربية (تموز 1916 ـ كانون الثاني 1919) وكان يتولى قيادة القوات العربية هنا الشريف فيصل بن الشريف حسين وأخيه الشريف علي. إن بصري باشا وفخر الدين باشا قد غلبوا القوات العربية وساقوها إلى الصحراء ثم أصبحوا [أي الأتراك] في حالة دفاع. وبعد مقاومة بطولية وانقطاع الطرق ونقص موجودات الجيش بدرجة كبيرة اضطر فخر الدين باشا إلى الاستسلام نتيجة للخيانة في 10 كانون الثاني 1919 م (انظر: «معارك الترك في الحرب العالمية الأولى» تأليف الفرنسي لارش Larches ترجمة المرحوم المقدم محمد نهاد عضو هيئة الأركان العامة ـ منشورات قسم أركان الحرب 1927 ـ 1928) إن فخر الدين باشا، الذي اشتهر بلقب «المدافع عن المدينة» ودخل تاريخنا العسكري بهذا اللقب، توفي في اسطنبول في 23 تشرين الثاني 1948 ودفن يوم الأربعاء التالي وسط موكب عسكري كبير في مقبرة العائلة في «روملي حصار». وكانت ولادته في روسجودك Ruscuk سنة 1869، وقد توفي وعمره 79 سنة.

(1) لما كان ابن الرشيد رئيس عشيرة شمر، الذي حافظ على ولائه للدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، قد وجه ضد البريطانيين في العراق فإنهم اتصلوا بحاكم نجد ابن سعود وكسبوه [إلى جانبهم]. ولكن تراجع ابن سعود أمام قوات ابن الرشيد والقوات العثمانية دفعت البريطانيين إلى الاتصال بالشريف حسين باشا وكسبه على أساس إقامة دولة [عربية مستقلة] في الحجاز ودفعوه إلى الثورة.

(2) **صورة الأمر السلطاني «الإرادة السنية» بهذا الخصوص كالتالي:**

وزيري محمد سعيد باشا

لقد تم حسب الإيجاب عزل أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا. ولما كان حسن أداء الخدمة المقدسة للحرمين الشريفين من الوظائف الأساسية المرتبة بعهدتنا، وبناءً على ما تأكد لدينا من أن وكيل الرئيس الأول لمجلس الأعيان الشريف علي حيدر بك [إنساناً] لائقاً منصفاً متصفاً بحسن السيرة والسلوك ومجرباً =

طبقاً للاتفاق مع البريطانيين أعلن الشريف حسين ملكاً على الحجاز في 1336 هـ/ 1918 م إلا أنه لم يقتنع بذلك بل أراد الاعتراف به ملكاً على البلاد العربية وبدأ بتوسيع حدوده. وبسبب قيامه بالاستيلاء على أراضٍ وهابية فإن خصمه عبد العزيز بن سعود [1901 - 1953]، الذي كان قد أثير بإعلان الحسين نفسه ملكاً، اتخذ هذا الأمر ذريعة وأنزل هزيمة بملك الحجاز وأجبره على الاستنجاد بالبريطانيين. وبسبب حماية البريطانيين للشريف حسين لم يواصل ابن سعود تقدمه ولم يستفد من انتصاره آنئذٍ في 1919.

وعندما عقد مؤتمر فرساي في نهاية الحرب العالمية الأولى مثله ابنه الثاني الشريف فيصل فيه. وإذا كان الشريف حسين قد أعلن نفسه خليفةً عند زيارته الأردن في شعبان 1342 هـ/ آذار 1924 م فإن هذا الأمر لم يلق قبولاً عاماً.

لقد اتخذ عبد العزيز آل سعود من قيام الشريف حسين بتكفير الوهابيين ذريعة وأنزل الهزيمة بقوته في الطائف (صفر 1334 هـ/ أيلول 1924 م). ولأنقاذ العرش فإن الشريف حسين أعلن تخليه عن الحكم لابنه الكبير الشريف علي (ربيع الآخر 1334 هـ/ أيلول 1924 م) إلا أن ابن سعود كان قد تفاهم مع البريطانيين واستولى على مكة المكرمة فانسحب الشريف حسين إلى العقبة ونقل من هناك إلى قبرص. لقد رأى [الشريف حسين] عاقبة الخطأ الذي ارتكبه ضد

= ويدير وظيفة الإمارة حسب رغبتنا فقد عهدت إليه إمارة مكة المكرمة مع رتبة الوزارة.. ليوفقنا الله جميعاً في كل عمل..

[السلطان] محمد رشاد

30 شعبان 1334 هـ/ 18 حزيران 1332 [1916]

الدولة [العثمانية] التي كان تابعاً لها فقد طرد هو وأولاده وأحفاده من الحجاز ومات خاسراً في قبرص[1]. وقد نقل ابنه الأمير عبد الله أمير الأردن جثمانه إلى عمان حيث دفن فيها[2].

إن ابن سعود الذي حررَ الحجاز كلها حصل على الاعتراف بكونه حاكماً على شبه الجزيرة العربية بواسطة المعاهدة التي عقدها مع البريطانيين في رجب 1334 هـ/ كانون الثاني 1926 م[3].

كان للشريف حسين أربعة أبناء وهم علي وفيصل وعبد الله وزيد. ووالدة زيد تركية هي عادلة خانم وهي من حفيدات الصدر الأعظم الشهير مصطفى رشيد باشا. أما ابنه فيصل فقد أقام حكومة في العراق تحت حماية البريطانيين في 17 ذي الحجة 1339 هـ/ 23 نيسان 1921 م[4]، وقد حصل على الاستقلال، مع بعض التقييدات، في سنة 1930. أما عبد الله فقد أصبح أميراً على إمارة شرق الأردن التي أسسها البريطانيون في المناطق الواقعة شرق نهر الأردن من البحر الميت «Lut golu» إلى خليج العقبة في الجنوب. وإلى عهد قريب

---

(1) ما يزال بعض الأتراك يذكرون ثورة 1916 بمرارة وعدم رضى. وهذا يفسر لهجة المؤلف هذه. (المترجم)

(2) توفي الشريف حسين في عمان وليس في قبرص. ذلك أن الحكومة البريطانية كانت قد وافقت على نقله من قبرص إلى عمان بعد أن اشتدت به وطأة المرض وشارف على النهاية. وبعد أيام قلائل من وصوله إلى عمان توفي في ليلة 3/ 4 حزيران 1931 ودفن في القدس عند قبة الصخرة. (المترجم)

(3) الحقيقة أنه في 8 كانون الثاني 1926 نودي بابن سعود ملكاً على الحجاز وأصبح يعرف بلقب ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. أما اعتراف بريطانية الرسمي بابن سعود ودولته الجديدة فقد ورد في معاهدة جدة المعقودة بين ابن سعود والبريطانيين في 20 أيار 1927 وليس في كانون الثاني 1926 كما يقول المؤلف. (المترجم)

(4) الصواب هو 23 آب 1921. (المترجم).

كانت هذه الإمارة، التي أصبحت عمان عاصمة لها، تتبع ممثل بريطانية [أي المندوب السامي البريطاني] في فلسطين. وقد خصص لأميرها معونة من الخزانة البريطانية. وقد تحولت هذه الإمارة إلى مملكة شريف الأردن الهاشمية سنة 1946 وكان أول ملوكها الأمير عبد الله بن الحسين.

الشريف علي حيدر باشا:

هو من عائلة ذوي زيد وحفيد أمير مكة المكرمة الأسبق عبد المطلب بن غالب وابن علي جابر باشا. وكانت ولادته في ذي الحجة 1282 هـ/ نيسان 1866 م في شاليه «Yali» جده الواقع في قانلجة «Kanlica» في اسطنبول. وقد أصبح يتيماً وهو صبي صغير ذلك أن والده علي جابر باشا توفي عن عمر يناهز الخامسة والعشرين في سنة 1297 هـ/ 1880 م[1] ومع أنه أرسل إلى مكة المكرمة في 1293 هـ/ 1876 م وه وفي الحادية عشر من العمر فإن السلطان عبد الحميد أعاده، بناءً على طلب من جده عبد المطلب أفندي، إلى اسطنبول حيث درس مع أبناء السلاطين «Sehzadeler».

عين علي حيدر باشا سنة 1304 هـ/ 1887 م لعضوية دائرة محاكمات مجلس شورى الدولة مع رتبة بالا «bala»[2] وهو في الحادية والثلاثين من العمر. وبعد إعلان المشروطية الثانية في 1326 هـ/ 1908 م أصبح عضواً في مجلس الأعيان. ثم أصبح وزيراً

(1) ربما هناك خطأ هنا فمن غير المعقول أن يكون علي جابر باشا قد أصبح أباً وهو في الحادية عشر من عمره. (المترجم).

(2) معناها اللغوي عالية أو رفيعة إلا أن المؤلف لم يوضح طبيعة هذه الرتبة (المترجم).

للأوقاف في وزارة حقي باشا في 30 ذي الحجة 1327 هـ/ كانون الثاني 1910 م ثم استقال بعد فترة وعين محله خيري بك.

وبعد أن أصبح رئيس مجلس الأعيان سعيد باشا صدراً أعظم في 1330 هـ/ 1912 م انتخب وكيل رئيس مجلس الأعيان غازي أحمد مختار باشا رئيساً لمجلس الأعيان. وأصبح الشريف علي حيدر باشا وكيلاً لرئيس مجلس الأعيان.

وبعد عزل الشريف حسين باشا بسبب ثورته، التي قام بها بعد وعود البريطانيين له وتحريضهم إياه خلال الحرب العالمية الأولى. أخذت إمارة مكة المكرمة من عائلة ذوي عون (العبادلة) وأعطيت إلى عائلة ذوي زيد المنافسة لهم. وبهذه الصورة عين الشريف علي حيدر باشا أميراً على مكة المكرمة برتبة وزير وأرسل في 30 شعبان 1334 هـ/ 1 تموز 1916 م. إلا أنه لم يذهب إلى مكة المكرمة بسبب ثورة الشريف حسين باشا بل بقي لفترة من الوقت في المدينة المنورة التي كان يدافع عنها فخر الدين باشا. ثم انسحب إلى الشام واضطر إلى العودة إلى اسطنبول أخيراً. وبقي محتفظاً بلقب أمير مكة المكرمة ومخصصاته لثلاث سنوات.

وبعد أن أصبح الشريف حسين حاكماً على الحجاز في 1917 وخرجت تلك الأطراف من تحت السيطرة العثمانية تحولت وظيفة أمير مكة المكرمة إلى مجرد تسمية ولذا فإنها ألغيت بقرار هيئة وزارية وبأرادة سنية في 8 شعبان 1338 هـ/ 8 آيار 1919 م وطويت بذلك صفحة إمارة مكة المكرمة التي استمرت أكثر من أربعة قرون من التاريخ العثماني[1].

---

(1) صورة الأمر السلطاني «الإرادة السنية» وقرار هيئة الوزراء بهذا الخصوص كالتالي:

توفي الشريف علي حيدر باشا، الذي كان إنساناً محترماً وأمضى كل حياته بين الأتراك، في بيروت سنة 1935 م ودفن فيها. وله أربعة أبناء هم البكوات عبد المجيد ومحي الدين ومحمد أمين فيصل طرقان F. Targan[1].

❁ ❁ ❁

في الجداول الثلاثة المرفقة أسماء ومدد إمارة الشرفاء الذين توالوا على إمارة مكة المكرمة من الأسر الثلاث ذوي زيد وآل بركات وذوي عون. أما الجدول الرابع الأخير فهو جدول عام يوضح أمراء مكة المكرمة خلال العهد العثماني.

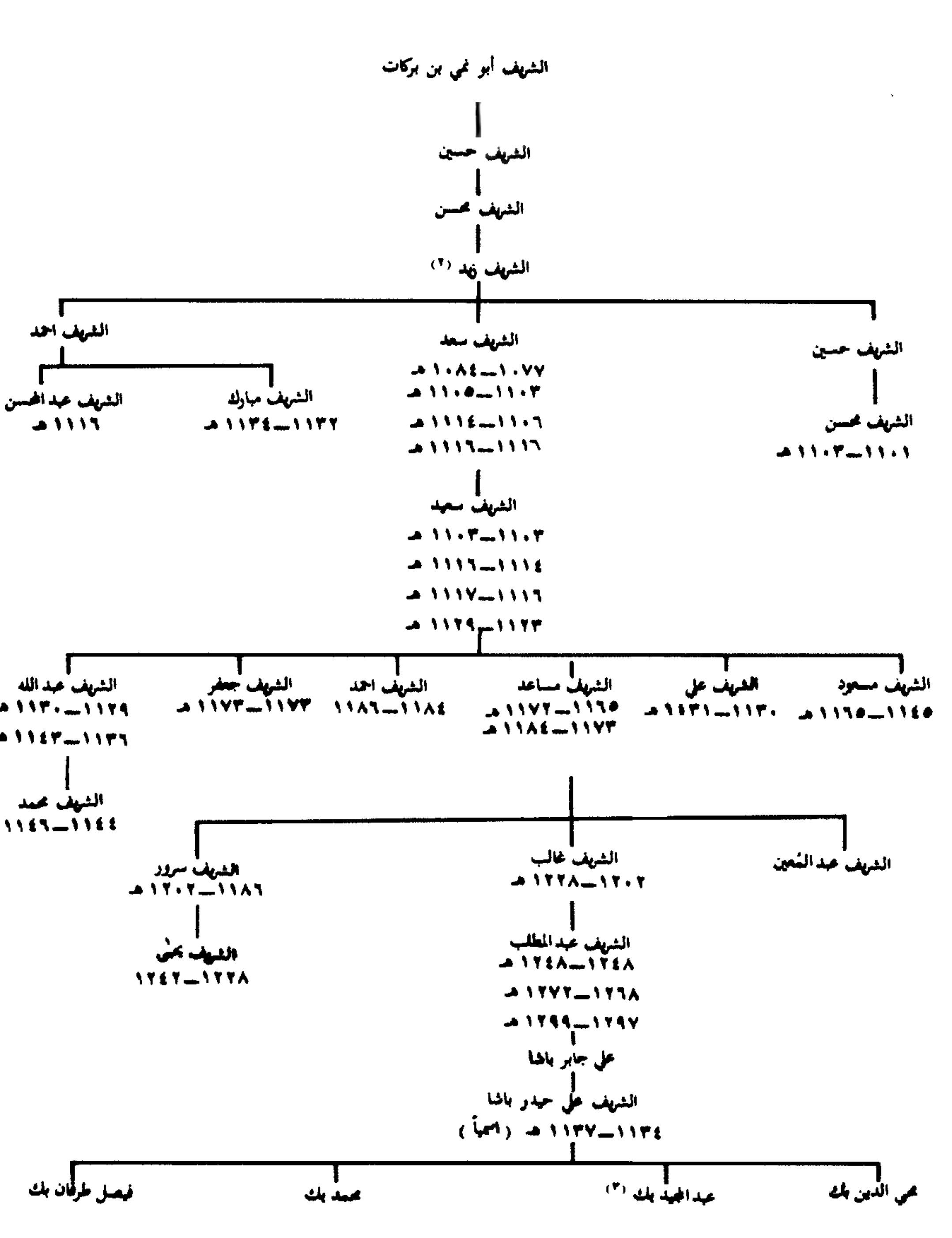
= الباب العالي
الصدارة العظمى
آمدي ديواني همايوني
263«إرادة سنية» محمد وحيد الدين
بناءً على ضرورة إعادة بعض المحادثات المخلفة لتقليد الدولة إلى وضعها الطبيعي فقد ألغينا عنوان أمير مكة الموجودة بعهدة الشريف علي حيدر باشا.
واعتبرت المعاملة السابقة كأن لم تكن [كذا]
إن الصدارة [رئاسة الوزراء] مكلفة بتنفيذ هذا الأمر

في 8 شعبان 1337/8 مايس 1335 [1919 م]

الصدر الأعظم ووزير (ناظر) الخارجية: الداماد فريد — شيخ الإسلام: مصطفى صبري
رئيس مجلس شورى الدولة: سيد عبد القادر — وزير البحرية: أحمد عوني
وزير الحربية: شاكر — وزير التجارة والزراعة: أدهم — وزير النافعة: شوكت طورعود
وزير المالية: توفيق — وزير العدلية: محمد جميل — وزير الداخلية: محمد علي
وزير الأوقاف الهمايونية (السلطانية): واصف — وزير المعارف: علي كمال

(1) حصلنا على موجز ترجمة المرحوم علي حيدر باشا من كتاب «موجز تاريخي لتنظيمات وزارة الأوقاف الهمايونية» ومن المعلومات التي تفضل بها فيصل طرقان بك المحترم.

أمراء مكة المكرمة من شرفاء ذوي زيد (١)



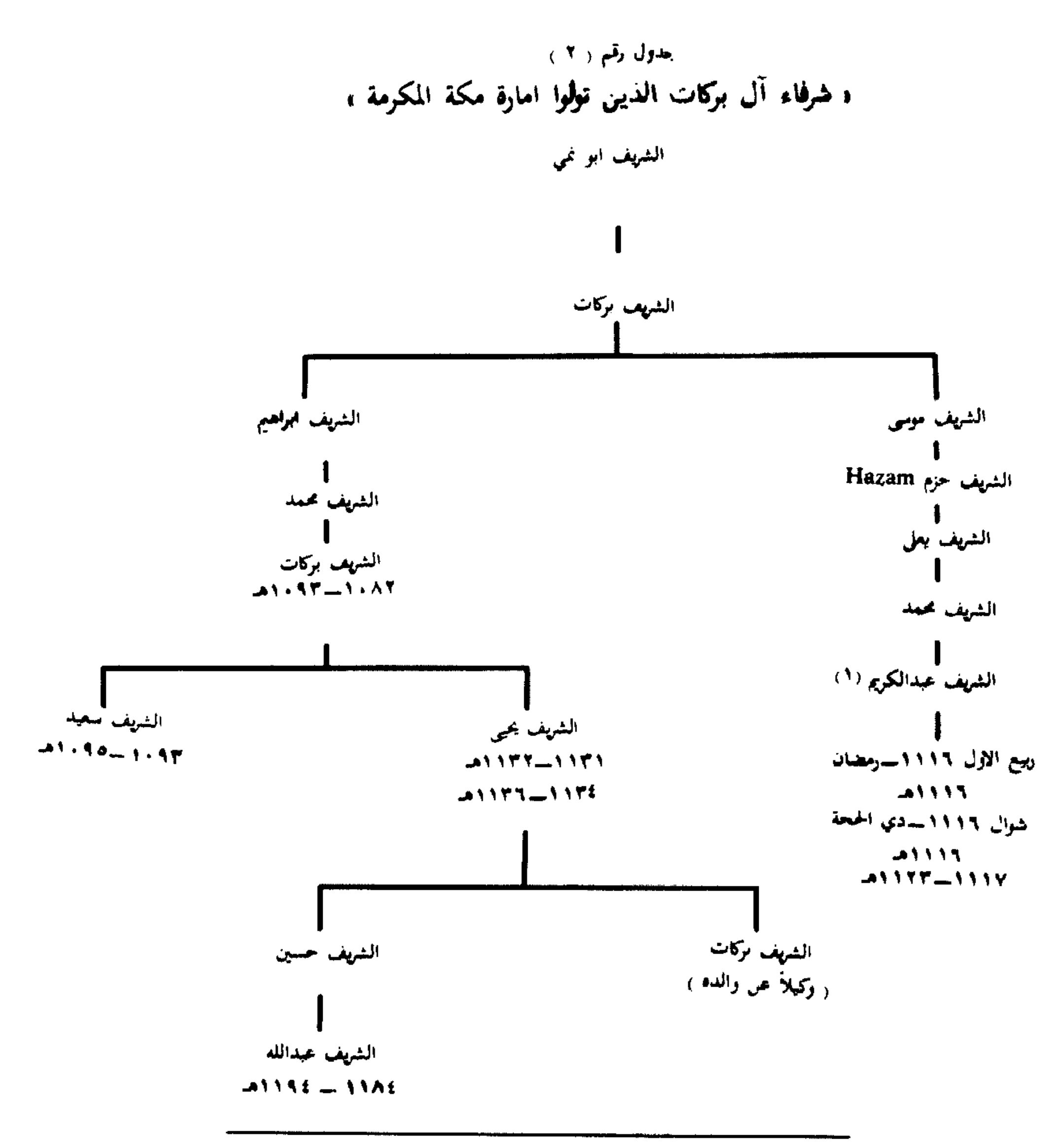
(١) الأسماء التي تحتها تواريخ في الجدول المذكور تمثل الذوات الذين تولوا إمارة مكة المكرمة فعلاً.

(٢) بعد الشريف زيد اطلقت تسمية الشرفاء الزيدية او ذوي زيد. وينقسم ذوي زيد الى مجموعة من الفروع.

(٣) الشريف عبد المجيد بك هو زوج رقية سلطان ابنة صلاح الدين افندي بن السلطان مراد الخامس

جدول رقم (٢)

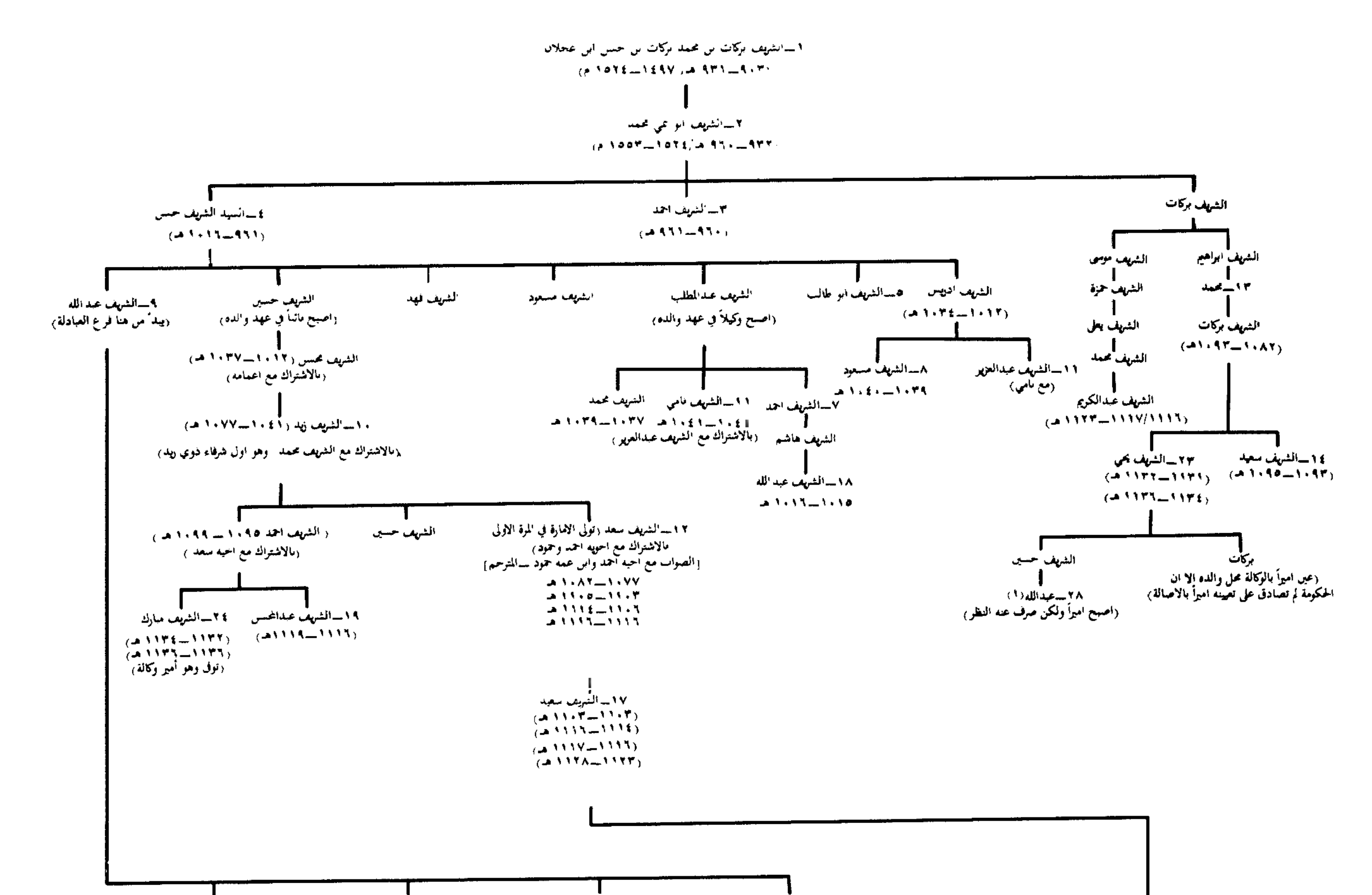
« شرفاء آل بركات الذين تولوا امارة مكة المكرمة »



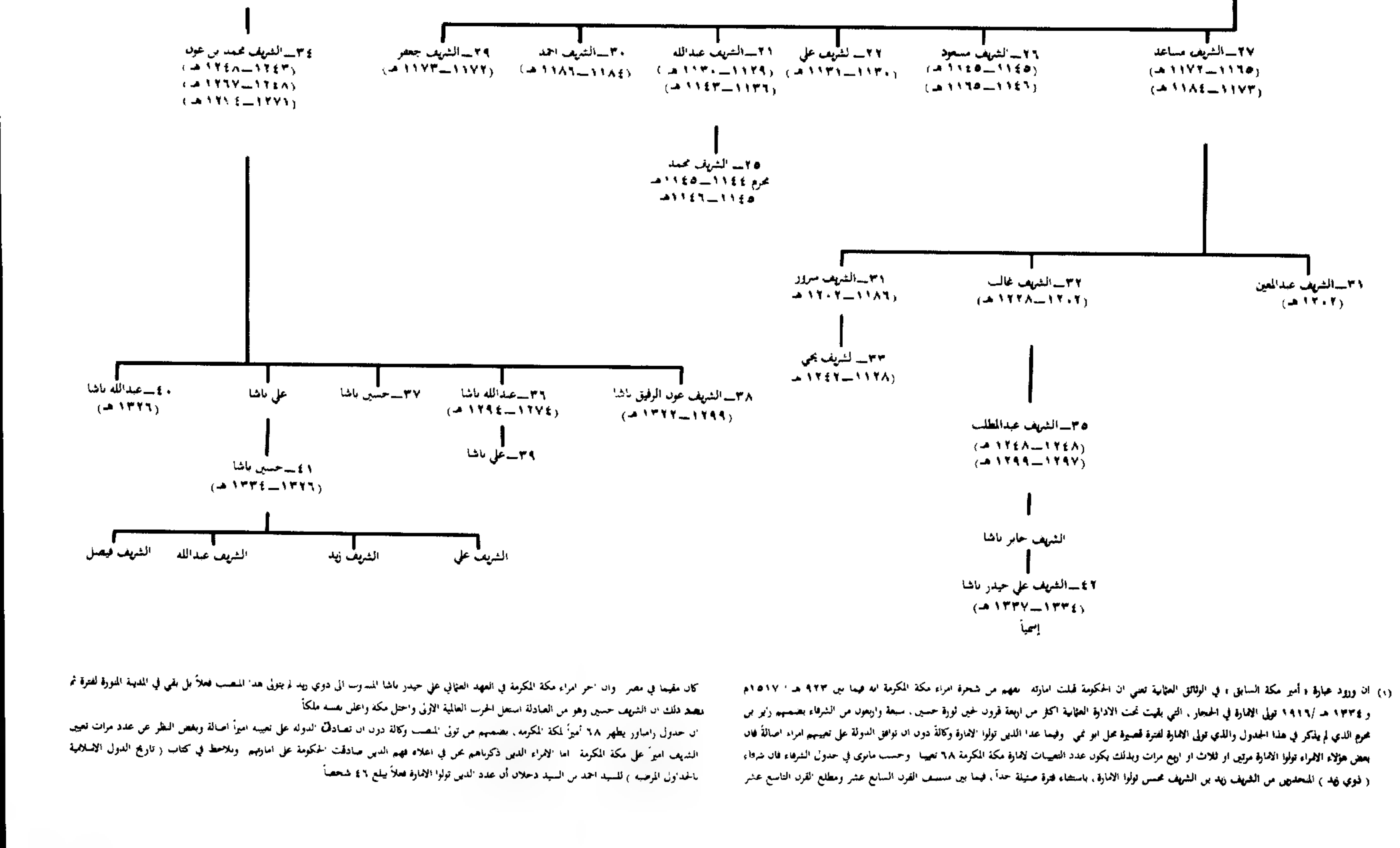
---

(١) تنازع الشريف عبدالكريم مع الشريف سعد بن زيد من ذوي زيد من اجل امارة مكة المكرمة وقد سفك دم كثير من الطرفين .

ملاحظة : الاشخاص الذين تولوا الامارة هم الذين ذكرت التواريخ تحت اسمائهم .



١ـ الشريف بركات بن محمد بركات بن حسن ابن عجلان
(٩٠٣ـ٩٣١ هـ، ١٤٩٧ـ١٥٢٤ م)
٢ـ الشريف ابو نمي محمد
(٩٣٢ـ٩٦٠ هـ، ١٥٢٤ـ١٥٥٣ م)
الشريف بركات
٣ـ الشريف احمد
(٩٦٠ـ٩٦١ هـ)
٤ـ السيد الشريف حسن
(٩٦١ـ١٠١٦ هـ)
الشريف ابراهيم
الشريف موسى
١٣ـ محمد
الشريف حمزة
الشريف بركات
(١٠٨٢ـ١٠٩٣ هـ)
الشريف يعلى
الشريف محمد
الشريف عبدالكريم
(١١١٦/١١١٧ـ١١٢٣ هـ)
الشريف ادريس
(١٠١٢ـ١٠٣٤ هـ)
٥ـ الشريف ابو طالب
الشريف عبدالمطلب
(اصبح وكيلاً في عهد والده)
الشريف مسعود
الشريف فهد
الشريف حسين
(اصبح نائباً في عهد والده)
٩ـ الشريف عبد الله
(يبدأ من هنا فرع العبادلة)
١١ـ الشريف عبدالعزيز
(مع نامي)
٨ـ الشريف مسعود
١٠٣٩ـ١٠٤٠ هـ
٧ـ الشريف احمد
١١ـ الشريف نامي
١٠٤١ـ١٠٤١ هـ
(بالاشتراك مع الشريف عبدالعزيز)
الشريف محمد
١٠٣٧ـ١٠٣٩ هـ
الشريف هاشم
١٨ـ الشريف عبد الله
١٠١٥ـ١٠١٦ هـ
الشريف محسن (١٠١٢ـ١٠٣٧ هـ)
(بالاشتراك مع اعمامه)
١٠ـ الشريف زيد (١٠٤١ـ١٠٧٧ هـ)
(بالاشتراك مع الشريف محمد وهو اول شرفاء ذوي زيد)
١٤ـ الشريف سعيد
(١٠٩٣ـ١٠٩٥ هـ)
٢٣ـ الشريف يحيى
(١١٣١ـ١١٣٢ هـ)
(١١٣٤ـ١١٣٦ هـ)
بركات
(عين اميراً بالوكالة محل والده الا ان
الحكومة لم تصادق على تعيينه اميراً بالاصالة)
الشريف حسين
٢٨ـ عبدالله(١)
(اصبح اميراً ولكن صرف عنه النظر)
١٢ـ الشريف سعد (تولى الامارة في المرة الاولى
بالاشتراك مع اخويه احمد وحمود)
[الصواب مع اخيه احمد وابن عمه حمود ـ المترجم]
١٠٧٧ـ١٠٨٢ هـ
١١٠٣ـ١١٠٥ هـ
١١٠٦ـ١١١٤ هـ
١١١٦ـ١١١٦ هـ
الشريف حسين
(الشريف احمد ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩ هـ)
(بالاشتراك مع اخيه سعد)
١٩ـ الشريف عبدالمحسن
(١١١٦ـ١١١٩هـ)
٢٤ـ الشريف مبارك
(١١٣٢ـ١١٣٤ هـ)
(١١٣٦ـ١١٣٦ هـ)
(توفي وهو أمير وكالة)
١٧ـ الشريف سعيد
(١١٠٣ـ١١٠٣ هـ)
(١١١٤ـ١١١٦ هـ)
(١١١٦ـ١١١٧ هـ)
(١١٢٣ـ١١٢٨ هـ)



(١) ان وورود عبارة «أمير مكة السابق» في الوثائق العثمانية تعني ان الحكومة قبلت امارته. معهم من شجرة امراء مكة المكرمة انه فيما بين ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م و ١٣٣٤ هـ /١٩١٦ تولى الإمارة في الحجاز، التي بقيت تحت الادارة العثمانية اكثر من اربعة قرون حتى ثورة حسين، سبعة واربعون من الشرفاء بضمنهم زايد بن محرم الذي لم يذكر في هذا الجدول والذي تولى الامارة لفترة قصيرة محل ابو نمي. وفيما عدا الذين تولوا الامارة وكالةً دون ان توافق الدولة على تعيينهم امراء اصالةً فان بعض هؤلاء الامراء تولوا الامارة مرتين او ثلاث او اربع مرات وبذلك يكون عدد التعيينات لامارة مكة المكرمة ٦٨ تعيينا. وحسب مانرى في جدول الشرفاء فان شرفاء (ذوي زيد) المنحدرين من الشريف زيد بن الشريف محسن تولوا الامارة، باستثناء فترة ضئيلة جداً، فيما بين منتصف القرن السابع عشر ومطلع القرن التاسع عشر

كان مقيما في مصر. وان آخر امراء مكة المكرمة في العهد العثماني علي حيدر باشا المنسوب الى ذوي زيد لم يتولى هذا المنصب فعلاً بل بقي في المدينة المنورة لفترة ثم بعد ذلك ان الشريف حسين وهو من العبادلة استغل الحرب العالمية الاولى واحتل مكة واعلن نفسه ملكاً
ان جدول زامباور يظهر ٦٨ أميراً لمكة المكرمة، بضمنهم من تولى المنصب وكالة دون ان تصادق الدولة على تعيينه اميراً اصالة وبغض النظر عن عدد مرات تعيين الشريف اميراً على مكة المكرمة. اما الامراء الذين ذكرناهم نحن في اعلاه فهم الذين صادقت الحكومة على امارتهم. ونلاحظ في كتاب (تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية) للسيد احمد بن السيد دحلان أن عدد الذين تولوا الامارة فعلاً يبلغ ٤٦ شخصاً

جدول رقم (٣)

«شرفاء ذوي عون او العبادلة الذين تولوا امارة مكة المكرمة» [١]

الشريف ابو نمي

الشريف سيد حسن

الشريف عبدالله
١٠٤٠ ــ ١٠٤١ هـ

الشريف حسين

الشريف عبدالله

الشريف محسن

الشريف عون

الشريف عبد المعين

الشريف محمد

١٢٤٣ ــ ١٢٤٨ هـ
١٢٤٨ ــ ١٢٦٧ هـ

١٢٧٢ ــ ١٢٧٤ هـ

عون الرفيق باشا
١٢٩٩ــ١٣٢٢هـ

عبدالله باشا
١٢٧٤ــ١٢٩٤هـ

علي باشا
١٣٢٦ــ١٣٢٦هـ

حسين باشا
١٢٩٤ــ١٢٩٧هـ

علي باشا

حسين باشا (٢)
١٣٢٦ــ١٣٣٤هـ

فيصل

عبدالله

علي

زيـ

عبدالالـ
ـ٣٢٦

---

(١) حد الشرفاء العبادلة [لاادري ما مغزى هذا اهامش الذي وضعه المؤلف ــ المترجم]

(٢) تولى الشريف حسين باشا امارة مكة من ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م الى ١٣٣٤ هـ ١٩١٦ م وبعد الثورة في ١٩١٦ اعلن نفسه حاكماً «hukumdar» على الحجاز. وبقي ملكاً حتى سنة ١٩٢٤ عندما هزم من قبل ابن سعود وطرد من الحجاز.

ملاحظة : الاشخاص الذين تولوا الامارة هم الذين ذكرت التواريخ تحت اسمائهم

المصادر والمراجع

1 ـ **تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية:**

(السيد أحمد بن زيني دحلان ـ القاهرة 1306 هـ).

2 ـ **خلاصة الأعلام في بيان أمراء البلد الحرام:**

(السيد أحمد بن زيني دحلان ـ القاهرة ـ 1305 هـ).

3 ـ **كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام:**

(الشيخ قطب الدين النهرواني المكي ـ [مخطوط] في مكتبة ولي الدين أفندي].

4 ـ **بدايع الزهور في وقائع الدهور:**

(تاريخ ابن أياس ـ منشورات جمعية المستشرقين الألمان).

5 ـ **خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر:**

(محمد أمين بن فضل الله الحموي).

6 ـ **الوثائق الخاصة بالشرفاء في دفاتر:**

«المهمة Muhimme» أي الأوامر السلطانية (أرشيف رئاسة الوزراء).

7 ـ **دفاتر «نامة همايون» أي الكتب السلطانية:**

(أرشيف رئاسة الوزراء).

8 ـ **وثائق «خط همايون» أي البيانات السامية الصادرة عن السلطان:**

(أرشيف رئاسة الوزراء).

9 ـ **الوثائق التي صنفها المعلم جودت:**

(أرشيف رئاسة الوزراء).

10 ـ **الوثائق التي صنفها علي أميري وابن الأمين:**

(أرشيف رئاسة الوزراء).

11 ـ **المنتخب قانون الحرمين الشريفين:**

(محمد أمين) في أرشيف رئاسة الوزراء.

12 ـ **مرآتي مكة ومرآتي جزيرة العرب من [كتاب !] مرآتي الحرمين:**

(أيوب صبري باشا).

13 ـ **منشآت السلاطين:**

(فريدون بك).

14 ـ **تشريفاتي قديمة:**

(أسعد أفندي).

15 ـ **كتب التاريخ العثماني:**

تاريخ عاشق باشا زادة وتاج التواريخ سلانيكي وتاريخ عالي وفذلكة [كاتب جلبي] وتاريخ بجوي وتاريخ نعيما وتاريخ سلحدار وتاريخ راشد وتاريخ صبحي وتاريخ عزي وتاريخ واصف وتاريخ شاني زادة وتاريخ جودت وتاريخ لطفي.

16 ـ **زبدة الوقائع:**

(الدفتردار صاري محمد باشا).

17 ـ **أوليا جلبي سياحتنامة سي:**

(رحلة أوليا جلبي).

18 ـ **هامر، تاريخ الدولة العثمانية:**

(ترجمة عطابك).

19 ـ دوحة النقباء.

20 ـ دولي إسلامية:
(خليل أدهم).

21 ـ سالنامات ولاية الحجاز.

22 ـ تاريخ التمدن الإسلامي:
(ترجمة زكي مقامز).

23 ـ مريء التواريخ:
(شمعداني زادة سليمان).

24 ـ تاريخ أديب أفندي:
وقعة نويس.

25 ـ مدحت باشا ومحكومي الطائف:
(إسماعيل حقي أوزون جارشلي).

26 ـ تذاكر جودت:
(أحمد جودت باشا) منشورات الجمعية التاريخية التركية ـ القسم الأول، الصفحات 101 ـ 150.

27 ـ مجلة Belleten (العدد ٣٩ بخصوص عزل الشريف عبد المطلب).

28- Histoire de la decadence de l'Empire Grec et etablissement Celui de Turcs. par Chalcondile Athenien, 1630 Paris.

29- Tableau General de l'Empire Ottoman, Dohsson-1842 Paris.

30- Histoire de letat persent de l'Empire Ottoman Recont Traduit de l'Anglais par M. Briot Amsterdam 1671 Paris.

31- Manuel de Geneologie et de Chronologie pour l'Histoire l'Islam E. de Zambaur 1927 Hanovre.

32- Die chroniken der stad Mekke gesemmelt und hrsp. F. Wuntenfeld I-IV (1858-1861).

33- Die Schrife Von Mekke in XI (XVII) jahrhundret Gottinge 1858.

34- Encyclopedie de l'Islam (Art. Serif, Seyyid).

الكتب التي اعتمد عليها المترجم في توضيح بعض ما ورد في الكتاب

1 ـ الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية:
(القاهرة ـ دار النهضة العربية 1965 ـ 1966) 3 ج.

2 ـ جب، هاملتون وهارلدبون، المجتمع الإسلامي والغرب:
(القاهرة ـ دار المعارف ـ 1971، ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم) 2 ج.

3 ـ جرنفيل، فريمان، التقويمان الهجري والميلادي:
(بغداد ـ مطبعة الجمهورية ـ 1970 ـ ترجمة د. حسام محمي الدين الآلوسي).

4 ـ رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون **1516 ـ 1916**:
(دمشق ـ 1974).

5 ـ سامي، شمس الدين، قاموس تركي:
(اسطنبول ـ إقدام مطبعة سي).

6 ـ القهواتي، حسين محمد، العراق بين الاحتلالين العثمانيين **1534 ـ 1638** م:
(رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ 1975).

7 ـ لويس، برنارد، اسطنبول وحضارة الأمبراطورية العثمانية:
(بيروت ـ مطبعة دار الكتب ـ ترجمة د. سيد رضوان علي) منشورات جامعة بنغازي.

8 ـ مراد، خليل علي، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني **1638 ـ 1750**:
(رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ 1975).

9 ـ وهيم، طالب محمد، مملكة الحجاز **1916 ـ 1925**:
(البصرة ـ مطبعة جامعة البصرة ـ 1982) منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

10- Akdag, Mustafa; Tukiyenin iktisadi ve ictimai tarihi (Istanbul-1974) 2 Cilt.

11- Bakalin, M. Zeki; Osmanli Tarihi dyminleri ve terimleri sozlugu (Istanbul-1946) 3 Cilt.

12- Islam Ansiklopediasi, Art (akce).

13- Shaw, Stanford. J; History of the Ottoman Empire and Modern Turkey (Cambridge-1976) 2 vol.

14- Uzun Carsili, I. Hakki; Osmanli devetnin ilmiye teskilati (Ankara-1965).

فهرس المحتويات